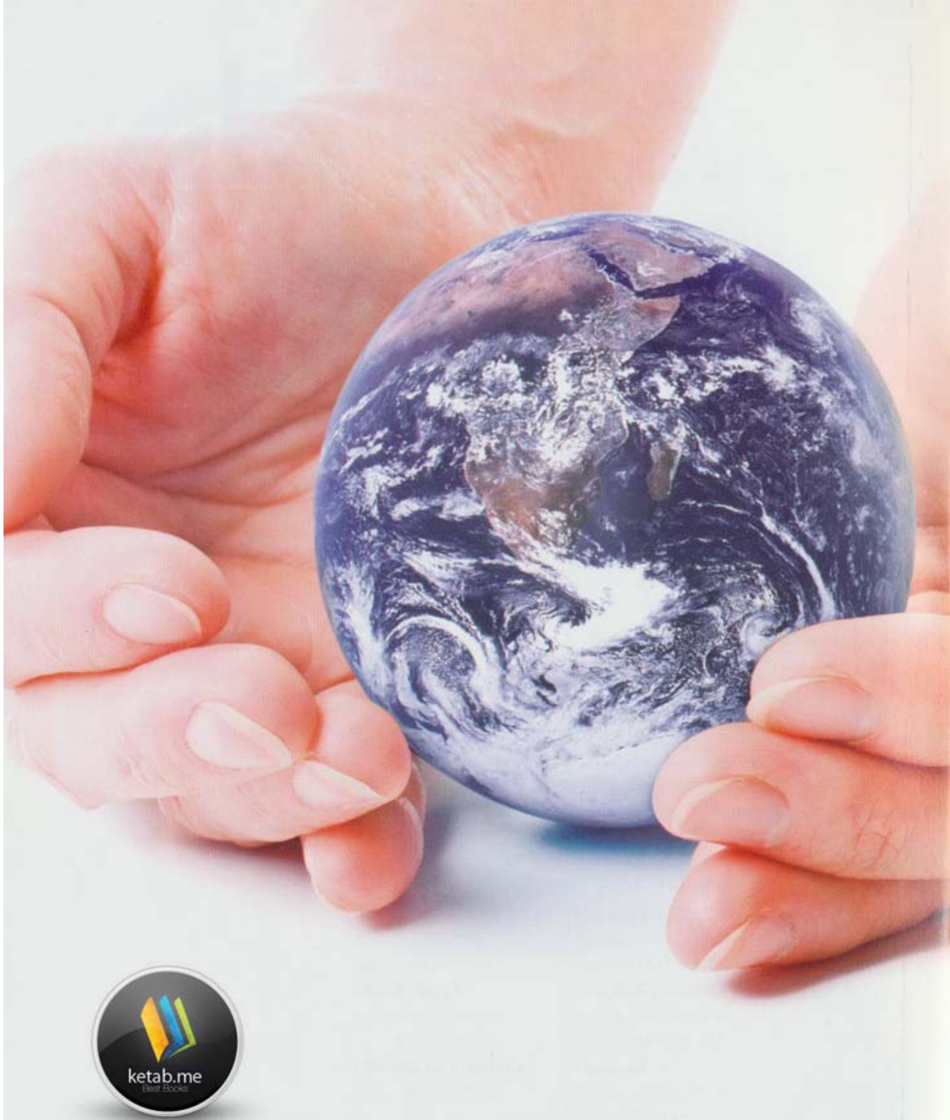


١

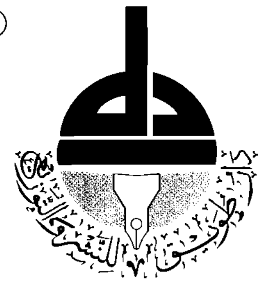
فهد عامر الأحمدي

حول العالم

دار طويق للنشر والتوزيع



حول العالم



ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأحمدي ،فهد عامر واصل

حول العالم./ فهد عامر واصل الأحمدي - ط ٢ ،-الرياض ١٤٣٢هـ

٣٥٤ص: ١٤X٢٠سم.

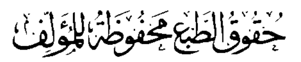
ردمك: ٦-٨٠٨-٤٢-٩٩٦٠-٩٧٨

١-المقالات العربية أ.العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣٢/١٠٦٩٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٦٩٥

ردمـــــك: ٦-٨٠٨-٤٢-٩٩٦٠-٩٧٨



الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الإدارة العامة :

تليفون : ٩٢٠٠٢٢٢٢٩

فاكس : ٠١ ٢٧٨٥٦٢٨

ص.ب ١٠٢٤٤٨ - الرياض ١١٦٧٥

المبيعات والمستودعات :

تليفون : ٠١ ٢٧٠٢٧١٩

فاكس : ٠١ ٢٧٠٢٧٢١

البريد الإلكتروني: E-mail : dartwaiq@dartwaiq.com

الموقع الرسمي : Website : www.dartwaiq.com

المبيعات والتوزيع

(المنطقة الغربية - الشرقية - الشمالية - الجنوبية)

جـــدة

تليفاكس: ٠٢ ٦٥٢٣١٣٩

جوال : ٠٥٠ ٩٣٧٦٦١٨

المدينة المنورة

جوال: ٠٥٠ ٤١٨٠٤٥٣

٠٥٥ ٦٧٢٢٥٠٥

مكة المكرمة والطائف

جوال : ٠٥٠ ٩١٨٣٩٨٩

القصيم وحائل

تليفاكس: ٠٦ ٣٢٦٥٧١١

جوال : ٠٥٠ ٨٢٣٥٨١٧

الشرقية والشمالية

تليفاكس: ٠٣ ٨٢٥٣٥٨٧

جوال : ٠٥٥ ١٩٥٠٦٨٩

الجنوبية

تليفاكس: ٠٧ ٢٢٤٥٥٤٣

جوال: ٠٥٠ ٩٩٥٥٢٩١

تمت أعمال الصف والتصميم

بدار طويق



walidsiry@hotmail.com

www.walidsiry.daportfolio.com



إهداء

أهدي هذا الكتاب

لوالدتي الحبيبة

ووالدي العزيز

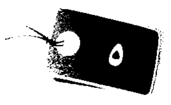




المقدمة

"لماذا لا تصدر مقالاتك في كتاب؟"

... هـذا السؤال ظل يطاردني طوال العشرين عاما الماضية.. وكلما سمعته أبدأ بسرد أعذار كثيرة لا تقنع السائل فينتقل إلى دور الناصح حول أهمية هذه الخطوة.. ورغم شعوري بالامتنان لكل من يطرح هذا السؤال ـ كونه نابع من شعوره بأهمية المقالات وضرورة حفظها في كتاب يحمل نفس الإسم ـ إلا أنني تأخرت في هذا المشروع لأسباب كثيرة .. فمن جهة لم يسمح انشغالي بالزاوية اليومية بالتفرغ لإخراج أي كتاب ، كما لم يشجع سوق النشر نفسه على تبني هذا المشروع (حيث أجر المؤلف على الله).. أما المفارقة ؛ فهي أن ضخامة المادة المكتوبة وتراكمها عاما بعد





عـام صعب عمـيلة مراجعتها وتبويبها وتصنيفها في كتب مستقلة (فهذا الكتاب مثلا يتضمن ٧٠ مقالاً فقط من بين ٦٦٥٠ مقالاً ظهرت منذ عام ١٩٩١) !!

علي أي حال؛ لست نادما على هذا التأخير كوني أؤمن بأهمية الوصول إلى "سن النضج" وتوفر قدر مناسب من التجربة والخبرة لأي مؤلف.. وبين يديك الآن أول كتاب ينشر في حلة جديدة متضمنا (أوائل) المقالات التي نشرت في صحيفة المدينة...

وهذا الكتاب ليس مجرد مقالات "كُومت" على بعضها البعض؛ بل نتيجة جهد وتنسيق استمر لفترة طويلة تم خلالها التوسع في كل موضوع وإضافة معلومات حديثه ومفصلة ظهرت بعد نشر المقال الأصلي لأول مرة (مما جعل كل مقال يبدو اكبر من المساحة المعتادة للزاوية اليومية)..

أضف لهذا تم تقسيمه إلى سبع مجموعات تضم كل منها



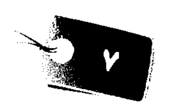
"أفضل عشرة" مقالات في كل مجال.. وهدفي من هذا الترتيب هو إتاحة الفرصة للبدء بأي مجموعه تناسب ميولك ـ وأتمنى أن تنظر إليها كعشر كتيبات متخصصة ضمن موسوعة مصغرة...

وبطبيعة الحال، بعد ظهور هذا الكتاب ستتبقى مقالات كثيرة سأبدأ قريبا بنشرها تباعا ضمن سلسلة متخصصة.. وبعكس هذا الكتاب ستكون الكتب القادمة متخصصة في مجالات مستقلة وقائمة بذاتها (كالعلوم، والغرائب، والرحلات، والاقتصاد، والطب، وما وراء الطبيعة ... الخ)!!

***

بقي في النهاية أن أخبرك بقصة صغيرة:

... في بداية تعاملي مع جريدة المدينة التقيت بمجموعة من المعلمين ودار النقاش حول الكتابة والكُتاب . ولأن الموضوع يهمني أكثر من غيري طرحت عليهم هذا السؤال:



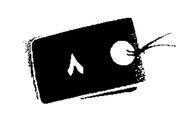


ـ من هـو برأيكم الكاتب الجيد ؟

... وطبيعي ان تختلف الآراء باختلاف الشخصيات والميول.. فمنهم من رأى ان الكاتب الجيد هو من يجيد بليغ الكلام وتطويع المفردات، ومنهم من رأى انه صاحب الأسلوب السهل الذي يفهمه الجميع، ومنهم من كان واقعيا وقال "الكاتب الجيد هو من يوافق ميولي وأفكاري الشخصية"... وقال الرابع، والخامس، والسادس...

وقد تكون جميع هذه الآراء صحيحة في حال نظرنا إليها كـ"عناصر" صغيره متى ما اجتمعت في شخص واحد غدا كاتبا جيدا.. ولكن لسبب ما علق في رأسي جواب واحد مميز اتخذته بعد ذلك مبدأ في جميع كتاباتي.. فقد قال احدهم :

... الكاتب الجيد حين اقرأ له ـ واترك كتابه جانبا ـ اشعر انه أضاف لرصيدي فكرة مبتكرة أو معلومة جديدة أو رأيا يستحق الطرح.. وإلا لماذا ادفع المال لقراءة مواضيع مكرره او ذكريات لاتهم سوى أصحابها !!



وبناء عليه؛ إن وافقت صاحبنا هذا الرأي؛ لا أعدك فقط بمغادرة هذا الكتاب وقد استفدت شيئا جديدا، بل وأعدك أن تواجه ذلك في كل صفحه من صفحاته...

فهد عامر الأحمدي

المدينة المنورة

٢/٢/٢٠١١م

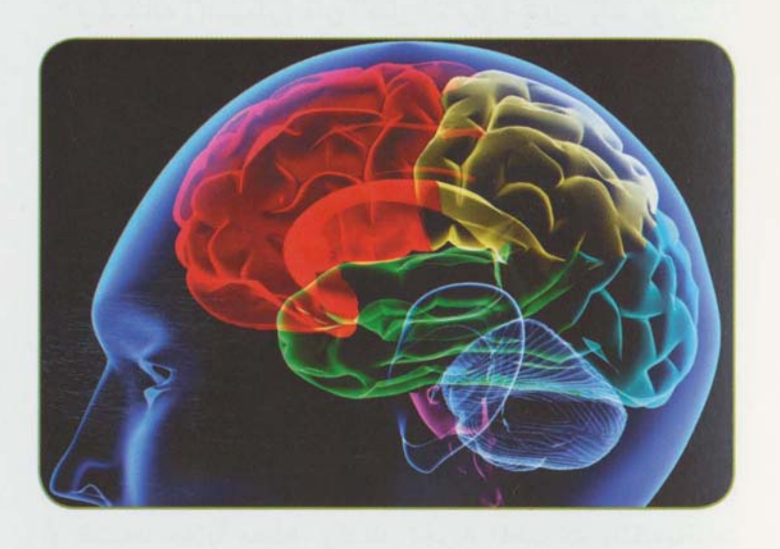



أسرار دولية





مبرمج ليقتل



هل فكرت مرة في السيطرة على عقول الآخرين أو التحكم بإراداتهم؟

إن كنت كذلك، فلست وحدك من يفكر بهذه الطريقة.. ففي ١٦ يوليو ١٩٧٧م نشرت جريدة النيويورك تايمز تقريرها الشهير





عن التجارب السرية التي تقوم بها المخابرات الأمريكية للتحكم بالعقل والإرادة. وقد أوردت الجريدة شواهد عديدة على استحداث عقاقير وأساليب نفسية لبرمجة عقول الناس لتحقيق غرض مشبوه أو عملية قذرة.

وفي كتابه (السيطرة على العقل البشري) يقول "ولتر بوارت":

"إن التجارب على عقاقير معينة من قبل الـ C.I.A هي جزء واحد مما يسمى: مشروع السيطرة على العقل البشري الّذي بدأ قبل ٤٠ عاماً ويجري بمنتهى السرية والتمويه وترصد له الحكومة الأمريكية كل عام ميزانية غير مصرح بها. ومن خلال هذا المشروع أخضع آلاف البشر للتجارب واختبرت عليهم شتى أنواع الأساليب النفسية والتقنية؛ كاستعمال عقاقير الامينازين والسلفازين وصوديوم البنتوثال، واللجوء للتنويم المغناطيسي العميق، والتأثير على مراكز الدماغ بالصدمات الكهربائية والصوتية وتدمير أو تنشيط خلايا معينة، وكذلك تجربة المخدرات والكيميائيات الخاصة؛ كأمصال الحقيقة ومركب LSD لتشكيل الدماغ".

واليوم لم يعد سرًا أن المخابرات الأمريكية تبنت مشاريع علمية جبارة هدفها السيطرة على العقل وسلب الإرادة مثل "ام. كي. الترا" و"ام.كي. دلتا" ومشروع "ارتيشوك"، واختبارات "التفوق النفسي" بالتعاون مع جامعات كاليفورنيا...



وفي الواقع أن الـ C.I.A تبنت - هي وغيرها من أجهزة المخابرات - المبدأ القائل "إن أنجح المهمات هي تلك الّتي يقوم بها العملاء المبرمجون"؛ فالعميل أو الجاسوس "المبرمج" شخص قد يستعمل يديه، ويسير على قدميه ولكن إرادته وعقله ليستا ملكه.. وشخص من هذا النوع قد يكون "برمج" برغبته وعلمه أو أنه مجرد شخص بريء استدرج بالغش والخداع..

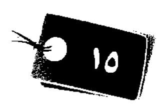
وأياً كان الوضع فإن العميل المبرمج - وبالذات من يكلف بمهمة سريعة ومحددة؛ كالاغتيال مثلاً - يفضل على غيره لعدة أسباب:

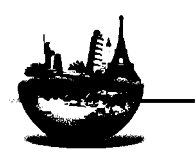
أولاً:- لأنه شخص "مبرمج" لا يدرك حقيقة ما يقوم به فيصبح بالتالي في منأى عن تأثير العواطف؛ كالخوف والشفقة والتردد.

ثانياً:- شخص كهذا غالباً ما تمسح ذاكرته قبل أي عملية كي لا يبوح بأي شيء.. فهو ببساطه لن يتذكر أي شيء.

ثالثاً:- العميل المبرمج لا يفكر بعقله؛ بل بعقول آلاف الخبراء والمتخصصين وعلماء القانون والجريمة، وهذا بالتالي أدعى لنجاح أي عملية - ولكن أمام القانون هناك بالطبع شخص واحد يظهر في الصورة ويتحمل الوزر...

رابعاً:- من النادر أن تتوفر المواصفات العقلية والجسدية





المطلوبة في شخص واحد. ولكن بأسلوب (برمجة المخ) يمكن لدوائر المخابرات التخطيط للعملية جيداً ثم اختيار العميل أو الشخص المناسب - وهذا ليس جسديًا فحسب بل أيضاً في نوع الجنس والعرق والسن.. أو حتى باختيار الجنسية المناسبة لإبعاد الشبهات..

وفي الواقع هذه الممارسات ليست حكراً على الولايات المتحدة فمن المعتقد مثلاً أن لمخابرات المعسكر الشرقي السابق جهود مماثلة في هذا المجال. فمنذ السبعينات اتضح أن مركز الطب النفسي في ستالينغراد (صاحب العلاقة الوثيقة بالK.G.B.) نجح في ابتكار أساليب لتنويم الناس مغناطيسياً والسيطرة عليهم عن بعد. كما أن تعاون روسيا مع حلفائها (بولندا، والمجر، وألمانيا الشرقية) في هذا النوع من الأبحاث قد جعل للمخابرات الشرقية أسلوبها المميز في تجنيد عملائها وملاحقة الخارجين عن إرادتها.

أما في أمريكا فيعتقد اليوم أن مجرمين من أمثال "جيمس راي" (الذي قتل المصلح الزنجي مارتين كنج عام ١٩٦٨) و"لي أوزوالد" (الذي قتل الرئيس كينيدي عام ١٩٦٣) وكذلك "سرحان بشارة" (المتهم بقتل روبرت كينيدي عام ١٩٦٨) إنهم ليسوا إلا آلات مبرمجة للقتل محيت من أدمغتهم أي معلومات تشير لرؤسائهم.





قضية بشارة سرحان



لم يعد سرًّا القول أن برمجة المخ والسيطرة على عقول الآخرين أسلوب اتبعته منظمات وأجهزة عالمية عديدة لتنفيذ أعمال الاغتيالات والتخريب حول العالم.. وكنت في المقال السابق قد تعرضت للوسائل (النفسية والجسدية) التي اتبعت لتنفيذ ذلك الهدف.. وبعد تسرب معلومات عديدة حول التجارب التي تجريها





المخابرات الأمريكية بهذا الخصوص؛ أصبح هناك اعتقاد قوي بان مجرمين من أمثال جيمس راي (قاتل مارتين كنج) ولي ازوالد (قاتل الرئيس كينيدي) - وغيرهم كثير - كانوا مجرد آلات مبرمجة تتحكم بها جهات على درجة عالية من التنظيم والتخصص...

ولعل قضية الشاب العربي "سرحان بشارة" المتهم باغتيال السيناتور روبرت كينيدي - شقيق الرئيس جون كينيدي - أفضل نموذج يمكن الاستشهاد به بهذا الخصوص.. وسرحان بشارة سرحان شاب عربي فلسطيني ولد في القدس عام ١٩٤٥م ودخل الولايات المتحدة كمهاجر أردني مسيحي وعمره اثنتا عشرة عاماً. وعقب دخوله أمريكا تفرقت عائلته فعمل الأب لفترة في نيويورك في حين انتقلت الأم بأطفالها الخمسة إلى كاليفورنيا.. وقد وجدت في أوراق سرحان لاحقاً ما يفيد بضرورة قتل روبرت كينيدي قبل الخامس من يونيو ١٩٦٨م - أي اليوم الذي يوافق الذكرى الأولى لحرب ١٩٦٧م التي غزت فيها إسرائيل مصر وسوريا والأردن!!

وبالنسبة لسرحان كان روبرت كينيدي يمثل رمزاً صارخاً للدعم الأمريكي لإسرائيل فترصد له في فندق الامباسدور حيث كان من المنتظر أن يعقد كينيدي مؤتمراً صحفياً بمناسبة فوزه في الانتخابات التمهيدية لولاية كاليفورنيا. وفي تمام الساعة ١٢,٣٠

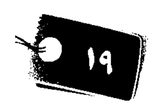


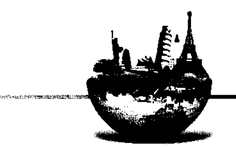
ليلاً أطلق سرحان ثمان رصاصات باتجاه المنصة أصابت إحداهن كنيدي في مخه فتوفي على الفور..

ولكن في ظل الرعب والضجيج الذي ساد القاعة لوحظ شيء غريب.. فمنذ اللحظة التالية لإطلاق النار بدأت على سرحان ملامح الذهول والصدمة كما لو كان آخر من يعلم بما حدث... فبعد حادث الاغتيال لم يحاول الهرب أو المقاومة بل ظل متسمرا في مكانه حتى تقدم منه أحد الحضور وسحب المسدس بهدوء.

أما بالنسبة لسرحان فإن آخر ما يتذكره أنه كان في حانة مع أحد أصدقائه - الذي لم يعد يتذكر اسمه ولا شكله - والذي أخبره بوجود مؤتمر للصهاينة يحييه روبرت كينيدي في فندق الامباسدور الأمر الذي أثار حنقه وسأله إن كان يود الحضور فوافق على الفور... وقد أكد عدد من كبار ضيوف الحفل أن سرحان بشارة كان في غيبوبة تامة وحالة من اللاوعي عقب عملية الاغتيال واستمر على هذا الوضع حتى في الأيام التي تلت اعتقاله لدرجة أن رئيس التحقيق اضطر لاستدعاء الدكتور برنارد دايموند عالم النفس وخبير التنويم المعروف، والبروفيسور في جامعة كاليفورنيا.

ومنذ البداية لاحظ دايموند أن سرحان يسهل تنويمه مغناطيسياً بسرعة فائقة (وهذا دليل على مروره بجلسات تنويم سابقه) كما



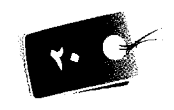


اكتشف أن ذاكرة سرحان قد محيت تماماً بعد ماض معين وأنه - أي دايموند - عاجز تماماً عن استخراج أي حقائق أو معلومات تتعلق بالحادث.. وفي السجن لاحظ مهارة سرحان في تنويم نفسه مغناطيسياً عن طريق التحديق في مرآة لمدة طويلة ثم ظهوره بشخصية مختلفة!!

وبعد دراسات وتجارب مضنية - استعان خلالها بخبراء آخرين - تبنى الدكتور دايمون الفكرة القائلة بأن "سرحان كان مبرمجاً من قوى خارجية لتأدية أعمال معينة في أوقات محددة"..

وقد شهد الدكتور دايموند بما اكتشفه أثناء المحاكمة، وحين حاول رئيس المحكمة التشكيك بما يدعي سحب ورقة بيضاء ونوم سرحان مغناطيسياً وطلب منه كتابة موقفه من كينيدي فكرر نفس العبارات المقولبة الّتي كررها كثيرًا أثناء التحقيق..

وكانت تلك العبارات قد اكتشفت في مذكرات سرحان وأخذت عليه كدليل اتهام - رغم إمكانية استعمالها أيضا كدليل على تعرضه لغسيل مخ - ومن ذلك: روبرت يجب أن يقتل/ يجب أن يصفى/ يجب اغتياله قبل الخامس من حزيران /اغتياله مهمتك الأساسية (الخ)..



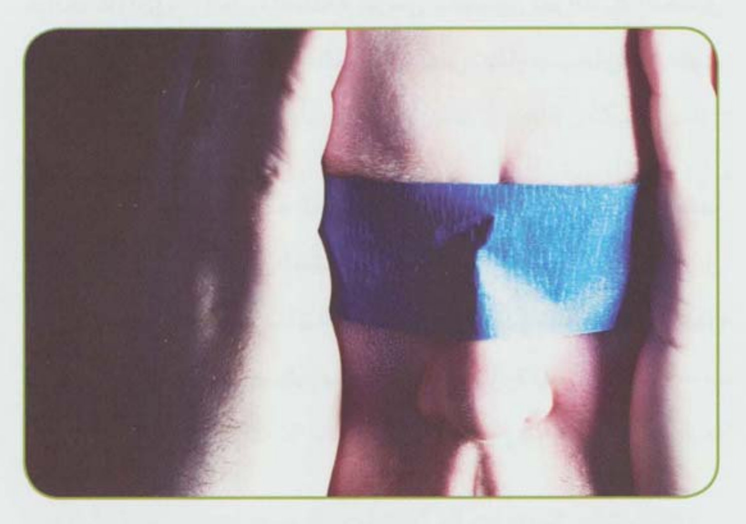
وحين سئل سرحان عن تلك العبارات ادعى أنها من أساليب التنويم الذاتي الّتي تعلمها من مجلة "روزيك روشان"....

ورغم إدانة سرحان إلا أنه حدث بعد سبع سنوات أن أعيدت المحاكمة بطلب من إدوارد سمبسون الطبيب المشرف على سجن سانت كاونتي.. وأثناء المحاكمة عرض سمبسون ثغرات في التحقيق وأكد الآراء السابقة حول السيطرة على عقل سرحان من قوى خارجية...

وبعكس المرة السابقة لم ترفض المحكمة هذا الادعاء ولكنها أيضاً لم تجد ما يبرر إسقاط التهمة عن سرحان.. وفي ابريل ٢٠١١م رفضت لجنة قضائية للمرة الأخيرة طلب العفو عن سرحان رغم بقاء ثلاثة سنوات على مدة العقوبة المقررة له أصلاً.



وقضية كاندي جونز



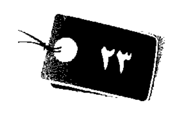
في هذا المقال سنتحدث عن قضية أخرى لا تقل غرابة عن قضية بشارة سرحان ذكرها المؤلف الأمريكي (دونالد باين) في كتاب يدعى "اغتصاب عقل كاندي جونز" .. وكاندي جونز فتاة أمريكية عادية قادها سوء الحظ للعمل خلال سنوات الحرب الباردة كآلة "مبرمجة" لصالح المخابرات الأمريكية.

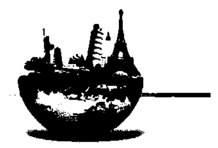


وقد بدأت القصة عام ١٩٧٣ حين تزوجت كاندي من نجم إذاعي معروف يدعى (جون نيبل). وفي ليلة الزفاف نهضت من فراشها وذهبت باتجاه النافذة بقصد إسقاط نفسها والانتحار. ولحسن الحظ تنبه نيبل إلى نية عروسه فأنقذها في الوقت المناسب. والذي أدهش نيبل أكثر من غيره أن زوجته لم تكن هي التي عرفها.. لم تكن كاندي الساذجة المرحة. صحيح أن الجسم واحد والهيئة واحدة ولكنها بدت لثوانٍ إنسانة أخرى باردة، واثقة، ذات قسمات صارمة - ثم فجأة عاد كل شيء لطبيعته!

الجميل في الأمر أن الزوج (جون نيبل) كان من هواة علم النفس وكان يمارس التنويم المغناطيسي على سبيل الهواية والتسلية. وبعد تلك الليلة قرر إخضاع زوجته الجديدة لجلسات من التنويم لكشف ماضيها وما يخفيه عقلها الباطن من أسرار - فماذا وجد وبماذا اعترفت له:

في سنوات شبابها الأولى عملت كاندي كراقصة للترفيه عن الجنود الأمريكان في كوريا وفيتنام. وكانت تعد عملها هذا من باب المجهود الوطني (!) وهناك تعرفت على عناصر في المخابرات الأمريكية وقبلت عرضهم بالقيام بمهمات مكوكية لصالح عمليات التجسس حول العالم.





وبعد عملها معهم لفترة بسيطة وجهوها للعمل مع عالم نفس مشهور في كاليفورنيا قدم نفسه على أنه باحث متعاون مع المخابرات يدعى الدكتور (جونسون).. ومنذ ذلك الحين تحولت كاندي إلى ألعوبة بيد هذا الشيطان وأصبحت مجرد آلة مبرمجة لتنفيذ أوامر الـ(C.I.A)!؟

فمنذ البداية عمد الدكتور جونسون - ولا أحد يعرف حقيقة شخصيته - إلى "غسل مخ" كاندي وإعادة تهيئته من جديد. وكان يعمد في ذلك إلى جلسات دورية من التنويم المغناطيسي واستعمال أدوية ومركبات معروفة بتأثيرها على الدماغ. وخلال فترة بسيطة أحكم سيطرته على عقل وشخصية كاندي فأصبحت بين يديه كدمية تحركها الحبال. وفي أحد اجتماعاته مع المخابرات أخذها معه لإثبات نجاح أبحاثه في السيطرة على البشر؛ وقد عمد في ذلك اللقاء إلى تنويمها بعمق وأمرها بإتيان أعمال فاضحة وغريبة، وتحدى أحد الضباط بأن يحرق بولاعته أماكن عديدة من جسدها دون أن تنبس ببنت شفة.

وفي الواقع وصلت سيطرة الدكتور جونسون على هذه الفتاة درجة أنه خلق بداخلها شخصية خيالية تتناسب مع طبيعة المهمات التجسسية التي تؤديها؛ فقد عمد بأساليبه النفسية إلى ابتكار

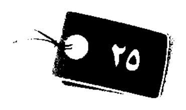
شخصية أخرى باردة، واثقة، حذرة أسماها (أرلين).. وأرلين هذه تشبه شخصية (جيمس بوند) لا تدري حتى كاندي بوجودها ولا تظهر إلا في حالتين فقط:

الأولى: حين يستدعيها جونسون بنفسه.

والثانية: حين تغادر الولايات المتحدة في مهمة رسمية - فعند ذلك تتولى أرلين قيادة جسد كاندي!!؟

وكانت المهام الرئيسية لكاندي تتعلق بإيصال الرسائل والأوامر إلى قادة العمليات التجسسية حول العالم. وكانت قبل كل عملية تستدعي لمقر المخابرات وتسلم مظروفاً أصفر تؤمر بحملة إلى جهة يتفق عليها.. ولم تعلم كاندي أن "المظروف" كان فارغاً على الدوام؛ فالمعلومات الحقيقية كانت تخزن - أثناء التنويم - في ذاكرة "أرلين" وتنقل شفهياً إلى الطرف الآخر حالما تعود إلى شخصيتها الحقيقية!!

وكان هذا الإجراء مجرد احتياط أمني حقق الغرض منه أكثر من مرة؛ ففي عام ١٩٦٦ مثلاً كانت في مهمة رسمية لتايوان حين تم اختطافها من قبل ثلاثة رجال صينيين يعملون لحساب "دولة منافسة". وكان اهتمام المختطفين متركزاً على ما بداخل المظروف





الذي تحمله. وحين لم يجدوا بداخله شيء بدءوا بإخضاعها لأقسى أنواع التعذيب لأربعة أيام متصلة... وفي النهاية اقتنعوا بأنها لا تعرف شيئاً (وهذا صحيح لأنهم كانوا يتعاملون مع أرلين في حين أن المعلومات مخزنة في ذاكرة كاندي)!!!

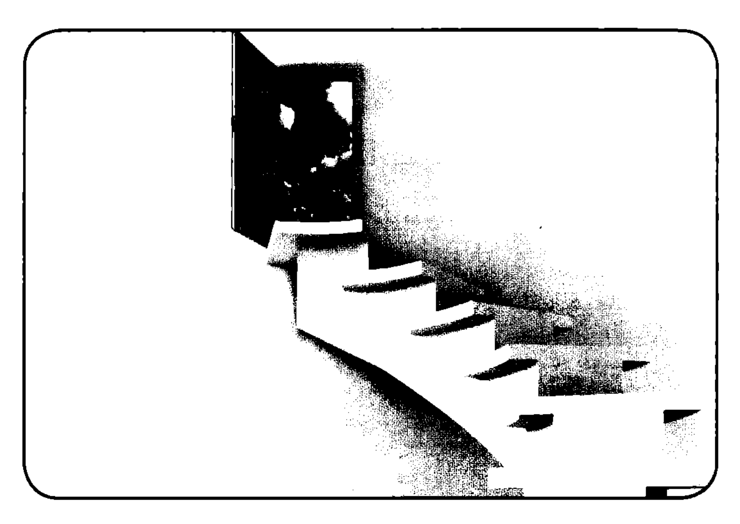
ومع بداية السبعينات بدأ التفكير جدياً في التخلص من كاندي بسبب كبر سنها وتأثير الممارسات النفسية عليها.. وحين اتخذ القرار فعلياً عمد الدكتور جونسون إلى (حيلة قديمة) قذرة هي برمجة عقلها كي تنتحر طواعية برمي نفسها من نافذة الفندق في ليلة زفافها.. ولكن ما حدث في تلك الليلة أن العناية الإلهية شاءت أن يكون بجانبها زوج محب أنقذها من هلاك محقق...

والآن يعتقد - بعد نشر القصة الحقيقية لكاندي جونز - أنه قد تم الكشف عن السر الحقيقي لحوادث الانتحار التي مر بها كثير من عملاء ال (C.I.A).

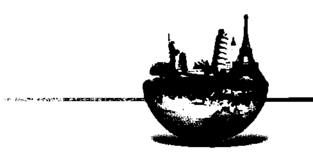
أما بالنسبة لي فمن خلال هذا المقال - والمقال السابق - ومن خلال متابعتي لقضايا مشابهة أتساءل إن كانت حوادث الاغتيال التي حصلت في (بعض) الدول وقامت بها عناصر قدمت من الخارج.. أتساءل إن كانت قد تمت على أيدي قتلة "مبرمجون"!!.

الصعود للهاوية





كنت - وكان فعل ماضٍ - معجباً دائمًا بتفوق ألمانيا الشرقية (كما كان يطلق عليها) في المجال الرياضي. فرغم قلة عدد سكانها كانت دائمًا لا تبارح أحد المراكز الثلاثة الأولى في معظم الدورات الأولمبية. وفي الدورات الأولمبية لم يكن يبزها سوى الاتحاد السوفيتي السابق لعظم إمكانياته وكثرة سكانه - وبالطبع لإتباعه



(نفس الأساليب) الغير مشروعة التي اتبعتها السلطات في ألمانيا الشرقية السابقة!؟

وحين توحدت الألمانيتين كان أغلب ظني أن ألمانيا الموحدة ستتبوأ المركز الأول رياضياً على مستوى العالم؛ فالتصور في ذهني كان ببساطه هو:

طالما إن ألمانيا الشرقية تحتل دائمًا المركز الثاني بفارق بسيط عن الاتحاد السوفيتي وأن ألمانيا الغربية لم تكن تبارح المراكز العشرة الأول؛ فإن انضمامها معا سيعني اكتساح العالم رياضياً!؟

إلا أن هذا لم يحدث أبداً... فبدلاً من ذلك هبطت الهمم وانخفض المستوى، والأردأ من ذلك كله فُضحت الوسائل غير المشروعة التي كان يتبعها الشتاسي (جهاز المخابرات السابق) لدفع رياضي الشطر الشرقي لمزيد من التفوق.

فالتميز الرياضي كان أحد أهداف السلطات الشيوعية السابقة. وهي في سبيلها لتحقيق ذلك عمدت إلى وسائل علمية وبيولوجية غير مشروعة لم يكن بالإمكان الكشف عنها في ظل الغطاء المحكم الذي وفرته لها الدولة.

ولكن بعد الكشف عن ملفات المخابرات الشرقية الـ(شتاسي)



صدم العالم بدور عمليات تعاطي المنشطات والمقويات في جعل لاعبي هذه الدولة من أبرز رياضي العالم.. المذهل في الأمر أن تعاطي تلك المنشطات كان يتم بإشراف علماء أفذاذ يعملون لصالح الدولة. وكانت السلطات الشيوعية ترمز لتلك المنشطات عموماً بـ(يو.أم) لإخفاء هويتها حتى عن الرياضيين أنفسهم. فقد ورد – على سبيل المثال – في إحدى المذكرات الرسمية الموجهة لمعهد التحكم والأبحاث في كرايشا ما نصه: "سعياً نحو هدفنا في ضمان احتلال الرياضة في ألمانيا الشرقية موقع القمة.. وإظهار تفوق المجتمع الاشتراكي على الرأسمالي يسمح باستعمال مجموعة (يو.أم) مع ضمان عدم إثبات استعمالها في المناسبات الدولية".

وقد لعب معهد كرايشا للتأهيل الرياضي دوراً كبيراً هذه الفضيحة. وكما هو المتبع في أي مؤسسة أو دائرة حكومية كان نائب الرئيس رجل من الشتاسي تولى لفترة طويلة مهمة الإشراف على رياضي الدولة ورفع تقارير عنهم. وتكشف الوثائق التي تعود إلى عام ١٩٧١م عن تورط "مانفريد إينالة" في تلك الأعمال – الرجل الذي ظل لفترة طويلة رئيساً للاتحاد الرياضي في ألمانيا السابقة.

وفي الحقيقة بدأت أول الشكوك تحوم حول تلك الممارسات حين اكتشف أمر العداءة مارليزجير عام ١٩٧٥؛ فقد عمدت جير إلى تعاطي ثلاثة جرعات من المنشطات (ولم تزل ناشئة) بدلاً من





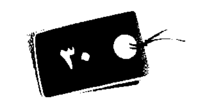
جرعتين كما وصف لها. وكان تأخرها في تعاطي آخر جرعة هو الذي فضح أمرها حين لم يمر الوقت الكافي لاستحالة كشف العقار!!

أيضاً من الوسائل التي اتبعها الألمان في الشطر الشرقي بناء صالات مغلقة تحت الأرض تتميز بانخفاض الضغط الجوي فيها؛ وكان من شأن التدريب في تلك الظروف زيادة قوة الاحتمال لدى المتدربين ورفع أعداد كريات الدم لديهم (ولا نستطيع القول أن هذا الأسلوب غير مشروع).

وبالإضافة إلى الوسائل البيولوجية والعلمية عمدت السلطات الشرقية إلى أساليب (قهر، وضغط) نفسية واجتماعية لإجبار رياضييها على التفوق.

فعلى سبيل المثال يحرم الرياضي من مزايا مادية واجتماعية - قد يتمتع بها المواطن العادي - في حاله تدني مستواه. وكانت المكافآت والرواتب الدورية تربط بدون أي تهاون بتحقيق رقم قياسي أو إنجاز عالمي جديد.. وبالمقابل كان المتفوقين في أي مجال رياضي يحظون بمعاملة الأبطال ويتمتعون بامتيازات يحسدهم عليها العامة وكثيرا ما يظهرون بمعية رؤساء الحزب وأصحاب المناصب العليا..

على أي حال دعني أخبرك بحقيقة شبه مؤكدة تحدث على مستوى العالم ككل:



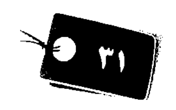
في كل دولة تقريبا اتبعت وسائل وطرق كان الهدف منها دفع الرياضيين إلى مزيد من المنافسة والتفوق. ولأن معظم تلك الأساليب "طرق محلية" نابعة من صميم كل ثقافة؛ كان من الصعب الكشف عنها أو (الاتفاق عالمياً) على أنها محرمة وغير جائزة...!؟

فالتفوق الذي لوحظ مؤخراً على مستوى العالم للرياضيين الصينيين يعيده مدرب ألعاب القوى " زين هاوشن " إلى خلطات سرية مقوية تعود لقرون عديدة مضت (من بينها دماء التماسيح وبول السلاحف وعظام النمور)!

وبالنسبة للاتحاد الدولي فأنه لا يملك الدليل ولا السلطة لأدراج تلك " الخزعبلات " على أنها منشطات أو مواد مقوية!؟

أما في الولايات المتحدة فانتشر مؤخراً مشروب مقوٍّ بين لاعبي السلة كان حتى وقت قريب حكراً على الرياضيين الروس ووصفه سرية لا يجوز إفشاءها خارج المعسكر الشيوعي.. وقد احتارت الاتحادات المحلية في تصنيف هذا المشروب؛ فهو لا يحتوي على منشطات محرمة ؛ إنه - حسب ما يقال - مجرد محلول " مفجر للطاقة " يضم نسبة عالية جدًا من الأوكسجين النقي!!!

وبدون شك ستكشف الأيام عما هو أغرب!





الأيادي المجهولة



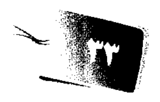
سميرة موسى، فتاة عربية قدمت من صعيد مصر وأبدت نبوغاً علمياً مبكراً وكافحت حتى تحصلت على درجة الدكتوراه في الفيزياء النووية.. وكان تفوقها مدعاة لإرسالها للولايات المتحدة لاكتساب مزيد من العلم والخبرة وهناك عُرِضت عليها الجنسية الأمريكية وقدمت لها شتى المغريات كي تبقى إلا أنها رفضت تلك العروض فاغتيلت (عام ١٩٥٣) وقيدت القضية ضد مجهول...!؟



ونفس القصة تكررت مع عالم عربي آخر يدعى سمير نجيب كان متفوقاً في علوم الذرة وعمل فترة ليست بالقليلة في الولايات المتحدة، ومع ذلك رفض كل مغريات البقاء فاغتيل (في ديترويت عام ١٩٦٧م) قبل يوم واحد من عودته لمصر...؟!

وتعتبر هاتين الحادثتين أول ما لفت الأنظار إلى وجود جهات مجهولة تترصد نوابغ العرب في مجال الأبحاث الذرية بالذات.. فمن الملاحظ أن المتفوقين في هذا المجال يتعرضون لضغوط ومغريات كثيرة للبقاء حيث هم؛ أما من تجرأ وعاد لوطنه فنسبة الاغتيال بينهم أو لنقل الحوادث المصطنعة تتعدى حدود الصدفة وتتجاوز قانون الاحتمالات...!

وفي كتاب "ملف إسرائيل السري" يتحدث المستشرق الفرنسي فانسان مونتوي عن جرائم الموساد التي استهدفت العرب بعد حادثة ميونيخ الشهيرة. فعلى حد قوله جندت إسرائيل فريقاً من القتلة المحترفين لاغتيال قيادات وعلماء العرب في مجال الذرة ممن يشكلون خطراً على أمن إسرائيل. وهكذا اغتيل محمود الهمشري في ديسمبر ١٩٧٢م والدكتور باسل القبيسي في إبريل ١٩٧٣، ومحمد بو ضيا في يونيو ١٩٧٣، ومحمود صالح في فرنسا، وعادل زعيتر في إيطاليا.. وآخرها القيادي الفلسطيني محمود المبحوح في دبي ٢٠١٠م.





وفي نفس الكتاب يورد مونتوي تفاصيل دقيقة عن التنظيم السري الإسرائيلي ويعطي أسماء أفراده فردا فردا بما فيهم قائد الفريق "إيرلي ليفنان" الذي كان ملحقاً عسكرياً في السفارة الإسرائيلية في باريس!

ولما كان مونتوي صديقاً شخصياً لمحمود الهمشري قدم ما لديه من معلومات إلى القضاء الفرنسي.. وفي البداية اهتمت السلطات الفرنسية بتلك المعلومات إلا أنها في مرحلة لاحقة أوقفت التحقيق بدون أسباب واضحة الأمر الذي دعا مونتوي إلى نشر معلوماته في كتاب مستقل!!!

وفي الواقع إن منع نوابغ الذرة من العودة لأوطانهم أمر موجه لدول العالم الثالث عموماً ووسيلة تلجأ إليها الدول الكبرى لإحكام سياستها في "عدم انتشار الأسلحة النووية".. بل قد يصل الأمر لنوع من (الاحتكار الأكاديمي) حين يمنع طلبة إحدى الدول من التخصص في مجال علمي معين - كما حدث مع الطلبة الليبيين في أمريكا أثناء أزمة المواجهة بين الطرفين في الثمانينات...!؟

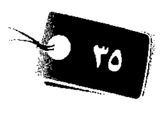
أيضاً لا يغيب عنا مغزى الضجيج الإعلامي الذي رافق انهيار الاتحاد السوفيتي السابق والخوف من هجرة علماء الذرة الروس

إلى دول المشرق العربي، وحرص الولايات المتحدة على دفع رواتب سخية للبقاء حيث هم!؟

ولكن ماذا يحدث لو وصل أي مشروع عربي - عسكري أو نووي- إلى مراحله النهائية...!؟

في الواقع لعل كثيرًا منا سمع بقضية اغتيال المخابرات الإسرائيلية للعلماء الألمان العاملين في مشاريع الصواريخ المصرية - الناصر والظافر - زمن الرئيس جمال عبد الناصر. كما لا يغيب عنا تدمير المقاتلات الإسرائيلية للمجمع النووي في العراق وإجهاض المشروع في مهده. وكان فريق من الكوماندوز الإسرائيلي قد قام عام ١٩٧٩م بتدمير مفاعلين نوويين كانا في سبيلهما للإبحار من فرنسا للعراق وأكملوا المهمة بعد ١٤ شهراً (في يونيو ١٩٨٠م) باغتيال عالم الذرة العربي يحيى المشد في فندق الميرديان بباريس!!!

.. وكان يحيى المشد - المصري الجنسية - متعاقداً مع الهيئة النووية العراقية لإدارة برنامجها النووي، وكان كثير التردد على باريس للإشراف على استلام تجهيزات العراق النووية من فرنسا. وقد ذكرت مجلة "العلوم والحياة الفرنسية" أن الدكتور المشد هو "الوحيد في العالم العربي القادر على رعاية مشروع نووي ضخم وأن موته سيكون سبباً في تأخير المشروع العراقي لسنتين على الأقل.."!



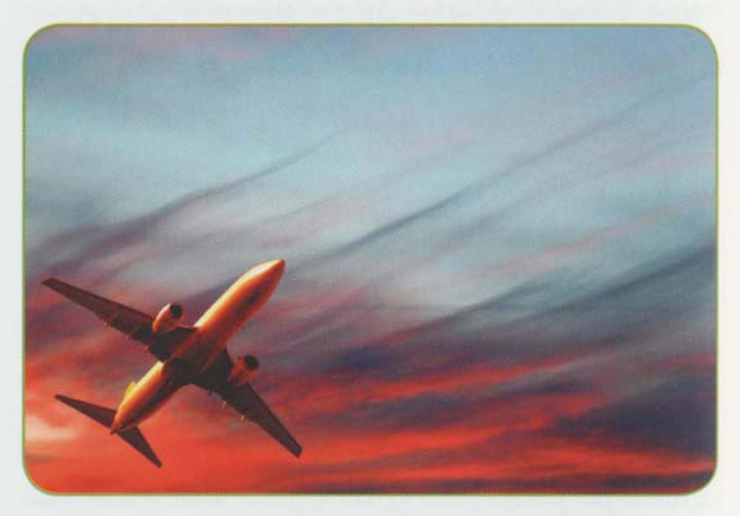


وحسب علمي آخر (اغتيال أكاديمي) من هذا النوع كانت اغتيال العالم سعيد سيد بدير (ابن الفنان سيد بدير) حين ألقي من شرفة منزله في الإسكندرية بعد وصوله من ألمانيا بوقت قصير. وكان "سعيد" يعمل في مشروع دوائر الميكروويف ذات العلاقة بالأبحاث النووية في جامعة ديزبرج حين بدأت جماعة يهودية في تعقبه وتهديد عائلته لمنعه من العودة لمصر أو حتى للتعاقد مع وكالة ناسا الأمريكية. ولكن في غفلة من الجميع هرب سعيد بدير مع عائلته إلى مصر، إلا أن "الأيادي المجهولة" تعقبته إلى هناك وقضت عليه.





العملية جينفر



من باب "استعراض العضلات" كانت إحدى الغواصات الروسية تتبختر خارج حدود المياه الإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨. وفجأة وبدون أسباب معروفة هز انفجار مروع أجزاء الغواصة فهوت إلى أعماق المحيط وفي داخلها أكثر من مائة بحار ومتخصص..





ولم تكن تلك الغواصة من النوع العادي على الإطلاق، بل كانت واحدة من أحدث ما أنتجته تقنية الاتحاد السوفيتي، إضافة إلى أنها كانت تضم عدداً من الصواريخ النووية وأجهزة التصويب المتقدمة.

وحدث أن أطلقت الغواصة قبل غرقها إشارة استغاثة ضعيفة لم تستطع البحرية السوفيتية التقاطها بينما تمكن الأمريكان من ذلك واستطاعوا تحديد مكان الغواصة لاحقاً. ومرت شهور طويلة والأسطول السوفييتي يبحث في قاع المحيط بدون كلل أو ملل، ولكن لا حياة لمن تنادي!

أما بالنسبة للولايات المتحدة فإنها فضلت التغاضي عن الحادث وقررت انتشال الغواصة للإطلاع على التقنية السوفيتية المتقدمة في هذا المجال. ولم تكشف أمريكا عن هذا السر إلا بعد أن انتهت من تنفيذ أضخم عملية انتشال في التاريخ استمرت لسبع سنوات شارك فيها ٤٠٠٠ شخص - غير العلماء والمتخصصين - وكلفت ما يربو على ٣٥٠ مليون دولار بأسعار ذلك الوقت وأحيطت بسرية شديدة!

وقد اتخذ للعملية اسم رمزي هو (جينفر) وأشرفت المخابرات الأمريكية على تنفيذها وتمت تحت ستار البحث عن معدني التيتانوم والمنجنيز في قاع المحيط. وبلغ من ضخامة عملية الانتشال أن بنيت



لها سفينة هائلة لم تستطع المرور من قناة بنما بلغ وزنها ٣٦٠ طناً وكانت بمثابة "منصة عمل رئيسية".

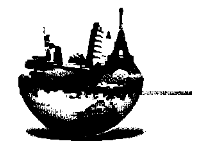
ولكن بعد كل ذلك المجهود، وحين أوشك الصيد الثمين على الخروج من الماء انكسر بدن الغواصة وهوى ثلثا جسمها إلى القاع مجدداً. واكتفى الأمريكان بما وقع بين أيديهم وانتهت العملية عند هذا الحد بعد انتشال المواد الخطرة.

ولكن كما يقال التاريخ يعيد نفسه دائمًا!

ففي عام ١٩٨٣م فجر الروس طائرة ركاب كورية قادمة من أمريكا بعد أن دخلت مجال جزيرة سخالين الروسية. وتقول الفرضية إن كابتن الطائرة (أيّاً كان سبب دخوله المجال الجوي الروسي) قد أدى خدمة جليلة للمخابرات الأمريكية التي علمت بوجود أنظمة جديدة للرادارات نصبها الروس على حدودهم مع اليابان. وكي يتاح لأقمار التجسس الأمريكية رصد تلك الأنظمة وتحديد أماكنها بدقة كان لا بد أولاً أن تعمل بكامل طاقتها.. وكانت الطائرة هي الطعم!؟

وفعلاً حدث ما توقعه الأمريكان؛ فبفضل تعاون قائد الطائرة تم رصد تلك الأنظمة بشكل أظهر تلك الرادارات كأشجار الكريسماس





(كما هو تعبير أحد المسئولين في الحكومة). ولكن الشيء الذي لم يتوقعه أحد هو أن يتجرأ الروس ويسقطوا طائرة مدنية بها عدة جنسيات عالمية!؟

وكي لا يعثر الأسطول الأمريكي على بقايا الطائرة زرع الروس في قاع البحر أجهزة تصدر إشارات مشابهة لتلك التي يطلقها الصندوق الأسود من الطائرة المنكوبة!؟

وفعلاً حصل ما أراده الروس ؛ فقد بحث الأسطول الأمريكي في مكان آخر في نفس الوقت الذي كان فيه السوفييت ينتشلون بقايا الطائرة وجثث الركاب من الموقع الحقيقي تمهيداً لإخفائها تماماً.

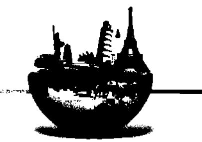
قناة سويس.. لإسرائيل



قبل أن تصبح إسرائيل حقيقة واقعة كانت أحلاماً ومشاريع في أذهان آباء الحركة الصهيونية. وكانت "الاستراتيجية المائية" أحد أهم القضايا التي نوقشت قبل قيام تلك الدولة.

فمن أهم المشاريع الحيوية التي ذكرها هرتزل في كتاب (الأرض القديمة الجديدة، ١٩٠٢م) مشروع قناة البحرين الذي يهتم بشق



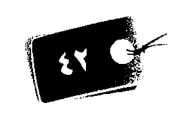


قناة مائية تربط البحر الأحمر أو المتوسط بالبحر الميت. ومن العجيب حقاً أن المشروع ظل واضحاً في أذهان الحكومات المتعاقبة منذ ذلك الوقت حتى أصدرت حكومة الليكود قراراً ررسميًا بالمشروع في الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٨٠م.

وبالنسبة لإسرائيل للمشروع فوائد جمة؛ فهو مثلاً سيشكل حاجزاً مائياً يمنع الجيوش العربية من مهاجمة إسرائيل (طبعاً لو فكرت بذلك). كما من شأن ذلك أن يعزز من قدرات إسرائيل النووية والصناعية بفضل الفوائد الثانوية له (كتبريد المفاعلات النووية المزمع إقامتها على امتداد القناة)!؟

أضف إلى ذلك أن تدفق مياه البحر المتوسط إلى البحر الميت (من ارتفاع ٤٠٠ متر) سيتيح لإسرائيل توليد ١٥٠ ميجاوات من الكهرباء توفر لها ٦٥٠ مليون دولار كل عام. كما يسعى المخططون إلى استغلال تفاوت منسوب البحرين (حيث البحر الميت أكثر المناطق انخفاضاً في العالم) في تشغيل محطات لتحلية المياه يستفاد منها في زراعة أراضي النقب.. ويعول الإسرائيليون على استقطاب رؤوس الأموال الضخمة للاستفادة من الإمكانيات الصناعية والسياحية للمشروع!؟

هذا عن إسرائيل ولكن ماذا عن الأردن الشريك الآخر في البحر الميت؟



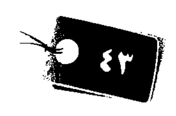
الوضع مازال غير واضحاً ومحيراً بعض الشيء - شأن جميع إفرازات السلام مع إسرائيل!

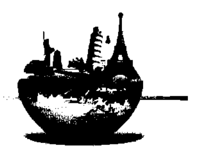
ففي حالة تنفيذ المشروع سيرتفع سطح البحر الميت حوالي المتر.. وهذا سيؤدي إلى اتساع حوض البحر الأمر الذي سيغرق المنشآت الصناعية للأردن على الضفة الأخرى.. أضف إلى ذلك ستغمر المياه المتدفقة (٣٥٠) هكتاراً من الأراضي الزراعية في غور الأردن، وحوالي (١٠٠٠) كم مربع من الأراضي الشمالية للبحر الميت!؟

ومن المؤكد أن تدفق مياه المتوسط بتلك الكميات سيخفف من تركيز الأملاح والعناصر المعدنية في البحر الميت وستكون النتيجة المباشرة تضرر صناعات البوتاسيوم في إسرائيل والأردن على حد سواء - غير أن إسرائيل مستعدة للتضحية بـ(٢٠) مليون دولار سنوياً عوائدها من صناعات البوتاسيوم مقابل فوائد أكبر سيوفرها ذلك المشروع.

ومع كل ذلك نجد أن للأردن موقفاً مسالماً حيال هذا المشروع!؟

فبعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل (في أكتوبر ١٩٩٤) أصبح هناك تفاهماً مشتركاً بين الطرفين بهذا الخصوص...!





فحسب ما صرح به وزير المياه الأردني (المهندس سمير قعوار "للشرق الأوسط" في إبريل ٩٦) فإن شركة أردنية إسرائيلية تقوم بدراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع لتنفيذ ثلاث خيارات هي:

الأول: يتضمن إقامة قناة من البحر الأحمر للبحر الميت

والثاني: من البحر المتوسط إلى نهر الأردن - جنوب بحيرة طبرية - تنتهي في منطقة وادي البايس...

أما الخيار الثالث: فيتمثل في شق قناة من البحر المتوسط في مدينة غزة إلى البحر الميت عبر منطقة الخليل...والأردن يعول كثيرًا على المشروع الأول ويأمل أن يساهم - من وجهة نظر أردنية - في رفع منسوب البحر الميت لتعويض النقص المطرد في مياهه...

وفي الواقع أن حفر قناة تصل بين البحر الميت والبحر الأحمر من شأنه منافسة قناة السويس حيث يمكن للسفن الدخول إلى البحر الميت (الذي سيتحول لميناء مزدهر بالتأكيد) ومنه ستنتقل إلى البحر الأبيض المتوسط عن طريق القناة الأخرى!؟

ومن العجيب أن بريطانيا فكرت بهذا المشروع قبل حفر قناة السويس ونصحت بذلك اللجنة التي كونتها بريطانيا عام ١٨٥٠ برئاسة الضابط وليام آلن لاعتقادها أن "قناة السويس" لن تظل في يد بريطانيا إلى الأبد.. وهذا ما حدث فعلاً!



وفي حين يسعى الإسرائيليون بجد لإيجاد تمويل لهذا المشروع الجبار نسمع بالمقابل من ينادي بردم قناة السويس لصالح مصر!!؟

فقبل فترة قرأت لأحد كتاب "روز اليوسف" تحليلاً يطالب فيه بردم قناة السويس؛ لأنها – حسب زعمه – تعيق مشاريع استراتيجية كبيرة نافعة أكثر من دخل القناة.. فهو يرى أن وجود القناة يعزل أرض سيناء عن التراب المصري ويحول دون ازدهار تلك المنطقة وإعمارها بالسكان. وفي رأيه أن ري سيناء بـ(الأنابيب) لا يقارن أبداً بعظم الفوائد المرجوة من سحب المياه من النيل "بشكل طبيعي".. أضف لذلك أن قناة السويس تعزل سيناء عن مصر من الناحية العسكرية الأمر الذي يضعف الجبهة المصرية في الشرق ويشكل عائق أمام حمايتها – كما حدث عام ٧٣ – وفي أي حرب قادمة.. وفي جميع الأحوال لا ينسى الكاتب أن يذكرنا بأن مشروع قناة السويس لم يكن أصلاً نتاج "تخطيط مصري" بل هي فكرة بلورها ومولها الاستعمار الأوروبي!!





السادة أشباه السادة



المكانة العالمية لأي دولة يمكن قياسها بعدد المرات التي يظهر بها رئيس تلك الدولة في وسائل الإعلام. فنشرات الأخبار العالمية مثلاً لا تكاد تخلو من "الطلعة البهية" لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى مستوى أدنى من ذلك - أو لنقل يوماً بعد يوم - نرى رؤساء دول كألمانيا وفرنسا واليابان.. ثم تتدرج المستويات حتى



نصل لرؤساء دول في العالم الثالث أغلى أمانيهم أن يظهروا لمرة فقط على شاشة محطة عالمية مثل الـ (CNN) أو الـBBC

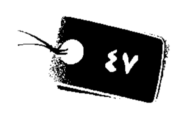
ولكن سؤالي هنا: هل من نراهم هم حقاً من يجب أن يكونوا ؟

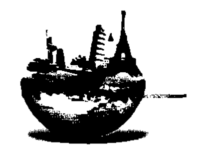
بمعنى هل الزعماء والرؤساء العالميين (خصوصاً الذين يتجرؤون على مصافحة الجماهير والاختلاط بهم في المناسبات العامة) هم الشخصيات الحقيقية أم أشباه لهم يتصرفون نفس تصرفاتهم ويتلبسون بنفس ملامحهم؟

...لا تعجب من قولي هذا ؛ فاستحداث شبيه لكبار الشخصيات أمر دارج ومعروف ووسيلة لا تدانيها وسيلة لحمايتهم من الخطر!!

والأمر ليس بالصعوبة الّتي نتصورها ؛ ففي عالم الفن والسينما يستطيع خبراء الماكياج استحداث شبيه لأي ممثل يقوم بدلاً عنه بالأدوار الخطرة أو يظهر معه في نفس اللقطة كأخ توأم. أضف لذلك أن في الدول الغربية وكالات متخصصة لا تضم بين أعضائها إلا من يشبه شبهاً كاملاً إحدى الشخصيات المعروفة.. فبمقابل ثمن مناسب يمكنك لأي غرض استئجار شبيه لمايكل جاكسون أو إلفس بريسلي أو مارغريت تاتشر أو حتى لملكة بريطانيا اليزابيث الثانية!

وفي الواقع لا أكشف سرًّا إن قلت إنه يجري في مايو من كل عام مسابقة في أوروبا لاختيار "أفضل شبيه لشخصية عامة"..





وأذكر أن المواطن البلغاري ليوبن كوفاتشيف كان قد اختير كأفضل شبيه للرئيس العراقي صدّام حسين والكسندر ديميتشيف كأفضل شبيه للمستشار الألماني السابق هلموت كول.. وظلت المدعوة "كريستينا هانس" تقوم بدور الشبيه للأميره ديانا لعشر سنوات متتالية. وقد أدى الشبه الكبير لكريستينا بالأميرة الملكية حد التخلي عن وظيفتها والتعامل مع وكالات إعلان ودعاية متخصصة الأمر الذي أهلها لكسب ٨٠٠٠ دولار يومياً. وكانت كريستينا قد قامت في أكتوبر ٩٦ بتصوير فيلم "مخل بالآداب" وجعلت عدة صحف تنخدع به وتظنه هرب من المقتنيات الشخصية للأميرة ديانا.

إذاً هل نتفق على أن إيجاد "الشبيه" ليس بمعضلة كبيرة؟

المعضلة الحقيقية أن حالات كهذه من الصعب الكشف عنها نظراً لدقة الصنعة، وبراعة الحبكة، وحساسية الموقف.. ولكن من المعروف حالياً أن الرئيس السابق لما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي "ليونيد بريجنيف" أصيب في آخر أيامه بمرض عضال ودخل في غيبوبة طويلة لعدة أشهر. وخلال تلك الفترة كان يطل على الجماهير "شبيه" صنعة مقربون تجرؤوا على تسيير دفة الحكم باسمه!

وخلال الفترة الأولى لولاية الرئيس الأمريكي السابق "رونالد



ريغان"، وأثناء جولة قام بها في وسط وغرب أمريكا تسرب الشك إلى الصحفيين بأن الواقف أمامهم ليس الرئيس الحقيقي بل شخص بديل عنه. وحين أثار هذا الموقف استهجان الصحف أصدر البيت الأبيض بياناً فند فيه تلك المزاعم وقال:

إن الاختلافات الّتي بدت على صوت وملامح الرئيس كانت بسبب "نزلة برد" ليس إلا. ولكن "جون شارب" المراسل الشهير لتلفزيون الـ(سي. بي. اس) يقول إن تحرياته أثبتت أن هناك فعلاً شبيه تم تدريبه وتوظيفه بعد محاولة اغتيال الرئيس السابقة!؟

وحسب تحريات شارب فإن الرجل الشبيه يعيش في جناح معزول في البيت الأبيض وأفردت له ميزانية خاصة وهو من ولاية كاليفورنيا وينتمي للحزب الجمهوري ويصغر ريغان بأربعة سنوات!

أما الرئيس الكوبي فيدل كاسترو فيدعي أنه تعرض لستين محاولة اغتيال. ولكن وبرغم الاعتقاد بأن هذا العدد مبالغ فيه فمن المؤكد إن كاسترو تعرض لأكثر من ثلاثين محاولة اغتيال حتى اليوم. وهذا (الحظ الخارق للعادة) جعل المخابرات الأمريكية. - التي تبنت معظم تلك المحاولات - تستنتج أن لكاسترو عدة بدلاء يشبهونه تماماً وينوبون عنه في المواقف الصعبة وقد تعرض كثير منهم للقتل فعلياً - ولكن بعد كل محاولة تفاجأ الجماهير بكاسترو الحقيقي يطل من وسائل الإعلام سليماً معافى.



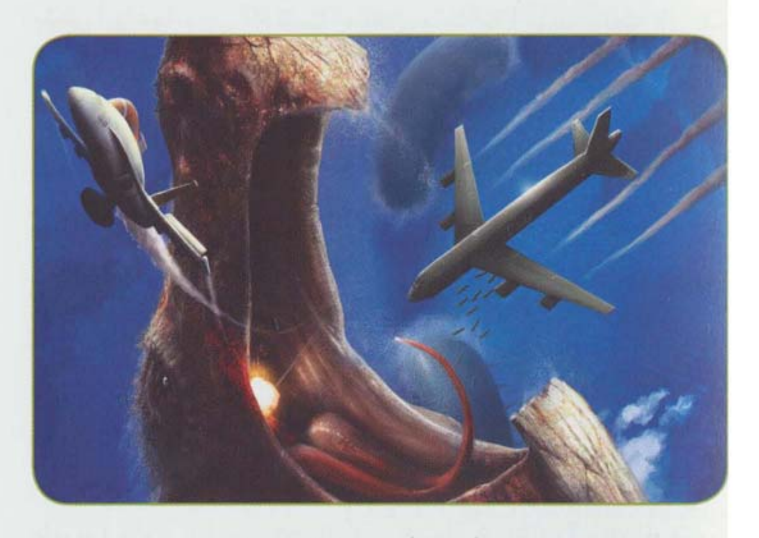


أما حالتنا الأخيرة لصنع الشبيه فهي حديثة نسبياً؛ ففي فبراير (١٩٩٥) كررت المخابرات العراقية محاولة اغتيالها للمدعو لطيف يحيى الّذي ظل لأربعة سنوات يقوم بدور الشبيه لـ"عدي" ابن الرئيس صدام حسين. وكان لطيف في الثالثة والعشرين من عمره ويعمل ضابطاً في الجيش العراقي حين درب للقيام بدور عدى نظراً للشبه الكبير بينهما. وأثناء حرب الخليج أمره صدام شخصياً بالقيام بزيارات للجبهات الأمامية كي ينفي شائعة هروب أفراد عائلته للخارج.. وفي لحظة من لحظات الجرأة استغل لطيف تقمصه لشخصية عدى فهرب مع أفراد عائلته إلى فيينا حيث حاولت المخابرات العراقية اغتياله لأول مرة عام ١٩٩٣م ثم في لندن بعد ذلك بسنتين.. وحالياً - وحتى بعد احتلال العراق وإعدام صدام- يعيش لطيف تحت حماية وزارة الداخلية البريطانية ؟

على أي حال لو حدث مرة وتسرب إليك الشك بخصوص أي شخصية تظهر أمامك فلا تستبعد أبداً أن يكون الأمر مجرد.. "نزلة برد".



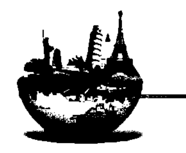
خدعة برمودا



تنقسم المثلثات إلى أربعة أنواع.. قائم، ومنفرج، وحاد، ومثلث برمودا..!

والمثلث الأخير بدون شك هو أغربها جميعاً وأكثرها إثارة للمتاعب وقد سمعنا عنه كثيرًا. وهذا المثلث - أي برمودا - مثلث وهمي في المحيط الأطلسي يقع رأسه الشمالي في جزيرة برمودا





ورأسه الغربي في ولاية فلوريدا ورأسه الجنوبي الشرقي في بورتوريكو وتبلغ مساحته ٧٧٠ ألف متر مربع...

وقد اشتهرت هذه المنطقة البحرية - كما نعلم - بأنها مكان لكثير من حوادث الاختفاء الغامضة للسفن والقوارب والطائرات بشتى أنواعها..

غير أن شخصي المتواضع لم ير في هذا الموضوع غير حوادث عادية ومعدودة - يمكن أن تقع في أي مكان في العا لم- بنيت حولها كثير من الأكاذيب والمبالغات، وساعد في ترويجها كتاب مهوسون من أمثال تشارلز بيرلتز صاحب أول وأشهر كتابين في هذا الموضوع "بدون أثر" و"مثلث برمودا"...

ولكن الحقيقة في نظري تبقى غير ذلك؛ فهذه المنطقة البحرية من أكثر المناطق ازدحاماً في العالم؛ ويومياً تتبختر بها يخوت أثرياء فلوريدا وتمر بها عشرات السفن التجارية القادمة والذاهبة من أمريكا ودول الكاريبي.. أضف لكل ذلك أن ما يسمى بمثلث برمودا منطقة تكثر بها التيارات البحرية العنيفة ويمر من خلالها "تيار الخليج" -أضخم تيار بحري في العالم حيث يبلغ حجم تدفقه ٢٩٠ مرة أكثر من مياه النيل..أضف لذلك إن وضع هذه المنطقة ليس فريداً في العالم؛ فهناك بقع بحرية عديدة مشابهة - أبرزها الّتي

في بحر اليابان - اجتمعت بها ظروف الازدحام البحري مع تطرف الأحوال الطبيعية...

ما أريد قوله هنا أنه بعد كل هذا هل من المستغرب أن تقع على مدى قرنين أو ثلاثة بضع حوادث اختفاء لا تثبت شيئاً بالتحديد ولا يمكن الاعتماد عليها لإثبات تميز هذه المنطقة!؟

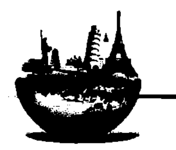
وفي الواقع إن حوادث الاختفاء المشهورة تعد على أطراف الأصابع.. من أهمها اختفاء خمسة قاذفات أمريكية فوق تلك المنطقة بدون أي أثر عام ١٩٤٥.. وكذلك اختفاء واحد وعشرين قارباً خلال العام ١٩٦٥، وأخيراً حوامة بحرية عسكرية عام ١٩٦٧ - ومنذ عشرين عاماً لم تسجل حادثة اختفاء واحدة تثير القلق أو لا يمكن إيجاد تفسير لها (... وبالمناسبة حتى القاذفات الخمسة التي اختفت عام ١٩٤٥ اكتشفت مؤخراً بواسطة فريق من الغواصين على بعد عشرة أميال من ساحل لردردال)*

إذا لم كل هذا الضجيج؟

ذكرنا في بداية المقال أن كُتّاب الخيال المجنح كانوا وراء شهرة هذه المنطقة. ومن الناحية المادية فإن أي كتاب يؤلف حول هذا الموضوع يوزع منه ملايين النسخ في أمريكا وحول العالم..

* ١٩٩٢م





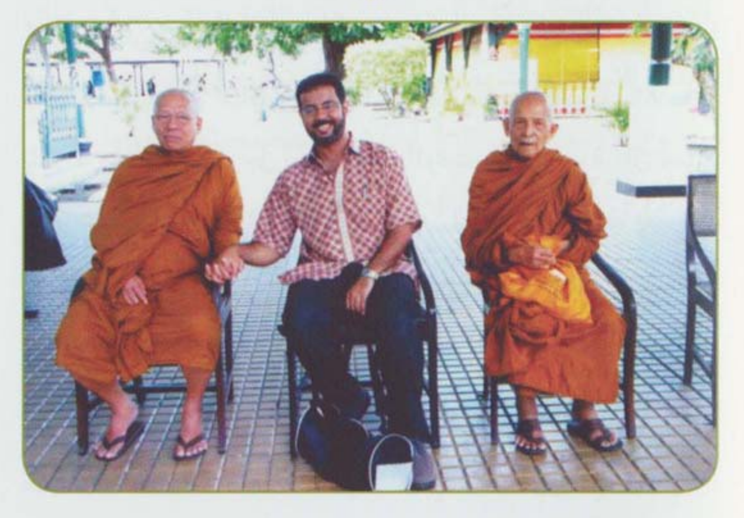
والأعجب من هذا كله - وهو الأمر الّذي أوحى لي بهذا المقال - أن تجار المخدرات في دول أمريكا اللاتينية استغلوا السمعة السيئة لمثلث برمودا لنقل سمومهم خلال المناطق المصنفة ك"ممرات بحرية خطرة".. أضف لذلك أن مثلث برمودا أصبح بسبب سمعته كمنطقة خطرة مكاناً مفضلاً لمارسة عمليات احتيالية تقوم بها بعض السفن التجارية؛ فمؤخراً على سبيل المثال رفضت شركة التأمين المعروفة (لويدز) دفع قيمة التعويض لناقلة نفط تدعى ١٩٩٢م "سَيلم" بعد أن أثبتت التحريات أن الناقلة المذكورة كانت تعمد إلى تهريب النفط والمهاجرين وأنها كانت تغير اسمها إلى (ليما) كلما توجهت إلى جنوب أفريقيا. وحين شعر ملاك الناقلة بافتضاح أمرهم أغرقوها عمداً في "مثلث برمودا" لقبض قيمة التأمين مستغلين السمعة السيئة لهذه المنطقة ؟

وفي الواقع هذه الحادثة تؤيد ما ورد في تقرير مشترك لشركات التأمين الأمريكية حول حوادث نصب عديدة جرى فيها إغراق السفن عمداً في تلك المنطقة لاستلام قيمة التأمين.. وقد جاء في ذلك التقرير أن ١٧ قارباً ويختا (من أصل أربعين) أغرقت عمداً عام ١٩٧٨ فقط لأغراض احتيالية أو غير قانونية ؟

إذاً هذه هي خدعة برمودا.

شعوب في سبيلها للانقراض

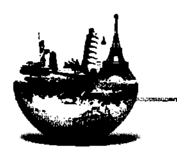




لأول مرة في التاريخ نرى أمماً تسير نحو الانقراض بطوعها واختيارها.. فمن الظواهر العجيبة التي ظهرت خلال المائة عام الماضية أن النساء أصبحن أقل إنجاباً، والأفراد أطول عمراً، والرجال أقل خصوبة * !!؟

* كما لفت لذلك لأول مرة دراسة بلجيكية ثبت صحتها في مناطق عديدة حول العالم.





ومثل هذا الأمر ترتب عليه ظهور مجتمعات للعواجيز كما هو الحال في ألمانيا واليابان وإيطاليا!!

ففي اليابان على سبيل المثال تبلغ نسبة الولادات (١,٧) طفل لكل امرأة.. بمعنى أن كل زوجين يعوضان المجتمع بذرية هي أقل حتى من أن تحقق حتى التوازن بين نسبة الأموات والأحياء. وما زاد الطين بلة أن اليابان تحقق أعلى نسبة لعمر الفرد (٨٣ عاماً للمرأة و٧٦ عاماً للرجل) وفي نفس الوقت هي صاحبة أقل معدل لوفيات الأطفال (٤,٥ حالة بين كل ١٠٠٠ مولود) - وهذا يعني أن اليابانيين أقل الشعوب تناسلاً وأكثرهم تمسكاً بالحياة الأمر الذي سيحولهم إلى مجتمع مهدد بالانقراض خلال قرن من الزمان.

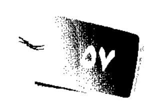
ووضع اليابانيين مجرد نموذج لحالة من الانقراض والشيخوخة تمر بها الدول الصناعية عموماً؛ ففي ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا ينخفض عدد السكان بالتدريج نتيجة لانخفاض معدل الولادات فيها (١,٣ طفل لكل امرأة) في حين أن نسبة الوفيات تستمر على نفس الوتيرة. وقد أدى هذا الأمر إلى انخفاض عدد سكان ألمانيا حتى عام ١٩٩٢ بتسعة وستين ألف شخص، وإيطاليا بثلاثة آلاف وستمائة شخص وأسبانيا بأربعة آلاف تقريباً!!

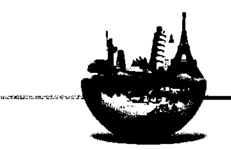
أما في روسيا فقد كشفت "سياسة الانفتاح" أن عدد الروس

ينخفض خلال العام الواحد بثلاثة أرباع المليون.. وهذا الرقم الرهيب سببه تردي مستوى الرعاية الصحية في روسيا بحيث تراجع متوسط عمر الذكور إلى ٥٩ سنة والإناث إلى ٧٢ سنة وارتفعت معدلات الوفيات ١٨٪ في حين لم تعد النساء تفكر بالإنجاب بتاتاً. وخوف الروس من هذا التدهور نلمسه في صحف موسكو التي ما زالت بين الحين والآخر تخرج بمانشتتات عريضة من نوع "روسيا عام ٢٠٢٠ أو ٢٠٥٠ ستصبح ثلثي روسيا الآن " و" الروس سينقرضون بنهاية القرن الحالي " وكذلك " الروس سيصبحون أقلية بعد ثلاثة أجيال"

على أية حال لو لم يتفكك الاتحاد السوفيتي لعدة دول لأصبح المسلمون الغالبية بحلول القرن المقبل!!!

هناك أيضاً شعوب أخرى لا نقول إنها في سبيلها للانقراض؛ ولكنها بالتأكيد في سبيلها للشيخوخة وتحولها لمجتمع للعواجيز ترهقه رواتب التقاعد ومصاريف الضمان الاجتماعي؛ فبسبب التعادل بين الوفيات والولادات ثبت معدل السكان في دول مثل السويد والنرويج وفرنسا - ووحدها الولايات المتحدة من بين الدول الصناعية التي ترتفع فيها نسبة الزيادة (١,١٪) وحتى هذه الزيادة مسئول عنها غير البيض من الأمريكيين!!





وإذا استثنينا الأمم الصناعية نجد (حسب تقرير لمعهد مراقبة العالم) أن هناك ٥٠٠٠ مجموعة بدائية مهددة بالانقراض تعيش على ١٢٪ من مساحة الأرض ويبلغ عددها ٣٠٠ مليون نسمة وتتوزع في ٧٠ دولة. وخلال مائة عام من الآن ستنقرض نصف اللغات الموجودة في العالم وستختفي كذلك محاصيل نادرة ومعلومات هامة بانقراض تلك الشعوب؛ فالأمر الفريد في هذه الجماعات (المنعزلة) أنها تشكل نسيج وحدها وتختلف عن بقية الجنس البشري من حيث معلوماتها الثقافية وسلوكها المعرفي والاجتماعي. وقد جاء في التقرير عن تلك الأجناس ما نصه: "إنهم يستطيعون أن يعلموا العالم الكثير عن حماية البيئة وصحة البشر والاهتمام بالأجيال".

ومن الشعوب التي انقرضت بالفعل الأيكس في أوغندا (الذين اختفوا منذ السبعينات) والسوماريو، والبيبور، والكواكي والأتمبل (في غينيا الجديدة) وقبائل الأقزام (ويعتقد أن قرابة المائة منهم يعيشون في أوغندا وزائير). أما الجماعات الأخرى المهمة التي باد قسم كبير منها فهم:

هنود شمال أمريكا، والأروميون (سكان استراليا السود) والبشميون (جنس فريد يعيش في جنوب أفريقيا) والمنغوليون، والطوارق، وشعوب الغابات البدائية في ماليزيا والفلبين..

وفي محاولة للحفاظ على ما تبقى لها من مكتسبات تسعى تلك الشعوب إلى حماية نفسها بتحديد مناطقها الخاصة بعد أن تسبب عدم تأقلمها مع الحياة الحديثة إلى تدهور أعدادها ونزوحها إلى أقاليم غريبة عنها..

ورغم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أعلنت أن عام ١٩٩٣ هو عام الشعوب الفطرية إلا أن دولاً (كالفلبين وكندا واستراليا والهند وغينيا) ما زالت ترفض بعناد منح شعوبها الأصلية حقوق استغلال أراضي أسلافها. ومن المؤسف أن من بين ١٠٥ صداماً مسلحاً تم في التسعينيات كان هناك ٧٤ عدواناً تم على أقليات لأسباب عرقية بقصد إبادتها.. ومن المؤسف أيضاً أن كثيرًا من تلك الصدامات وجهت للأقليات بسبب انتماءاتها الدينية كما حدث مع مسلمي بورما والفلبين والبوسنة.




أحلام
غيرت التاريخ



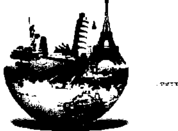


أحلام الأمم



الرؤى التي تخبرنا بما سيقع في المستقبل حظيت باحترام وتبجيل كثير من الأمم والمجتمعات القديمة.... وهناك مايشير إلى اهتمام البشر منذ القدم بتفسير ذلك النوع من الأحلام، فألواح الصلصال الآشورية، وأوراق البردي التي يعود تاريخها إلى (٥٠٠٠) عام مليئة برموز لتفسير الأحلام!





وأول الكتب التي اهتمت بذلك الموضوع هو ما ألفه الروماني ارتميدورس عام (١٥٠) م لتمكين كل إنسان من تفسير حلمه بنفسه. أما في تاريخنا الإسلامي فما يزال ابن سيرين المرجع الأساسي لكثير من مؤلفي التفاسير المعاصرة - سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا..!

وتعتقد مدرسة فرويد النفسية أن الأحلام ماهي إلا رغبات بشرية مكبوتة. وهذا الافتراض (الضيِّق) لايعبر إلا عن نوع واحد من الأحلام من وجهة نظر إسلامية ؛ فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله "الرؤيا ثلاثة: فبشرى من الله (وهي التي تخبرنا عن الأحداث المستقبلية) وحديث النفس (وهي الأحلام التي تحدث عنها فرويد) وتخويف من الشيطان (وهي الكوابيس)".

وبلغ اهتمام الأمم القديمة بالأحلام المستقبلية أن كل حاكم كان يحيط نفسه بمجموعة كبيرة من المفسرين للنظر في الأحلام التي تهم مصير الدولة!

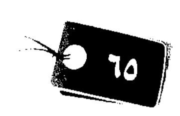
وكان أباطرة اليابان يقومون بأنفسهم (بالأحلام المصيرية) في غرفة للأحلام مزودة بسرير خاص يدعى كامودوكو. وجميعنا يعرف أن فرعون مصر كان يحيط نفسه بعدد كبير من المفسرين والكهنة.. إلا أن أولئك " المحترفين " عجزوا عن تفسير حلمين رئيسيين غيرا تاريخ مصر القديم!؟



الحلم الأول كان عن رؤية فرعون لنار عظيمة تخرج من أرض الشام وتمتد لمصر فتحرق خيراتها. وكان تفسير المفسرين أن رجلاً من آل يعقوب سيكون على يده هلاك فرعون الأمر الذي دعاه لذبح جميع صبيان بني إسرائيل - إلا أنهم عجزوا عن إخباره أن النار التي أحرقت قصره ماهي إلا الطفل الذي رباه في بيته ؛ موسى عليه السلام!!

أما الحلم الآخر لفرعون مصر فهو الحلم الذي فسره يوسف عليه السلام بعد عجز حاشية الملك عن تفسيره وكان سبباً في إنقاذ مصر من مجاعة استمرت لسبع سنين؛ فقد ورد على لسان يوسف قوله تعالى:﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يوسف: ٤٧ - ٤٩).

ومن الأحلام التي غيرت مجرى التاريخ ما حدث لأحد جنود الحرب العالمية الأولى. ففي منطقة السوم نشب قتال عنيف بين القوات الألمانية والفرنسية. وفي ذلك الوقت كان عريف ألماني يغط في نوم عميق في حجره محصنة على الجبهة ؛ ولكنه فجأة فز من نومه بعد أن رأى في المنام أن قنبلة فرنسية حطمت المركز بأكمله...





وبعد أن خرج من الحجرة لينعش نفسه بقليل من الهواء الطلق سقطت قنبلة على المركز وقتلت كل من فيه.. وهكذا كان هذا الحلم سبباً في إنقاذ ذلك العريف الذي تسبب بعد ذلك في مقتل ملايين البشر..

اسم الجندي كان هتلر.... " ادولف هتلر "!!

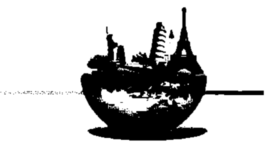


نبوءات عظيمة



قال المصطفى ﷺ في حديث صحيح " لم يبق من النبوة إلا المبشرات، الرؤيا الصالحة " وفي حديث آخر " الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة " وأحاديث الرؤى عموماً تشير إلى أن الله - سبحانه وتعالى - يمكن أن يفتح على الناس فيرون أحلاماً تتحقق في اليوم التالي!! ولكن على أي حال يجب





أن نفرق بين الكهانة والعرافة من جهة، والنبوة والرؤيا الصالحة من جهة أخرى... فالأولى تجديف وادعاء على الله بعلم اختص به نفسه ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٥٩).

أما الحالة الثانية ففتح وتفضل من الله على من يشاء من عباده بدون أن يكون لهم إرادة في ذلك. وإن كنا تحدثنا في آخر مقال عن مفهوم " الأحلام المصيرية " فستكون مهمتنا الحالية التجول في التراث العالمي للبحث عن تنبؤات وأحلام حفظت وسجلت لأهميتها أو لأنها كثيرًا ما أنقذت أصحابها من الهلاك...

ففي التراث العربي مثلاُ توجد قصص كثيرة عن نبوءات عظيمة حدثت قبل الإسلام وبعده ومن ذلك أن الملك ربيعة بن مضر رأى في منامه كان جمجمة ضخمة تأكل مملكته، وقد فسرت رؤيته بأن الأحباش سيهبطون أرضه ثم يطردهم ملك يدعى " ذا يزن " ثم ينقطع حكم هذا الملك بظهور "نبي زكي من ولد عدنان بن فهر" هو محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلاة والتسليم.

ومن التراث الأفريقي يحكى أن ملك قبائل الزولو رأى ثعباناً حديدياً ضخماً يخترق أرضه وأن من يعترضه يكون مصيره

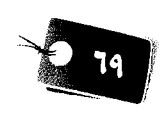


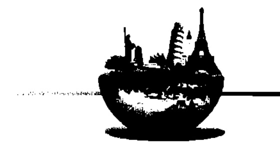
الهلاك؛ وبحكمة الملك الخبير حذر شعبه من التعرض لهذا الثعبان متى ما جاء كي لا يكون في ذلك فناؤهم.

ولكن بعد موته نسي أفراد شعبه ذلك التحذير فعارضوا مد " سكة للقطار " أراد المستعمرون البيض شقها خلال أراضيهم فنشبت حروب دامية انتهت بهلاك أعداد كبيرة من الزولو بفضل امتلاك البيض لأسلحة نارية متقدمة...

ومن أمريكا الجنوبية رأى امبراطور الأزتك مونتيزوما الثاني أن جيشاً جراراً يركب " غزلاناً كبيرة " ويحمل عصيًّا " تطلق من أفواهها النار " يدمر بلاده. وبعد موته باثني عشر عاماً غزا الأسبان امبراطوريته وكانوا مسلحين بالبنادق ويركبون الخيول التي لم تكن معروفة لدى شعب الأزتك!!

ومن تراث الهنود الحمر يذكر أنه في يونيو ١٨٧٦ رأى " الثور الجالس " (وهذه الترجمة الحرفية لاسم زعيم قبائل السيوكس الهندية) بأن جنوداً ضفائرهم بلون الشمس سيستولون على منطقته فأخذ استعداده وأخفى جيشاً قوامه (٤٠٠) مقاتل في أحراش نهر بيجهورن في مونتانا. وفعلاً حدث ما تنبأ به إذ وصلت خمس سرايا من الجيش الأمريكي بقيادة الجنرال جورج كاستر فأبيدوا عن





بكرة أبيهم - بما فيهم كاستر نفسه - فأصبحت إحدى الملاحم القليلة التي تغلب فيها الهنود الحمر على الجيش الأمريكي..

ومن أوروبا تنبأ أشخاص عديدون بقيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩.. فالأديب جون انجلبرت رأى تفاصيل الثورة بدقة وقال عام ١٦٢٥ أنها ستبدأ بالهجوم على قلعة حصينة (هي الباستيل). وقبل ذلك بثلاثة قرون حدد الفيلسوف " بييرد اللي " عام ١٧٨٩ بأنه " عام الغليان والاضطرابات التي ستغير مصير فرنسا إلى الأبد "!

وفي القرن السادس عشر عرف عن الشاعر الفرنسي نوستراد أنه" كثير الرؤى " لدرجة أنه جمع تنبآته في كتاب عام ١٥٥٥.. ومما قاله نوستراد عن الحرب العالمية الثانية " في ذلك الوقت ستحلق الأسلحة وتتقاتل في السماء وعن القنبلة الذرية " نيران تلقى حول الأرض وتحول مدينتين في أقصى الشرق إلى حجاره"!؟

العجب أن هوليود أنتجت فيلماً عن نوستراد - بنفس الاسم - يظهر فيه وهو يرى " هتلر " و" صدام " ويتنبأ بحرب الخليج!

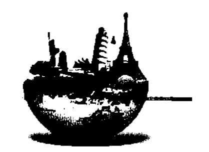
أحلام تحدث غداً



ذكرلي أحد الأصدقاء أنه كان متفوقاً في دراسته - كما ندّعي جميعاً - ولكن المادة الوحيدة التي لم يستطع "هضمها" وفهمها هي اللغة العربية.

وحين اقترب موعد الامتحانات حمل هم الرسوب في تلك المادة بشكل أرّقه وشغله ليالي وأيامًا. ويذكر أنه في إحدى الليالي حلم





بأنه صادف في خروجه مدرس اللغة العربية وهو يوقف سيارته قرب المدرسة. وكان قد لاحظ أن النافذة اليمنى من السيارة ظلت مفتوحة ورأى من خلالها ظرفاً كبيراً مكتوب عليه "أسئلة امتحانات اللغة العربية" فما كان منه - والكلام مازال له - إلا أن أسرع بفتح المظروف كي يطّلع على الأسئلة، إلا أنه من شدة خوفه واضطرابه أعاد الأوراق إلى مكانها وأسرع هارباً!

عند ذلك الحد تدخلت لشرح الحلم ورموزه (كما يفعل علماء النفس) فقلت: الحلم بمجمله يدل على رغبتك في اجتياز تلك العقبة ؛ أقصد امتحان اللغة العربية. ورغبة من عقلك الباطن في إيجاد حل لهذه المشكلة "فَبْرَكَ" قصة الحلم المذكور. ولأنك إنسان شريف ومستقيم لم يرض عقلك الواعي بتلك المخالفة. أما النافذة المفتوحة فهي...

قاطعني بلطف قائلاً: لم أكمل سرد الحلم بعد.. فقد يكون ما ذكرته صحيحاً ولكن في الليلة التالية شاهدت نفس الحلم ومررت بنفس التفاصيل إلا أنني في هذه المرة أكملت فتح المظروف وقرأت ثلاث أسئلة من سبع، ولكن حتى في هذه المرة بلغ بي الخوف - في الحلم طبعاً - حداً جعلني أعيد الأوراق إلى مكانها ولم أكمل قراءة البقية...



صمت قليلاً ثم ابتسم قائلاً: الغريب في الموضوع أن امتحان اللغة العربية كان مكوناً من سبع أسئلة ثلاث منها هي التي اطلعت عليها في الحلم!! فمارأيك ؟

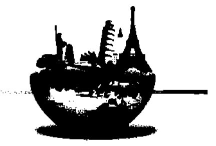
وهنا لم أجد ما أقوله (فقد اختلف الوضع هذه المرّه) إلا أنني بعد فترة قصيرة أجبته بأنه ليس الوحيد الذي احتار في كيفية الحلم بأشياء تقع في المستقبل. ولكن من المعروف أن الأحلام من وجهة نظر إسلامية تنقسم إلى ثلاثة أنواع: أحلام نفس ورغبات مكبوتة، وأحلام وحي من الله وأحلام من الشيطان.

وقد اتفق معنا علماء النفس في الأولى، واختلفوا معنا في البقية رغم عدم تقديمهم تفسيراً مقنعاً لتلك النوعية من الأحلام...

وحلم صديقي السابق نموذج لأحلام لابد أن كل فرد مر بها واحتار في كيفية حدوثها ولكن طالما أننا بدأنا مقالنا بحلم (له علاقة بالامتحانات وهمومها) فلا بأس من إكمال مقالنا بقصص على نفس الشاكلة:

يقول الموجّه التربوي (حسن يوسف) أنه كان في إحدى الليالي يدعو الله أن ينجيه من امتحان مادة صعبة. وما إن أخذته سنة من نوم حتى رأى كأنه في قاعة الامتحان ينظر في ورقة أسئلة كان





يميّزها بقعة من الحبر الأسود في زاويتها العلوية اليسرى... وفي الصباح التالي دخل قاعة الامتحان واستلم الأسئلة الخاصة به وفي زاويتها العليا نفس البقعة.. وبالطبع نفس الأسئلة!!

ويقول أحد قضاة المحكمة الشرعية في المدينة المنورة أنه في السنة الرابعة من كلية الشريعة رأى الأسئلة التي سيُمتحن بها في اليوم التالي، وبعد انتهائه من صلاة الفجر " ركّز " على تلك الأسئلة بالذات، ولم يفاجأ حين رآها كما هي في الامتحان الأمر الذي أتاح له الحصول على الدرجة الكاملة في تلك المادة....

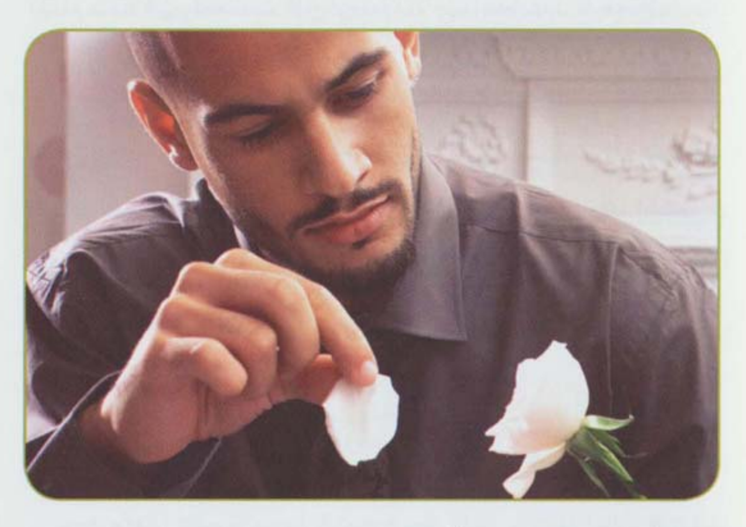
وفي مذكراته يذكر الشيخ حسن البنا أنه رأى في المنام وكأنه يتنزّه مع أستاذ النحو في قارب بالنيل. وكان الأستاذ يتذاكر معه في تلك المادة ويأمره أن يفتح على صفحات بعينها وأن يراجع أسئلة معينة ويشرح له ما استصعب منها. وفي امتحانات التخرج من كلية إعداد المعلمين مرت به تلك الفصول والأبواب كما شرحها له مدرس المادة في الحلم!!

على أية حال ليس لي تعليق هنا سوى قول المصطفى ﷺ : " لم يبق من النبوة إلا المبشرات : الرؤيا الصالحة "*

* صحيح البخاري



أحلامنا المشتركة



لا أعلم إن كنت مثلي أم لا!؟

فأنا كثيرًا ما أحلم بشخص ما ثم أحدثه بأنني رأيته في الحلم فيرد عليّ فاغراً فاه: وأنا أيضاً .

وفي الحقيقة كثيرًا ماتكون الأحلام رؤى مشتركة بين شخصين





أو أكثر؛ بمعنى أن يحلم " زيد " بأنه ضرب " عمراً " في حين يحلم " عمرو " في نفس الوقت بأن " زيداً " إعتدى عليه!!

ولعل تفسير تلك الظاهرة العجيبة يكمن فيم ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه " الروح" بأن أرواح النائمين تخرج منهم حال المنام فتتلاقى وتتحادث قبل أن تعود لأجسادها عند اليقظة!

ومثل هذا التصور لايشمل الأحياء فقط بل الأموات* أيضاً حيث يمكن لروح الميت أن تلاقي روح الحي قبل أن "يمسك " الله سبحانه وتعالى الأولى " ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى "... وقد استخرج إبن الجوزية ذلك التصور من تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر: ٤٢)

وعليه فإن الروح مهما ابتعدت عن الجسد تظل على ارتباط وعلاقة به بحيث تعود إليه فور يقظته. ولفهم تلك النقطة بصورة أفضل سأحدثك عن حلم مر بي شخصياً مؤداه أنني اختلفت مع أحد الأشخاص وتطور الأمر إلى عراك شديد أخذ فيه الخصم عصا غليظة وهوى بها على رأسي.. في تلك اللحظة بالذات كان ابني الصغير

---

* فصل لقاء أرواح الموتى



قد قذف كرته باتجاهي وضربني في نفس المكان الذي أصابتني فيه العصا ففزعت من نومي ووجدت نفسي في عالم الواقع.

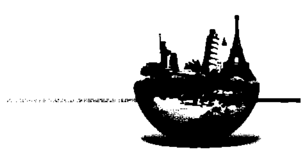
حينها تذكرت أنني كثيرًا ما مررت بظروف مماثلة، ولكنني بعد ذلك الحلم اقتنعت بوجود " شيء ما " كان يراقب مسار الكرة باتجاهي وأراد أن يحذرني منها بصورة عصا غليظة هوت على رأسي!!

والذي أثار حيرتي في هذا الحلم - والأحلام المشابهة - هو وجود شيء مني بقي مستيقظاً بينما أنا نائم. وحسب فهمي للآية السابقة أن ما بقي مستيقظاً هي " الروح " التي لها القدرة - بقوة الله ومشيئته - على اختراق حاجز الزمان والمكان وتنبيهي لما سيحدث!؟

أما بالنسبة لعلماء النفس في الغرب فهم يربطون حدوث الأحلام المشتركة - وتلك التي تحدث في المستقبل - بظاهره التليباثي أو توارد الخواطر الذي يتم بين شخصين بدون سابق توقع ؛ فمن المعتقد أن توارد الخواطر يكون أكثر سهولة وتكراراً في حالة النوم حيث الوعي في سبات عميق!

ولصعوبة التحكم في تجربة تتم على شخصين نائمين (!) أجريت في مركز دريم لابوراتوري في نيويورك تجارب على شخصين





أحدهما نائم بشكل طبيعي والآخر منوم مغناطيسياً.. ثم طلب من الأخير نقل عناصر محددة من إحدى الرسوم (شجرة - بحر - طائر) إلى أحلام الشخص النائم.. وعندما كان " راسم المخ " يشير إلى أن النائم بدأ بالحلم فعلاً يتم إيقاظه لإخبار الباحثين عن عناصر حلمه. ولأكثر من مرة ثبت أن المنوم مغناطيسياً " لوّث " أو قل تدخل في أحلام النائم بنقل عناصر إحدى الرسوم إليه!!

وكان الدكتور الروسي ليونيد فازيليف قد لاحظ أن إحدى مريضاته المنومة مغناطيسياً كانت تحرك أطرافها قبل أن يأمرها بذلك بجزء من الثانية الأمر الذي جعله يؤلف كتاباً حول هذا الموضوع. وبعد تكراره لتلك التجربة إفترض أن مريضته (التي كانت مصابة بالعرض التوهمي) إفترض أنها قادرة على " قراءة أفكاره " قبل أن يتفوه بها!!

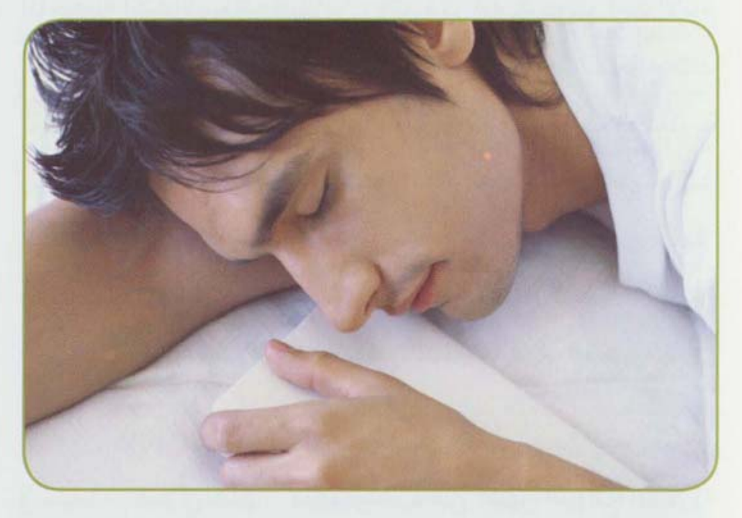
وأنا هنا أتساءل ؛ إن كان توارد الخواطر - الذي يتم بين شخصين - يمكن حدوثه بين شخص وآلة!؟

قد يبدو ذلك التساؤل غريباً، ولكنني شخصياً كثيرًا ما أستيقظ قبل صوت المنبه بجزء يسير من الثانية!!؟





إبداع النائمين



من المعروف أن كثيرًا من لحظات الإلهام وإشراقات الإبداع أتت للعباقرة وهم في حالة من النعاس والنوم حين يأخذ العقل (اللاوعي) دوراً أكبر، ومجالاً أوسع في التفكير والتخيل.

ففي عالم الأحلام وحده يصبح المستحيل ممكناً، ويتحرر العقل



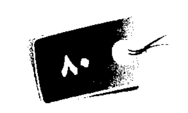


من قيود الواقع، وتختلط الحقيقة بالخيال فيصبح مجال الإبداع أكثر خصوبة وأكبر مساحة.

وكان الكيميائي الشهير فريدريك أوغست فون قد شرح في أحد المؤتمرات العلمية (عام ١٨٩٠م في مدينة غنيت) الطريقة التي أتاحت له اكتشاف حلقة البنزين؛ فقد ذكر أنه في عصر أحد الأيام إستسلم إلى إغفاءة قصيرة قرب المدفأه... ومن فرط انشغاله بتلك المعضلة رأى أن ذرات البنزين تتراقص أمامه وتأخذ أشكالاً دائرية وتتراجع الذرات الأصغر لتأخذ مكان المؤخرة. ثم بقدرة قادر تحولت تلك الذرات إلى أفاعي.. وفجأة أطبقت إحداها بفمها على ذيلها. وبلمح البصر استيقظ من النوم وقد أدرك أنه اكتشف " الحلقة المغلقة " للبنزين التي أحدثت ثورة في عالم الكيمياء العضوية...

ومن عالم الكيمياء ننتقل إلى دنيا الأدب؛ فمن المعروف أن قصيدة " قبلاي خان " تعتبر واحدة من أشهر الروائع الشعرية للشاعر الإنجليزي " صامويل تيلور، كولريدج ". ومن الطريف أن كولريدج لايدعي أنه صاحب القصيدة لأنها - كما يقول - أُمليت عليه في النوم!؟

ففي صيف ١٧٨٧ كان كولريدج يعاني من التهابات خطيرة وآلام كبيرة جعلته يدمن على الأفيون. وفي إحدى الليالي استغرق في نوم



عميق وهو يقرأ العبارة التالية من كتاب حج بيرشاس " وهنا أمر الخان قبلاي ببناء قصر تعلوه قبة ذهبية فخمة، وبنى حوله سور بعشرة أميال من الأراضي الخصبة ". وخلال ثلاث ساعات من النوم المليء بالأحداث رأى ما لا يقل عن ثلاثمائة بيتاً من الشعر.. وحين استقيظ سارع إلى كتابة تلك القصيدة وكان بإمكانه إنجازها بأكملها لولا أن دخل عليه أحد أصدقائه من بورلوك لمناقشته في بعض الأعمال فتحولت القصيدة إلى صور مبهمة وأحداث ضبابية من الصعب تذكرها...!

وتدل سيرة الكاتب الإنجليزي روبرت لويس ستيفنسون أنه كان من أكثر المبدعين استغلالاً لأحلامه. فأمراضه الكثيرة حالت بينه وبين النوم العميق فأصبحت أحلامه مليئة بالأحداث الخصبة التي كونت قصصاً كاملة كان يسارع لكتابتها بعد استيقاظه.

فقد ورد في كتابه " عبر السهول " أنه كان يحلم بقصص مسلسلة وكانت لديه موهبة بدء حلمه من النقطة التي انقطعت فيه قصة الليلة السابقة. وحين كان ستيفنسون يحتاج للمال كان كل ما عليه فعله هو أن ينام ويسارع لكتابة الروايات التي يراها ويبيعها للناشر!

وبين عالم الواقع ودنيا الأحلام كان ستيفنسون يعاني من حياة





مزدوجة تمثلت في حلمه بإنسان ينقسم إلى اثنين (بفضل مسحوق سحري) هما " هايد " المسخ الذي يطارده رجال الأمن لجريمة ارتكبها وإنسان لطيف يدعى الدكتور " جاكل " - ومن ذلك الحلم برزت قصته الشهيرة الدكتور جاكل ومستر هايد....!؟

وكان الفيلسوف الإيطالي " جيروم كاردان " يرى دائمًا حلماً حول موضوع فلسفي عميق تحول بالتدريج إلى مخطط لكتاب كان يسارع لكتابته بعد استيقاظه كل ليلة.وظل الحلم يعاوده بتسلسل موضوعي حتى انتهى من كتابة مؤلفه المشهور "DE SUBTILITAE REMUM " وانقطعت تلك الأحلام بصدور الطبعة الأولى منه!!

ورغم أنه مازال في الجعبة كثير من الأمثلة إلا أنها لاترقي في عددها إلى الكم غير المعروف من الإبداعات التي خرجت نتيجة حلم أو لحظة نعاس. فمن المعتقد أن معظم العباقرة والمبدعين خبروا تلك التجربة لأكثر من مرة إلا أنهم لم يصرحوا عنها لاعتقادهم أنها من صميم اجتهادهم وخبرتهم اليومية!

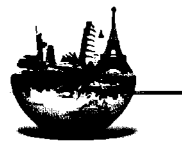
على أي حال ليس لنا من تعليق سوى ماذكره فريدريك أوغست في نهاية محاضرته حول قصة اكتشافه لحلقة البنزين أثناء الحلم حين قال " أيها السادة فلنتعلم كيف نحلم "!

إبداع من العالم الآخر





تعتبر معزوفة " قهقهة الشيطان " أفضل ما أبدعه الموسيقي الإيطالي " جيوسيجي تارتيني " . ولكن بعد سنوات طويلة من وفاته كشف الفلكي " لالاند " سر تلك المعزوفة حسب ما ذكر له تارتيني... ففي إحدى الليالي حلم أنه عقد صداقة عميقة مع الشيطان (!) وفي المنام طلب الشيطان من تارتيني أن يأتيه بالكمان، فبدأ يعزف سوناتا رائعة لم يسمع بمثلها من قبل... وعلى الفور استيقظ



تارتيني من النوم وبدأ في تسجيل تلك القطعة وأسماها " قهقهة الشيطان".. وبالنسبة للنقاد تعتبر المعزوفة أروع ما أنتج في عالم الموسيقى. أما بالنسبة لتارتيني نفسه فيقول إنها بعيدة تماماً عن جمال اللحن الذي حلم به!!

أما أشهر علاقة بين عالم الموسيقى ودنيا الأحلام فهي دون شك تلك التي تدعيها الملحنة الموسيقية المعروفة "روز ماري براون "....!

فقد عاشت روز براون حياتها الأولى كربة بيت عادية. وكانت أكبر أمانيها أن تتعلم العزف على البيانو. وفي الوقت المناسب قررت تعلم تلك الهواية في مدرسة موسيقية خاصة. إلا أنها هجرت دروس العزف بعد سنة من التدريبات بعد أن أقنعها المشرفون بأنها غير موهوبة ولاتملك أذناً موسيقية!!

وبعد تلك الحادثة بسنوات؛ تمكنت تلك السيدة الإنجليزية من تأليف (روائع) كاملة من الموسيقى الكلاسيكية - هكذا بدون مقدمات. ولم تكن المفاجأة إجادتها عزف نوتات باخ وبتهوفن فقط، بل في تأليف قطع تشبهها في الجودة والجمال. ولم تدعي ماري براون أنها صاحبة تلك الأنغام، بل أكدت أنها (تُملى) عليها من قبل أرواح عظماء الموسيقى... الأموات!؟

وتدّعي السيدة براون أن أول من بدأ بقيادة أصابعها على البيانو، الموسيقي الشهير " فرانز ليست " الذي توفى عام ١٨٨٦. وكان يودعها دائمًا بقوله " سأعود لنكمل عملنا ". وبعد ذلك تعرفت ماري براون على أرواح شوبرت وباخ وبيتهوفن وأصبحت تأخذ منهم الألحان وتَتَتَلْمَذُ على أيديهم. وتقول روز براون أن بتهوفن وباخ كانا يكتفيان بكتابة النوطات وتسليمها إليها، أما " لِيسْتْ " و" شوبان " فقد كانا أوسع صدراً إذ ساعداها على عزف مايكتبانه من ألحان!؟؟

ومن يرى السيدة ماري وهي تعزف مؤلفاتها (أو مؤلفاتهم) يلحظ حركاتها الآلية ومدى الثقة بالنفس التي تسيطر عليها حين تجلس أمام البيانو.. وغني عن القول أن " ماري الموسيقية " تختلف تماماً عن ماري ربة البيت المتواضعة في تلك المواقف!!

وفي عام ١٩٧٠ صدرت أول أسطوانة لمؤلفات ماري براون. وقام كبار النقاد بتحليل ودراسة الألحان. ورغم اختلاف الآراء فيما بينهم إلا أنهم اتفقوا على أصالتها، وعلى تشابه الأسلوب بينها وبين مؤلفات عظماء الموسيقيين القدماء!؟ وأياً كان ما تدعيه تلك السيدة؛ يقول المؤلف الموسيقي الشهير " ريتشارد بنيت " لايمكن



لأي كان أن يزيف مقطوعات كهذه دون سنوات من التمرين الشاق.. أنا نفسي لا أستطيع عمل ذلك "..

طبعاً هذا رأي ريتشارد بنيت ؛ أما بالنسبة لي فأرى تفسير حالة ماري براون من خلال قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ (النساء: ٣٨)

لقاء على جسر لندن



جميعنا مر بتجربة الأحلام المتحققة.... تلك الأحلام التي ننسى معظمها مالم يقع (حدث ما) يذكرنا بها في اليوم التالي وهذا الموضوع على بساطته حيّر علماء النفس أيما حيرة وألف فيه (الحافظ أبو الدنيا) كتاباً شيقاً أسماه " المنامات " تناول فيه كثيرًا من قصص الرؤى مثل تلك التي ظهر فيها نبينا المصطفى أو الصحابة الكرام كموجهين ومرشدين!



والأحلام التي تتحقق في وقت لاحق تجربة عالمية وخبرة مشتركة بين البشر (كما رأينا في مقال نبوءات عظيمة). وهي في الواقع قد تكون النافذة الوحيدة التي من خلالها يطلع الله خلقه على الغيب - كما أخبر بذلك رسولنا الكريم في قوله " الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة "....

ورغم كثرة القصص التي تدور حول هذا الموضوع إلا أن هناك واحدة بالذات تتميز بطرافتها وجمال حبكتها وتعتبر دليلاً على غرابة ماقد يحدث في عقول النيام. فمن القصص الشعبية الإنجليزية قصة مشهورة (لها شبيه ومماثل في قصص ألف ليلة وليلة) تتحدث عن بقال يدعى تشابمان كان يعيش في قرية سوافهام في القرن الخامس عشر!؟

فذات ليلة حلم تشابمان بمن ينصحه بالتوجه إلى جسر لندن والانتظار هناك لأن رجلاً سيقابله ويدله على ثروة ضخمة يمكن أن يعود نفعها على جميع سكان القرية. وفي البداية لم يهتم تشابمان بذلك الحلم حتى تكرر مرات عديدة وبنفس القوة والوضوح. وفي لحظة تهور قصد لندن قاطعاً (١٠٠) ميل في ثلاثة أيام ولم يخبر أحداً غير زوجته التي اعتقدت أنه على حافة الجنون.

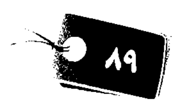
وهناك - على جسر لندن - إنتظر من يدله على الثروة ولكن تشابمان البقال إنتظر لثلاثة أيام أخرى بدون جدوى.. وكان

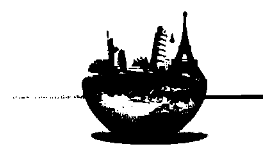


جسر لندن في ذلك الوقت عبارة عن سوق ضيقة تعج بالدكاكين. وقد لاحظ أحد الباعة ضيقه وطول انتظاره. وعندما همّ تشابمان بالعودة إلى قريته لحقه ذلك البائع وسأله عن حاجته.

وبعفوية الفلاح حكى له أمر الحلم الغريب. عندئذ إنفجر الرجل ضاحكاً من سذاجته وبساطة تفكيره وقال له " يالك من أبله مسكين، لو اتبع كل إنسان ماتقوله الأحلام لأصبحنا جميعاً أثرياء " وبدون أن يسأله عن اسمه أو مكان إقامته أكمل قائلاً " إسمع سأحكي لك قصة مشابهة حدثت لي شخصياً: منذ فترة بسيطة حلمت بمن يقول لي: إن في قرية سوافهام حديقة لبقال يدعى تشبمن أو تشابمن وأن في تلك الحديقة شجرة ضخمة مدفون تحتها كميات كبيرة من السبائك الذهبية التي خلفها الجيش الروماني عند انسحابه من بريطانيا قبل قرون. بالطبع أنا لست في مثل حماقتك إذ لم أعر هذا الحلم أي انتباه..... "!!

وفي الحقيقة لاتذكر المصادر أن كان تشابمان قد وقف لسماع نهاية القصة ؛ ولكن من المؤكد أنه سارع في العودة إلى سوافهام وحفر تحت شجرة الكمثرى في حديقته فأخرج جرة مليئة بالذهب والمجوهرات تصدق بها على أهل قريته والمحتاجين من الناس.. ومن يومها وتشابمان بطل محبوب ونموذج مشهود. ومن يزر قرية سوافهام اليوم يستمع لتلك القصة بنفس عناصرها......





ومن باب الوفاء ورد الجميل وضعت في كنيسة القرية القديمة صور محفورة من الخشب والزجاج الملون لجون تشابمان تخليداً لذكرى كرمه وعطفه على أهل قريته!

على أي حال.. قالوا في الأمثال " تجي مع البله إصابات "



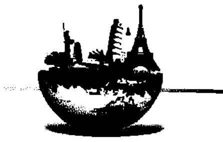
ما قبل الكارثة



في ٢٥ مايو ١٩٧٩ سقطت طائرة (DC-10) تابعة لشركة الخطوط الأمريكية فوق مطار شيكاغو الدولي. وتوفى في تلك الحادثة مائتين وثلاثة وسبعون راكباً إضافة لملاحي الطائرة.

ولم يكن ذلك الحادث هو الأسوأ في تاريخ الطيران الأمريكي ولكن تلك الكارثة - لسبب سنعلمه لاحقاً - إعتبرت حدثاً لايمكن





نسيانه لدى خبراء الطيران المدني.... ولكن، ياترى كم شخصاً رأى ذلك الحادث قبل وقوعه؟*

.. قد يبدو السؤال غير منطقي لكثير من الناس، إلا أنه ليس كذلك لمن تعودوا الحلم بأحداث تقع في المستقبل. فبالنسبة للحادث المذكور يُعتقد أن عدداً كبيراً من الناس رأوا سقوط الطائرة في المنام بصورة مبهمة أو واضحة، إلا أن واحداً منهم على الأقل كانت لديه من الجرأة والشجاعة مايكفي لتحذير الناس من وقوع كارثة رآها كثيرًا في أحلامه....!؟

فليلة بعد ليلة أخذ ديفيد يووث (٢٣ سنة) يرى نفس الكابوس.... فقد كان يحلم برؤية طائرة ضخمة تابعة للخطوط الأمريكية تنحرف عن مسارها ثم تسقط على الأرض وسط جحيم من اللهب والدخان. وبعد تكرار الكابوس لعشرة مرات على الأقل وبنفس التفاصيل اقتنع ديفيد بوجود شيء ينبغي تحذير الناس منه. وكانت أول خطوة قام بها هي اتصاله بمركز الأبحاث النفسية بجامعة سينسناتي الذي رحب به وأخذ منه تفاصيل موسعة حول الموضوع... إلا أن شعور ديفيد القوي بقرب وقوع الكارثة جعله يسارع لترك المركز ويرفع الأمر إلى سلطات الطيران الفيدرالي.

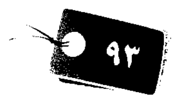
---

* ومنها تم اقتباس سلسلة أفلام تدعى الوجهة النهائية final destination

وقبل الحادث بثلاثة أيام (يوم الثلاثاء ٢٢ مايو) إتصل ديفيد بشركة الطيران المعنية (التي تجاهلت تحذيره خوفاً من حدوث بلبلة لاأساس لها) كما اتصل بإدارة الطيران الفيدرالي المدني في مطار سينسيناتي الدولي. ويبدو أن المسؤول عن شؤون الطيران في تلك المنطقة (جاك باركر) إقتنع بوجهة نظر ديفيد لمروره بتجارب مماثلة. ومن خلال وصف هذا الأخير إستنتج باركر أن الطائرة المذكورة كانت من طراز (DC-10). يضاف لذلك تأكد ديفيد من اسم الشركة الذي رآه مكتوباً على ذيل الطائرة فلم يبق أمامهما سوى تحديد المطار الذي ستقع فيه الكارثة!

وخلال اليومين السابقين للحادث زار ديفيد معظم مطارات الولاية لعله يتعرف على أوصاف المطار الذي رآه في الحلم. وقبل وقوع الحادثة بساعات قليلة اتصل باركر بديفيد يخبره أن أحد المراقبين الجويين يعتقد أن أوصاف المطار المذكور تنطبق على مطار شيكاغو الدولي وليس على أحد المطارات المحلية. وقبل أن يتخذا أي إجراء آخر كانت الطائرة المنكوبة (في شيكاغو) تنهب أرض المطار في طريقها للإقلاع؛ إلا أنها سرعان ماسقطت على بعد كيلومترات قليلة من المدرج ومات كل ركابها!!

وفي الواقع إن كان لنا تعليق على هذه القصة الموثقة فهو أن





إحصائيات الطيران المدني في أمريكا أثبتت أن من ألغوا حجوزاتهم (في آخر لحظة) على الرحلات التي انتهت بكوارث يزيد عددهم كثيرًا على تلك التي انتهت بسلام!؟

وسؤالي هنا: ماهو سبب ذلك!؟

هل لأن نسبة لابأس بها من المسافرين رأوا الكارثة قبل وقوعها..

أو لنقل تملكهم شعور مبهم بعدم الارتياح للسفر في ذلك الوقت بالذات!؟

هذا يقودنا - في المقال القادم - لاقتراح إنشاء (مركز للتنبؤات المنامية)....

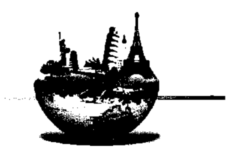
مركز التنبؤات المنامية





كثير من الأحلام والرؤى كانت عناصرها " كوارث " نلمس آثارها بعد فوات الأوان. وحدث في عام ١٩٦٦ أن وقع انهيار أرضي في قرية إبرفان في ويلز قتل بسببه (١٤٤) طفلاً في إحدى المدارس.. العجيب هنا أن معظم سكان القرية قالوا انهم شاهدوا ذلك الانهيار في أحلامهم بصور شتى ولكن أياً منهم لم يُعِر الأمر أي اهتمام.. كما يحصل دائمًا!!





وكنت قد تعرضت في آخر مقال " ماقبل الكارثة " إلى قصة المواطن الأمريكي ديفيد بووث الذي رأى في منامه أكثر من مرة حادث سقوط طائرة ركاب في مطار شيكاغو الدولي...

ورغم إطلاع مركز الأبحاث النفسية في جامعة سينسناتي على الأمر - إلا أن جهوده فشلت في إقناع أحد. وفي ٢٥ مايو ١٩٧٩ سقطت طائرة (دي سي) تابعة لشركة الخطوط الأمريكية بنفس الطريقة التي وصفها ديفيد ومات من ركابها مائتان وثلاثة وسبعون.. وبعد ذلك الحادث اتضح أنه ليس ديفيد فقط من حلم بتلك الكارثة!

وفي حادثة أخرى وقعت للطائرة (R 101) إتضح أن عدداً من الركاب (من بينهم أحد الملاحين، الذي مات أثناء عودته للمنزل) قد رفضوا صعود الطائرة بسبب كابوس رأوه في الليلة السابقة!

وفي حادثة غرق التيتانيك الشهيرة عام (١٩١٢) كان عدد اللاغين لحجوزاتهم أكبر من أي نسبة على أي سفينة أخرى الأمر الذي يؤيد الافتراض القائل أن الكوابيس المنذرة تقع بكثرة قبل الأحداث الخطيرة. وقبل الحادث بأربعة عشر عاماً ألف الكاتب مورغان روبرتسون رواية أسماها " السفينة تيتان " تكاد أحداثها تتطابق مع أحداث غرق التيتانيك.

فبالإضافة إلى تشابه الأسماء اصطدمت الـ " تيتان " بجبل ثليجي ومات بسبب ذلك (٢٥٠٠) راكباً. وكانت تلك السفينة - في الرواية - تعتبر الأضخم من نوعها وتنزل البحر لأول مرة.

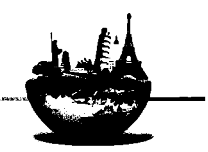
وهذا التطابق العجيب يجعلنا نفترض أن روبرتسون قد استمد عناصر روايته من حلم شاهده في المنام قبل غرق التيتانيك بفترة طويلة.....!

وأنا أتذكر أن إحدى الإحصائيات أظهرت أن نسبة اللاغين لحجوزاتهم على وسائل المواصلات التي انتهت بكوارث كانت أكبر من تلك الملغاة في الرحلات العادية. وكثير من المندرجين تحت تلك الفئة ذكروا أسباباً من بينها " شعور غامض بعدم الأمان " أو " كابوس يتعلق بالرحلة " أو " بناءً على نصيحة من زوجتي أو أحد الأقرباء بعد حلم ترك تأثيراً قوياً "... إلخ.

وأنا شخصياً كان بودّي لو أجري استقصاء لعدد الذين رأوا في الحلم تسونامي سومطرة قبل وقوعه، أو غزو العراق قبل بدئه،أو أمطار جدة وحرائق الغابات في كافة أنحاء العالم.

على أي حال اطلاعي على كثير من الحوادث التي شوهدت في





المنام قبل وقوعها يجعلني أتساءل عن إمكانية تنفيذ مشروع جريء يتمثل في إنشاء مركز للتنبؤات تعتمد فكرته على استقبال وتحليل الرؤى التي ترد من الجمهور حول (حدث مشترك) وتستعمل في تقييمها نظرية الاحتمالات الرياضية!!

في الواقع إن فكرة كهذه لا أتوقع لها الفشل طالما توفر عدد كاف من المتعاونين. فالأحلام حول قضايا مشتركة أمر يؤيد بعضه بعضاً ؛ ويمكن - حتى من خلال الرؤى المبهمة - إستنباط بعض العناصر الدالة....!

المهم في مشروع كهذا الجرأة والشجاعة على مواجهة الآراء الساخرة. وفي جميع الأحوال يجب أن نتذكر جيداً أن (الرؤيا) هي الأثر الباقي من آثار النبوة ؛ وقد قال فيها المصطفى ﷺ " رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة "* ... ومن المؤكد هنا أن لهذا الجزء دلالة قوية.... خصوصاً أن تقدم به خلق كثير!!؟

* صحيح البخاري ومسلم

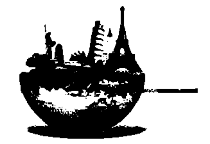


الحلم بـ (إبرفان)



في آخر مقال بعنوان (مركز التنبؤات المنامية) تعرضت لبعض الكوارث التي وقعت في أنحاء كثيرة من العالم ثم اتضح أنها شوهدت في الحلم - بصيغ مختلفة - من قبل أعداد كبيرة من الحالمين. ولكن لكوننا لانعير أحلامنا الانتباه الكافي لم يحدث أن بلّغ شخص عن أي حلم مأساوي رآه في المنام - وحتى لو تجرأ وفعل فمن يضمن تصديقه وعدم اتهامه بالجنون!!!؟

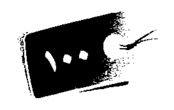




وفي ذلك المقال اقترحت إنشاء مركزاً للتنبؤات المنامية تعتمد فكرته على تلقي الأحلام ذات الصبغة المستقبلية المشتركة وتحليل أبرز عناصرها والخروج بتصور كامل عن الحدث الذي تحاول إنباءنا به ؛ ففي اعتقادي أنه من الغباء تجاهل ظهور نفس الحلم لأعداد كبيرة من الناس بدون توقع وجود (شيء في الطريق).

ما أثار استغرابي بعد نشر ذلك المقال علمي أن تلك الفكرة سبق ونفذت في بريطانيا وأمريكا منذ زمن بعيد ؛ فبعد كارثة قرية إبرفان (والتي سنتعرض لها بعد قليل) درس الطبيب النفسي ج. ك. باكر جميع الأحلام والتنبؤات التي أوردتها الصحف لأناس زعموا رؤيتهم للكارثة قبل وقوعها. وبعد استبعاده للأحلام المبهمة وتلك التي تحتمل أكثر من معنى خرج بستين حلماً لها دلالات واضحة بقرب وقوع الكارثة ؛ وبناءً عليه اقترح - قبل اقتراحي - أن يرسل الناس أحلامهم وكوابيسهم إلى دار مقاصة مركزية يقوم من خلالها الكمبيوتر باستخلاص المعلومات (ذات العلاقة) للخروج بنظام للإنذار المبكر ضد الكوارث....!

وتجاوباً مع اقتراحه تم إنشاء المركز البريطاني للحدس الداخلي في لندن عام ١٩٦٧ ثم المكتب المركزي للحدس المسبق في نيويورك في العام التالي وبعد ذلك توالى إنشاء مراكز مشابهة في اوربا وآسيا!!

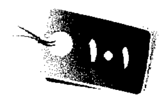


والآن ما هي كارثة إبرفان التي عنون بها هذا المقال وكانت سبباً في إقناع باكر باقتراح ذلك المركز: -

في عام ١٩٦٦ إنهار جبل ضخم من نفايات الفحم على مدرسة ابتدائية في قرية إبرفان الويلزية فتسبب في مقتل (١٤٠) طفلاً. وبمبادرة من إحدى الصحف سجل الناس أحلامهم التنبؤية عن الكارثة فقال أحدهم أنه رأى خيولاً سوداء تجر عربات للموتى تنحدر نحو القرية.. ورأت امرأة مسنة أمواج سوداء تطارد أطفالاً في زي المدرسة.. وحلمت امرأة أخرى صراحة بالأطفال يدفنون تحت أكوام الفحم، كما حلمت سيدة من بليموث تدعى ملدن بأنها كانت جالسة أمام التلفزيون تشاهد تقريراً عن كارثة وقعت بإحدى القرى، وفي اليوم التالي شاهدت نفس التقرير حياً على الهواء!!؟

أما أكثر القصص إثارة للمشاعر فهو الحلم الذي شاهدته إحدى الطفلات اللواتي قضين تحت الأنقاض.... ففي صباح ذلك اليوم رفضت الطفلة (أريل ماي جونز) الذهاب للمدرسة لأنها - كما اخبرت والدتها - حلمت بأنها حين وصلت للمدرسة لم تجدها في مكانها ووجدت بدلاً منها كتلة سوداء يصرخ من تحتها الأطفال.

وطبعاً كجميع الأمهات رفضت والدتها ذلك التبرير وأصرت على ذهاب ابنتها للمدرسة.. حيث دفنت مع البقية!






ظواهر
طبيعية
خارقة



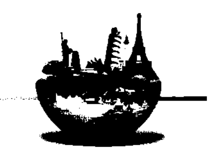
ظاهرة الاحتراق الذاتي





لاأظنني سأكتب أغرب من هذا المقال.. هذا مادار في ذهني حين باشرت التحضير للموضوع ؛ فقد قرأت الكثير عن الظواهر العجيبة، ورأيت الكثير مما لايقبله المنطق.. ومع ذلك لم أدهش لشيء كدهشتي من الظاهرة المعروفة باسم الاحتراق الذاتي للإنسان - أو مايعرف بـ(SPONTANEOUS HUMAN COMBUSTION)





ففي هذه الظاهرة يحدث احتراق ذاتي لجسم الإنسان بصورة مفاجئة وبدون أي مصدر خارجي للنار. ورغم أنني لم أسمع بمثل هذا الأمر في تراثنا العربي، إلا أن هذه الظاهرة - على ندرتها - معروفة في مجتمعات عديدة حول العالم..

فحالات الاحتراق الذاتي للجسم تعود بداياتها الموثقة إلى القرن السابع عشر في التقارير الطبية لمستشفيات أوروبا. ومع نهاية هذا القرن أصبح هناك أكثر من (٢٥٠) حالة مؤكدة لتلك الظاهرة.. وفي الحقيقة يدعى المهتمون بأن العدد يفوق ذلك بكثير (فمعظم الحالات تصنف كحوادث احتراق عادية أفضت للموت). أضف لذلك أن الواقع يثبت أن تلك الظاهرة بعيدة تماماً عن كونها حوادث احتراق عادية تسبب بها " مصدر خارجي " ؛ ففي معظم الحالات لايكون قرب الضحية لأي مصدر للنار.. فهناك حوادث احتراق حدثت لأناس يمشون أو يسوقون سياراتهم، وهناك حالات حدثت لأطفال رضع (كالتي شهدها مستشفى برمنجهام في إنجلترا في ٢٦ أغسطس ١٩٧٤ لطفلة تدعى ليزا إحترقت بدون سبب معروف!).

وكثيرًا ما يبدو الاحتراق محدوداً ونابع من الجسم نفسه ؛ ففي حالات كثيرة يتحول الجسم إلى رماد في حين تظل ملابس الضحايا وأحذيتهم بدون أذى. ولم يحدث أبداً أن امتدت النار إلى الستائر



أو أثاث المنزل أو سببت حريقاً كبيراً ؛ فالأمر هنا أشبه بالتهاب عود كبريت يبدأ بقوة ثم ينتهي فجأة ومن العجيب أن عظام الإنسان لاتتلاشى إلا في درجة حرارة عالية (٤٠٠٠ ف) وبعد مدة طويلة.. وحتى في هذه الحالة لايسع جمجمة الإنسان إلا أن تتقلص إلى حجم البرتقالة، أما في تلك الظاهرة فالجسم فجأة يتحول إلى رماد!!؟

وفي العصور الوسطى كانت الكنيسة تدّعي أن تلك الظاهرة تحدث لأناس بلغت ذنوبهم " الحد الأقصى ".. وفي عصور لاحقة ظهر اعتقاد قوي بأن حالات الاحتراق تحدث لمدمني الكحول فقط (لكونه مادة سريعة الاحتراق) وهناك من يرى أن تلك الحوادث تتسبب بها " الجن والشياطين "...

وكثير من الأطباء وعلماء الفيزياء لايصدقون بهذه الظاهرة رغم تسليمهم بغرابة حالات الاحتراق نفسها ؛ ومع ذلك أرى أن مواصفات تلك الظاهرة (القوة، والفجائية، والمحدودية) هي الأقرب إلى فرضية التقاء جزيئات المادة بأجسامها المضادة.

فمن المعروف أن لكل جسم مادي (ضد) متى ما التقى به فنى معه وأطلقا كمية هائلة ومفاجئة من الطاقة ؛ وفي ظاهرة الاحتراق الذاتي للجسم لابد أن أجساماً مضادة تكونت بصورة غير معروفة فالتقت مع أضدادها فسببت دمار الجسم وحولته إلى رماد...!

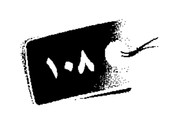




ومن أشهر الحوادث الموثقة ما حدث للمؤلف الإنجليزي المعروف (تمبل تومسون) ميتاً في منزله إثر احتراق نصفه السفلي بشكل كامل. وكان من الواضح أن ناراً قوية سببت تفحم ذلك الجزء وتقلص عظامه إلى حد كبير.. الغريب في الأمر أن تلك النار لم تؤثر على نصفه العلوي - رغم شدتها - كما لم تسبب احتراق ملابس الضحية أو أثاث المنزل...

ورغم تشكك بعض العلماء في تلك الظاهرة، إلا أن الفيزيائي المعروف (هارتويل) كان من شهود العيان الذين حضروا احتراق إحدى النساء في ماساشوسيت بدون سبب واضح.. ففجأة، وأمام أعين الجميع اشتعلت النار في جذع وساقي المرأة ثم سرعان ما تفحمت خلال ثوان معدودة...!؟

وفي عام ١٩٣٨ وقعت حادثة احتراق مشهورة أمام حشد كبير من الناس في مقاطعة إسكس الإنجليزية ؛ فبينما كانت الفتاة (فيليس نيوكومب) خارجة من أحد الفنادق مع مجموعة من المدعوين غمرتها نار مفاجئة أتت عليها خلال دقائق. وقد فشل الحاضرون في إخماد النار التي بدا أنها تنبع من داخل جسمها - (وقد ورد في أوراق المحقق الفقرة التالية: لم يسبق أن شاهدت شيئاً كهذا... فقد احترقت الفتاة بنار زرقاء ذات منشأ مجهول...).



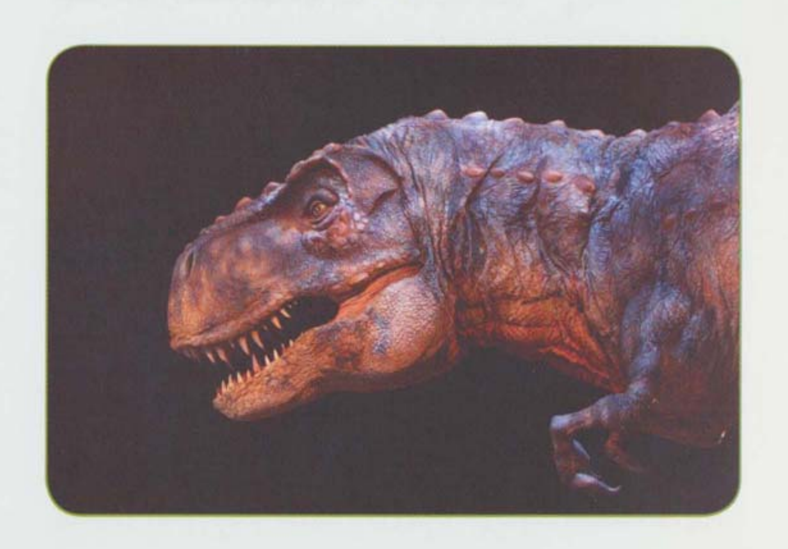
وكان البيولوجي (إيفان ساندرسون) مؤسس جمعية " تقصّي مالا يمكن تفسيره" قد ذكر في أحد تقاريره حالة السيدة (ماري كاربنتر) التي اشتعلت فيها النار أثناء قيامها بنزهة في أحد القوارب ولم تفلح محاولات زوجها وأبناؤها في إطفاء النار بماء البحر حتى لفظت أنفاسها...

أما أشهر حالات الاحتراق الذاتي في الولايات المتحدة فهي صور احتراق الدكتور (جون بنتلي) عام ١٩٦٦ والذي تحول إلى كومة من الرماد الناعم بدون سبب مفهوم.. العجيب في الحادثة أن القدم اليمنى، وستائر الحمام ظلا بدون أذى، وبقي كل مايحيط بجثمان الطبيب سليماً في حين تحولت عظامه إلى رماد!؟

ومهما يكن الوضع باستثناء ماذكرته عن المادة المضادة... ليس لدي تعليق آخر!!؟



إنقراض السادة



قبل فترة بعيدة ظهر في الولايات المتحدة ما يعرف بحمى الديناصورات بعد النجاح الكبير الذي لاقاه فيلم (الحديقة الجيروسية).. ففي ذلك الفيلم ينجح العلماء في تنمية أحد الديناصورات اعتماداً على التركيب الجيني لمورث أحفوري وجد بحالة صالحة. وفي الأيام الثلاثة الأولى وصل دخل الفيلم - في



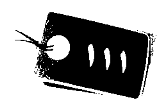
أمريكا فقط - إلى خمسين مليون دولار وحول العالم تجاوزت أرباحه الثلاثين مليوناً.

وفي الحقيقة لم يكن الأمريكان بحاجة لما يزيد هوسهم بالديناصورات ؛ ففي الولايات المتحدة كثير من (المنتجات الديناصورية) على شكل ألعاب وهدايا وملصقات.. ومنها انتشرت التقليعة إلى بقية العالم - وبالطبع ساهم في ترسيخ كل ذلك الاكتشافات المتتالية لأحافير كانت يوماً ما أضخم من مشى على الأرض!

وللعلماء آراء متباينة في الأسباب التي أدت إلى انقراض الديناصورات.. فمن أشهر الافتراضات أنها انقرضت بسبب تبدل عنيف ومفاجىء في المناخ نتيجة اصطدام أحد الكويكبات بالأرض قبل ستين مليون عام. ويؤيد تلك الفرضية الانقراض المفاجىء لمخلوقات عديدة عاصرت الديناصورات وشكلت (٧٠٪) من مخلوقات ذلك الوقت.

فالديناصورات سادت الأرض طوال مليون سنة. ومن حفرياتها المكتشفة يبدو أنها كانت فصائل حيوانية ناجحة بدليل أنها غزت كل بيئة معروفة على وجه الأرض في ذلك الوقت ؛ فقد وجدت في صور وأشكال مختلفة فكان منها الصغير والكبير، السابح والطائر، العشبي والمفترس.. وفجأة وبدون مقدمات بادت تلك الحيوانات

وأخلت مكانها للثدييات الأمر الذي شكل أحد أصعب الألغاز التي يواجهها العلماء منذ أن تعرفوا على أول أحفورة لها مع بداية القرن التاسع عشر.





أما لماذا بادت تلك الحيوانات العملاقة، وكيف تم ذلك، فهذا ما سنحاول معرفته من خلال استعراض أشهر النظريات حول هذا الموضوع:

فبالإضافة إلى الافتراض السابق (وهو الأقرب للصحة حول تبدل المناخ المفاجئ بسبب سقوط كويكب على الأرض) نجد أن أقدم التبريرات تدّعي أن أجسام الديناصورات تضخمت إلى حد لم تستطع معه التأقلم مع متغيرات البيئة فسقطت في صراع البقاء. ويعيب هذه الفرضية أنه: ليس كل الديناصورات كانت هائلة الحجم كما نتصور.. أضف لذلك أن تلك المخلوقات بادت عن بكرة أبيها ولم تتكيف أي من فصائلها (أو بالأصح لم تتح لها فرصة التكيف أصلاً) كي تتمكن من البقاء ولو في صورة منزوية كما حصل مع فصائل حيوانية أخرى!

أيضاً من المعتقد أن عصراً جليدياً قارصاً تسبب في انقراض الديناصورات في حين لم يصب حيوانات البحر أي سوء.. (ولكن ماذا عن الحيوانات الأخرى التي انقرضت رغم قدرتها على التأقلم مع الأجواء الجديدة!).

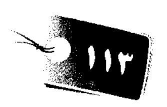
وهناك فرضية تدّعي أن الانحراف القديم لقطبي الأرض المغناطيسيين سمح للجسيمات الكونية القادمة من النجوم بمحق صور الحياة على اليابسة، ولم تنجو من تلك الجسيمات سوى الثدييات التي كانت تعيش في البحر قبل أن تخرج إلى اليابسة وتنتشر بها من جديد (والرأي ليس لي على أي حال...)!؟



ولعل أغرب ما في قضية الديناصورات أنه في عام ١٩٨١ ادعى عالم الحيوان البريطاني (روي ماكال) بأن منطقة المستنقعات النائية في الكونغو مازالت تأوي أنواعاً نادرة من تلك المخلوقات. وقد أثار تصريحه ذلك تهكم العلماء وسخرية الصحافة. ومع ذلك تمسك (ماكال) برأيه وعزم على القيام برحلة إلى تلك المنطقة لإثبات صحة فرضيته.

ومن المعروف أن المستنقعات الشاسعة في (الكونغو برازفيل) تعتبر منطقة بدائية غير معروفة لعلماء الأحياء. أضف لذلك أنه منذ زمن طويل ردد السكان المحليون شائعات عن وجود حيوانات ضخمة تشبه الديناصورات أثارت دهشة المستكشفون الأوائل. وفي الحقيقة دهش الدكتور (روي ماكال) حين وجد أن الأقزام (سكان تلك المنطقة) تعرفوا بسهولة على صور الديناصورات التي بحوزته!! وبعد انتهاء رحلته لتلك المنطقة قدم (ماكال) آثاراً لأقدام حيوان ضخم بحجم الديناصور.. كما أثبتت الرحلة وجود أعشاب تتغذى عليها الديناصورات كان يظن أنها - هي أيضاً - انقرضت منذ ملايين السنين!؟

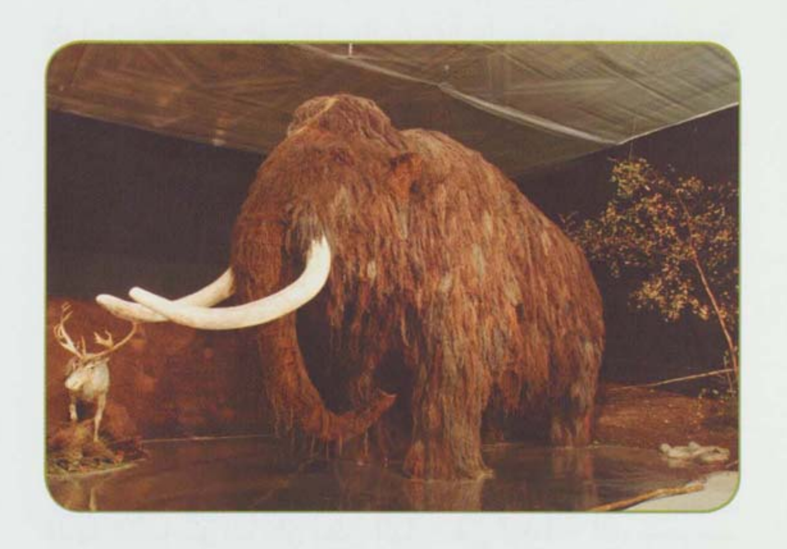
على كل حال لم يستطع (ماكال) القيام برحلات أخرى لصعوبة البحث وإصابته بالملاريا.. والأهم من ذلك عدم وجود من يموّل رحلاته ويقتنع بجدواها.. وبيني وبينك من يرغب بعودة الديناصورات؟!!







سر الماموث



في فترات كثيرة من عمر الأرض حدثت موجات عديدة من الانقراضات أنهت معها حياة أعداد كبيرة من الكائنات. وفي معظم تلك الحالات اتفق علماء الطبيعة على آراء معقولة ومقبولة لتفسير تلك " الموجات ".

فعلى سبيل المثال إنقرض " ثور السهوب " والقطط ذات الأنياب

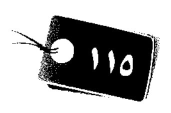


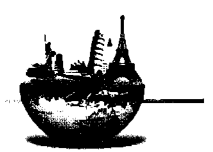
السيفية والأمادلو (حيوان مدرع) وبعض أنواع الذئاب القطبية بسبب عدم تأقلمها مع التغير المفاجىء في الأحوال المناخية التي رافقت نهاية العصر الجليدي الأخير...!

وحتى الديناصورات - التي تحدثنا عنها في المقال السابق - إتفق العلماء على بعض الفرضيات المقبولة لأسباب انقراضها بعد أن سيطرت على الأرض لفترات طويلة.. ومع هذا يظل هناك حيوان واحد على الأقل ما تزال أسباب انقراضه سرًّا مغلقاً حيّر أذكى العقول وأكثرها قدرة على التخيل.. إنه الماموث!!

والماموث حيوان أقرب ما يكون إلى الفيل ويبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ويملك نابين من العاج وخرطوم ينتهي باصبعين صغيرين. إلا أن الماموث يختلف عن الفيل بحجمه الضخم وشعره الطويل (الذي يصل لنصف المتر) ونابي العاج اللذين يفوقان كثيرًا نابي الفيل. وقد عاش هذا الحيوان منذ آلاف السنين في أصقاع سيبيريا حيث اكتشف بعد انقراضه في حالة غريبة منذ بداية هذا القرن!؟

فمن العجيب مثلاً أن تلك الحيوانات انقرضت نتيجة (تجمد مفاجئ) لدرجة أن قطعاناً كاملة وُجدت واقفة بانتظام الواحد تلو الآخر. ونتيجة للتجمد المفاجئ ظلت لحومها بحالة ممتازة بحيث استعملها سكان سيبيريا لإطعام كلابهم. كما ساعد التجمد على الاحتفاظ بأنياب العاج بحالة سليمة بحيث أمكن لروسيا (وليس إفريقيا أو الهند)





أن تقدم نصف صادرات العالم من العاج. وحدث عام ١٩٧٧ أن وُجدت أفضل عينة متجمدة لذلك الحيوان في جمهورية ياكوتسك السيبيرية بحيث أمكن إعادة تحنيطها و" فرد " شعرها!!

وعليه يحق لنا التساؤل عن (مدى البرودة) التي أدت إلى تجمد حيوانات كانت تعيش أصلاً في مناخ قطبي بارد (فقسوة وفجائية التبريد بلغت حد الاحتفاظ بالأطعمة المهضومة داخل أمعائها بحالة جيدة، كما وجدت بقايا أعشاب صالحة في فم ماموث لم يبلعها بعد!!).

أضف لذلك في أي ظرف يمكن تجميد وطمر تسعة أطنان من اللحم لحيوانات كانت تجوب سيبيريا بالملايين؟!

ليس لديّ جواب مُرْضٍ، ولكن سأخبرك بشيء قد يكون ذا علاقة:

فقد بحث العلماء طويلاً فيما يسمى سر الضفدع؛ فهناك ثلاثة أنواع على الأقل من الضفادع قادرة على التكيف مع درجات حرارة تصل إلى (٦٠) درجة تحت الصفر. وهي في تلك الحالة تكون في مرحلة بيات شتوي وحالة شديدة من التجلد لدرجة أن قوة بسيطة قادرة على كسر رجليها كقضيب من الزجاج.. وحين يحل الربيع وتنتشر أشعة الشمس يبدأ الدفء في إذابة الأعضاء المتجمدة فيستعيد الضفدع حيويته ونشاطه.

والضفدع المتجمد ليس الوحيد في هذا المجال - ولكنه بلا شك أفضلها جميعاً - فحيوانات الماموث مثلاً كانت قادرة على العيش في درجات حرارة منخفضة جدًّا، بل إن هناك عناكب ويَسَارِع قادرة على العيش في ظروف (٣٠) درجة تحت الصفر.

وقد اكتشف في وقت متأخر أن تلك الحيوانات تملك خاصية إنتاج مادة مانعة للتجلد (شبيهة بتلك التي توضع في محركات السيارات) وإن عملية التجلد لديها تتم بدون أن تمزق " بلورات الجليد " خلاياها الحية.

ولكن ماذا يحدث عند الإنسان لو فكرنا بتجليده ؟

على الفور ستدمر تلك البلورات خلاياه وتؤدي إلى وفاته عند درجة الصفر المئوي.. وحتى لو افترضنا ابتكار تقنية تتيح تجميد الأعضاء بدون تمزيق خلاياها فإن الإنسان لايتحمل حقنه بكميات كبيرة من السكاكر المضادة للتجمد - لأن من شأن نسبة بسيطة منها إصابته بمرض السكر..

على أي حال إن نجاح العلماء في إخضاع الإنسان إلى " سبات شتوي " سيفتح آفاقاً واسعة في مجال نقل الأعضاء و" تصبير " مرضى الحالات الخطرة..

أما بالنسبة لحيوانات الماموث - فمن يدري - قد تكون أصيبت فجأة بما دمّر " موانع التجمد " لديها!!!؟







التنين حقيقة أم أسطورة



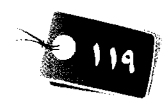
يزخر التراث العالمي بقصص متشابهة عن الوحوش الأسطورية. وفي الأساطير الشرقية على وجه الخصوص هناك أنواع كثيرة تمثل غالباً الجانب الشرير من الحياة - تماماً كالغول والعنقاء في تراثنا العربي..

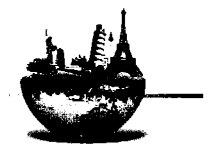


ولكن قد يكون " التنين الصيني " في التراث الآسيوي هو الاستثناء الوحيد لأنه يعكس الطيبة والجبروت في آن واحد.. وبغض النظر عن الفكرة الخرافية التي تصور التنين كوحش قادر على نفث اللهب من منخريه (إذ من المستحيل على أي حيوان "توليد" حرارة تزيد عن درجة حرارة جسمه الداخلية) فقد بلغت أهمية التنين في التراث العالمي أن اتخذ رمزاً لكثير من المظاهر الحياتية. ففي الصين مثلاً إتخذ رمزاً للأباطرة الذين كانوا يجلسون على عروش تمثل التنين وينامون على سرر بهيئته ويتنقلون في محفات بصورته، وفي اليابان كان تعويذة النصر للطبقة المحاربة ورمز القوة والبطش لكثير من الإقطاعيين...

والمحير في أسطورة التنين أن له رموزاً مشتركة لدى مختلف الحضارات القديمة. وهذا الأمر دعا بعض الباحثين للتساؤل إن كان للتنين أصل حقيقي منقرض ؛ فإن صح هذا الافتراض فسنكون في معضلة تفرض علينا إعادة النظر في (تواريخ) انقراض بعض الحيوانات القديمة...!!

فهناك مثلاً إفتراض بأن التنين ماهو إلا نوع من الديناصورات التي عاشت قبل (٦٥) مليون سنة. ولكن تصديقنا لهذا الافتراض





يضعنا في إشكال حقيقي؛ فإن سايرنا القول بأن عمر الإنسان على الأرض لايتجاوز الخمسة ملايين سنة فكيف عرف الإنسان القديم بوجود التنين واتخذه رمزاً لكثير من مظاهر حياته. وبافتراض أن التنين كان فعلاً أحد أنواع الديناصورات المنقرضة فما الذي يجعلنا نتصور أنه استُثني من الكارثة التي أدت إلى هلاك الديناصورات.. أم لعله من الأفضل إعادة النظر في التواريخ التي لدينا عن انقراض الحيوانات القديمة إن ثبت فعلاً تعامل أجدادنا مع التنين!!

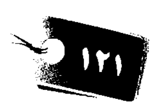
على أي حال قد يكون من المناسب القول أن علماء الجيولوجيا اكتشفوا بقايا حيوانات متحجرة تشبه التنين عاشت في أزمنة حديثة نسبياً بحيث أتيح للإنسان مشاهدتها. ففي أستراليا على سبيل المثال عاش حيوان زاحف يشبه التنين طوله خمسة أمتار لم ينقرض إلا منذ عشرين ألف سنة فقط.. ولِمَ نذهب بعيداً فما زالت تعيش في الملايو سحالي ضخمة تشبه التنين تسمى دراكو (مشتقة من إسم التنين DRAGON) وتستخدم أجنحة جلدية رقيقة للانزلاق في الهواء لمسافات بعيدة. أيضاً منذ وقت قريب نسبياً انقرضت سحالي أضخم حجماً من نفس النوع في جزر المحيط الهادي..

وعلى هذا الأساس لانستبعد أن يكون الخيال البشري قد أضاف



لتلك السحالي نوعاً من الصفات الخارقة كقدرتها على الطيران ونفث اللهب، واعتبارها" مراسيل الشيطان"!

وبهذا الافتراض فقط تكون المشكلة قد حلت.. أما غير ذلك فكيف نفسر وجود التنين في الأساطير المشتركة لشعوب لم تعرف أبداً بعضها البعض!!؟







حين تمطر السماء.. أشياء آخرى



كثيرًا ما نسمع أقوالاً من قبيل أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة ولا ألماساً ولا حتى قليلاً من الحظ والمال.. ومع ذلك أمطرت السماء في مناسبات عديدة سمكاً وضفادع وأكوام من الحجارة وكرات من الجليد بكل ماتعنيه الكلمة!!

ففي الأماكن القريبة من البحر يحدث أن تهب الأعاصير

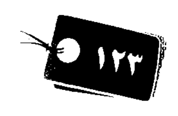


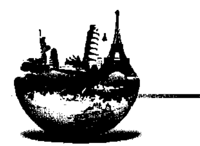
بشكل دوامات لها قوة شفط كبيرة. فإذا توافقت الظروف وتوفرت المخلوقات، يمكن للدوامة حمل تلك الكائنات وإسقاطها في أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية.

ومثل هذه الحوادث ليست جديدة تماماً ؛ ففي التاريخ اليوناني تعرضت منطقة بايونيا وادارينيا في عام (٢٠٠ م) لزخات من "الضفادع" مما اضطر السكان لمغادرة أحيائهم لحين زوال روائح التحلل النتنة. ومن المعروف أن الضفادع كانت جزءاً من "الآيات" التي ابتلى بها الله بني إسرائيل ؛ كما جاء في محكم التنزيل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٣).

أما أحدث قضية من هذا النوع فهي غرق أحد زوارق الصيد اليابانية في ١٩٩٧ بسبب "بقرة" سقطت من السماء. ولم تصدق السلطات اليابانية* هذا الادعاء واعتبرت الحادث مفتعل لقبض قيمة التأمين. إلا أن صحيفة "هامبورج مورجينوست" الألمانية أكدت الخبر كما أيد ذلك تقرير لمكتب سلاح الجو الأمريكي العامل في روسيا F.A.A..

* في وقت لاحق كشفت السلطات الروسية أن بعض جنود سلاح الجو سرقوا قطيع من البقر من أحد المعسكرات النائية وحاولوا نقله بطائرة عسكرية فارغة. وبسبب سوء الأحوال الجوية وهياج القطيع واجهت الطائرة خطر السقوط الأمر الذي دعى الجنود لرمي الأبقار الواحدة تلو الأخرى فسقطت إحداهن على الزوارق اليابانية فأغرقته (حسب ما نشرته «الشرق الأوسط» في ١ مايو ١٩٩٧ م).





ورغم أن مثل تلك الحوادث " تُغلّف " دائمًا بالمبالغة والغموض، إلا أن هناكحوادث مشهورة وقعت في تواريخ وأماكن متفرقة؛ فالكاتب البريطاني فرنسيس هتشنج (المتخصص في رصد الحوادث الغامضة) تحقق من بعض الحوادث التي وقعت بين عامي (٢٠٠ م) إلى (١٩٧٣) ووجد مايلي:

- وفي عام ١٨٠٤ حدثت عاصفة ثلجية نزلت منها أعدادٌ كبيرة من اليرقات والطحالب الخضراء!

- في عام ١٩٦٦ توالت على مدينتي ميدستون ودانفورد زخات من المطر

والأسماك.. وبيعت الأسماك بعد ذلك في أسواق المدينة!!

- وفي عام ٢٠٠ م نزل على جزيرة سردينيا مجموعة كبيرة من الضفادع بعد عاصفة رعدية عنيفة..

- وبعد عاصفة هوجاء في عام ١٨٨١ نزلت كميات هائلة من الحلزون البحري في شوارع جزيرة جاوة وكان بعضها مايزال حياً!!

- وفي عام ١٩٥٩ سقطت آلاف الأسماك الصغيرة على مطار تاونزفيل وأُخطِر بالحادث المتحف الأسترالي للأحياء...

أيضاً هناك ظاهرة مشابهة لاتقل غرابة عن نزول الأسماك والضفادع مع زخات المطر ؛ فكثيرًا ماتسقط أثناء العواصف كرات " ثقيلة " من الجليد تتجاوز في أحجامها عدة كيلوغرامات. ففي ٩ تشرين الثاني من عام ١٩٥٠ ذكرت صحيفة " لندن إيفننج نيوز " خبراً مفاده أن إحدى مزارع ديفون شاير تعرضت لوابل من قطع جليدية تبلغ أحجامها حجم كرة السلة، وأشهر نموذج لتلك الكرات هو الذي وجده الدكتور " جريف " أستاذ الفيزياء بجامعة مانشستر. ففي ٢ نيسان ١٩٧٣ وأثناء مراقبته لعاصفة رعدية سقطت بجانبه كرة جليدية صلبة تفتت لقطع صغيرة إلتقط منها قطعة يبلغ وزنها (٦١٢) غراماً.

وفي كتاب للمؤلف الأمريكي " تشارلز فورت " حول هذا الموضوع نرى خريطة توضح أماكن وتواريخ سقوط كرات جليدية لاتقل أوزانها عن (٥٠) كيلوغراماً في معظم الدول تقريباً!!



النباتات المفكرة



هل يشعر النبات؟.. هل يحب ويتألم؟.. هل يحس بنوايا الآخرين ؟

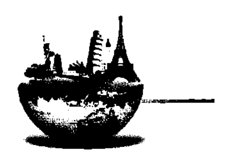
بالنسبة لكثير من المزارعين في منطقة المدينة المنورة فإن هناك حالات عاطفية تصيب النخيل ؛ فهناك مثلاً النخلة العنيدة، والنخلة العاشقة.. والنخلة التي " لايمكن التنبؤ بما ستثمر "؟!!



فالنخلة العنيدة (في نظرهم) هي التي ترفض الإثمار وعلاجها الوحيد التهديد والكي بالنار.. أما النخلة العاشقة فنخلة تميل بجذعها إلى نخلة تجاورها، وتتميز أطرافها بالذبول ماعدا تلك التي في اتجاه النخلة (المحبوبة) حيث تظهر في أطرافها رعشات دقيقة.. وعلاج هذه "الحالة" مجرد ربطها بحبل غليظ مع النخلة المجاورة!!

ورغم أن النباتات لاتملك جهاز عصبي متطور؛ إلا أن التجارب أثبتت أن الشعور لديها يتم على مستوى الخلية حتى في الأجزاء المفصولة عنها. ويعود الفضل في التنبيه إلى حساسية النبات وشعوره الفائق إلى خبير في أجهزة الكذب يدعى "كليف باكستر". ففي عام ١٩٦٦ فكر باكستر في قياس المقاومة الكهربائية في أوراق نباتات الظل (بواسطة جهاز لكشف الكذب) ففوجئ بظهور ذبذبات ناعمة ورتيبة حين بدأ في سكب الماء في الحوض وعلى الفور تذكر بأن ذلك النوع من الذبذبات يظهر في الإنسان لدى شعوره بالرضا والاطمئنان.. وحين جلس باكستر مفكراً في النتيجة التي توصل إليها خطرت له "فكرة قذرة".. فقد سارع إلى إخراج قداحة السجائر لحرق إحدى الأوراق. وما أن أشعل النار حتى رسم الجهاز إشارات صاخبة تدل على الخوف والاضطراب. بعد ذلك إشتهر باكستر بهذا النوع من التجارب وأثبت في حالات كثيرة أن النبات ينزعج





من موسيقى الروك الصاخبة وأنه يتجاوب من الأحاديث العاطفية الحميمة..

وإيماناً منه بقدرة النباتات على التأثر بشعور الآخرين أخذ ينصح محبي النباتات بمخاطبتها وملاطفتها إذا أريد لها النمو بشكل صحي وسليم - واليوم لاتستغرب إن رأيت شخصاً في الغرب يلاطف الزهور ويتحدث معها ؛ فالجميع يستشهد بما فعل باكستر!

ومع احترامي لجميع الآراء إلا أن من يعرف نبات الميموزا الاستوائي لايستغرب ما ذكرناه سابقاً ؛ فهذه النبتة تتميز بحساسية فائقة في مرحلة نموها السريع ؛ فحين تهب ريح باردة أو تقرب من النار تنكمش أوراقها فجأة وتتجعد.. والنباتات آكلة الحشرات تطبق بأوراقها على أي حشرة تشعر بها وتحولها إلى عصارة مغذية - وذلك لقلة البروتين في التربة.

وقد أثبت عالم هندي يدعى "جاجاديس بوس" (مؤسس معهد بوس للأحياء بكلكتا) أن نبات اللفت يملك جهازاً عصبياً بدائياً، وأن النباتات الكبيرة تستجيب عصبياً بصورة أبطأ من النباتات الصغيرة.

أما في الاتحاد السوفييتي السابق فأمكن لأول مرة تصوير الهالة

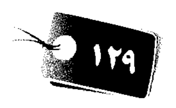


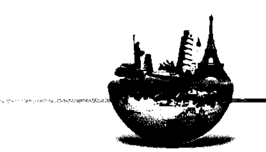
الطيفية التي تحيط بالنباتات (وهي الهالة الكهربائية التي تحيط بجميع الكائنات الحية) والمعروفة باسم هالة كليريان. وبفضل تجارب العالم بوشكين ثبت أن نبات الجيرانيوم يتأثر بمشاعر المحيطين به ويتعرف على نواياهم تجاهه - كما أشار بذلك جهاز لقياس المجالات الكهربائية يدعى " أنسيفالوجراف "!

ومن أطرف تجارب بوشكين أنه أمر طالبة تدعى تانيا بالبكاء بقرب حوض للنباتات وأثبت لبقية الطلاب كيف أن نبات الجيرانيوم أبدى " تعاطفه " معها وحزنه لأجلها.. وفي وقت لاحق أعيدت تجارب بوشكين على يد عالم روسي آخر يدعى

" جونار " أثبت أن قطع طرف ورقة النبتة يثير رد فعل سلبي عند قاعدة الورقة بما متوسطه (٥٥) مللي فولت...

وفي الحقيقة يبدو أن الإحساس بالخطر، والتأثر بالمشاعر لايتم بين أجزاء النبتة الواحدة فقط، بل بين النباتات المجاورة أيضاً. ففي دراسة من هذا النوع أثبت الدكتور كيث روبرتس (من معهد جون إينز الإنجليزي في تقرير نُشر في مجلة نيشر عام ١٩٩٢) أن النباتات تتناقل فيما بينها إشارات كهربائية معقدة للتحذير من هجوم الحشرات. وقال الدكتور روبرتس " أن هبوط مجموعة من الحشرات على نبتة الطماطم يجعلها تسارع إلى إخطار النباتات المجاورة لتتخذ إجراءات دفاعية من أبرزها زيادة نشاط المواد



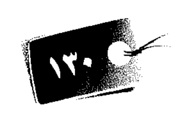


البروتينية بشكل يسبب عسر هضم للحشرات المهاجمة ". ويعتقد الدكتور روبرتس أن تناقل الأخبار بين النباتات يتم بواسطة تغيرات كهربائية طفيفة في تربة الحوض.

ومن جهة أخرى يبدو أن الشعوب البدائية أدركت قدرة النباتات على التأثر والإحساس بالظروف المحيطة بها ؛ فمن المعروف أن جميع الشعوب تقريباً كانت تمارس طقوساً وعادات خاصة لإعطاء أفضل محصول.. ففي جنوب البرتغال تمنع الفتيات من تسلق الأشجار كي لاتتأثر بعذريتهن فيقل إنتاجها. وفي منطقة باجندا بإفريقيا الوسطى تمنع المرأة العاقر من دخول الحقل كي لايتضرر المحصول. وفي جزيرة جاوه الأندونيسية يحرص المزارعون على التسلل مع زوجاتهم إلى حقول الأرز في الليلة السابقة للجني إعتقاداً منهم بأن العلاقة الزوجية تؤثر على النباتات بشكل جيد.. أما القبائل الهندية في جنوب أمريكا فتقيم احتفالات خاصة إيماناً منها بتأثيرها الجيد على إنتاج النبات ومقاومته للآفات.. إلخ

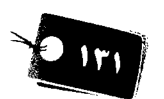
وبالطبع قد لاتكون تلك المعتقدات صحيحة، إلا أنها دليل قوي على إيمان تلك الشعوب بقدرة النباتات على التواصل والتأثر بالأحداث...

على أي حال ليس أفضل ما نختم به هذا المقال من الحديث



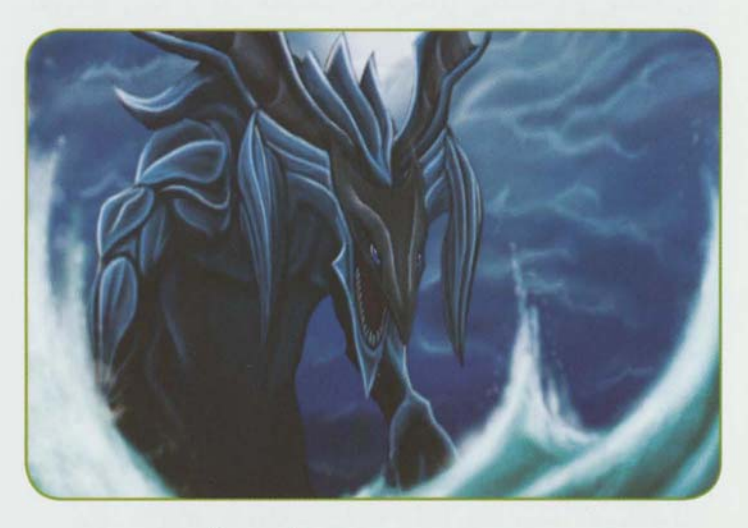
الذي ذكره جابر: " كان جذع يقوم إليه النبي فلما وُضِع المنبر (وتحول الرسول إليه) سمعنا للجذع مثل صوت العشار حتى نزل النبي فوضع يده عليه فسكن "* .

* رياض الصالحين





وحوش العالم



ما عرفناه وصنفناه من مخلوقات أرضية أقل بكثير مما هو موجود في بيئات غنية كغابات الأمازون وسيبيريا وأعماق البحار الاستوائية. ومن الواضح أن عصرنا الحاضر مجرد فصل واحد من عصور عديدة عاشتها الأرض ؛ وما لانعرفه عن الحيوانات التي انقرضت أكثر بكثير مما ساعدتنا الظروف على اكتشافه..!

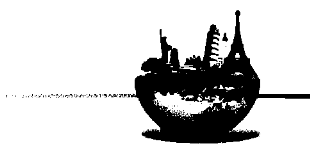


فحين استوطن البيض شواطئ كندا سمعوا من الهنود أسطورة تعود لعدة قرون حول وحش طويل الرقبة يدعى كادوروسوس.. وبالجمع بين أساطير الهنود (التي لم يكن يؤبه لها) وبعض الشهادات الموثقة وجد أن هناك شبهاً كبيراً بين هذا الوحش ووحوش أخرى عديدة تعيش في بحيرات العالم!!

فمن جامعة كولومبيا البريطانية جمع العلماء أدلة على وجود مخلوق بحري غير معروف قبالة شواطئ كندا الغربية. وقدم الباحثان "إدبوسفيلد" و"بول لوبلان" نتيجة أبحاثهما حول هذا الموضوع إلى الجمعية الأمريكية لعلماء الحيوان في ديسمبر ١٩٩٢. وخلال الستين عاماً الماضية اكتشف ستة من تلك المخلوقات منها وليد كان على قيد الحياة، وآخر اكتشفت بقاياه في بطن حوت ضخم لم يهضم بعد!؟

أيضاً منذ ٣٠٠ عام لاحظ سكان القرى الجنوبية في النرويج وجود حيوان غريب يستوطن بحيرتهم سيلجود (التي يبلغ طولها ١٥ كم وعرضها ٢ كم). وحالياً يعتقد بان ذلك الوحش يعود لفصيلة الزواحف البحرية التي انقرضت منذ أمد طويل. ويقول علماء النرويج أنه لو كان ذلك المخلوق من بقايا حقبة الديناصورات فيجب أن يكون هناك غيره حتى يمكن لسلالته أن تبقى على قيد الحياة خلال هذا العمر الطويل.





أما الروايات القديمة فتذكر أن سلالة الوحش تسللت إلى بحيرة سيلجود قبل ثلاثة قرون بعد أن كبر حجمها على إحدى البحيرات الصغيرة!؟

وبالنسبة للسكان المحليين فإن همهم الأول هو استغلال الموضوع للترويج لمنطقتهم بين السياح. فمنذ سنوات شكلت المجالس البلدية في تلك المنطقة لجان متخصصة لإقامة المعسكرات السياحية حول البحيرة وتنظيم رحلات بحرية للراغبين في مصادفة الوحش وجهاً لوجه!!

وكمعظم المخلوقات الغامضة التي رصدت في البحيرات فإن الوحش النرويجي يتمتع برقبة طويلة مرنة، وجسم بصلي الشكل ورأس صغير يشبه رأس الجمل أو الفرس. وتتباين الشهادات حول طوله ولون جلده ؛ ولكن يمكن الترجيح بأن له لوناً داكناً وطولاً يتراوح بين (١٥ إلى ٥٠) متراً - وإن كان البعض يدعي بأن له أسنمة متدرجة صغيرة ويصل طوله " لعدة مئات " من الأمتار!؟

أما بالنسبة لوحش بحيرة نيس الإسكتلندية (وهو أشهر من يذكر في هذا المجال) فقد اتفقت شهادات كثيرة على أنه مخلوق ذو رقبة طويلة تنتهي برأس صغير - وهذا الرأس يمتد من جسم بصلي الشكل ينتهي بذنب ضخم.

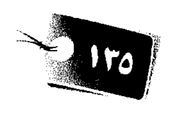


ومن أقوى الشهادات ماذكره السيد " هيوكراي " بخصوص مشاهدته لمخلوق غريب يطل من البحيرة ثم يختفي بسرعة.. ولتأكده مما رأى نزل من سيارته وجهز كاميرته ولم يمض وقت طويل حتى برز له جسم أشبه بالبصلة الكبيرة على بعد (١٨٠) متراً فأسرع بالتقاط عدة صور له!

ورغم أن صور كراي لم تكن واضحة بالشكل الكافي للخروج برأي قاطع حول وجود ذلك الوحش، ولكن من الواضح أن الصور كانت لكائن حي كما أكد ذلك علماء الحيوان في جامعة مانشستر. وبعد تلك الحادثة تمكن السيد "ر. ك. ويلسون" عضو الكلية الملكية للجراحين من التقاط صور أكثر وضوحاً للوحش المذكور. فقد لاحظ وجود اضطراب على صفحة الماء فجهز كاميرته والتقط صوراً تظهر رأس الوحش منزلقاً تحت الأمواج. أما أفضل الصور التي التقطت على الإطلاق فهي التي أخذها السيد "أنتوني شيلز"* وتظهر الرقبة الطويلة لذلك الوحش وهو يطل برأسه من فوق المياه. وحين درست تلك الصور أكد علماء الأحياء أنها لمخلوق لم يعرف من قبل!؟

أيضاً بالإضافة للجهود الفردية نظمت حملات بحرية عديدة لكشف غموض بحيرة نيس ووحشها المزعوم. وكان أهم تلك

* في وقت لاحق ظهر تقرير يدعي تزوير «شيلز» لتلك الصورة





الرحلات وأفضلها تجهيزاً حملة هيئة الإذاعة البريطانية الـ BBC وأخرى نظمت عام ١٩٨٨ بتمويل من أحد الأثرياء البريطانيين.. أما آخر حملة علمية ضخمة فحدثت عام ١٩٩٢ تحت اسم "مشروع اركوهارت" واستعمل فيها فريق الباحثين موجات فوق صوتية وكاشفات عسكرية متقدمة تستخدم عادة لرصد الألغام البحرية تحت المياه - إلا أن أياً من تلك الحملات لم يخرج برأي قاطع من بحيرة يبلغ طولها (٣٥) كم وعمقها يتجاوز الـ ٢٢٥ متراً...

على أي حال قد يكون من المناسب التذكير بأن عالم الأحياء (فرنسيس تولي) إكتشف عام ١٩٥٨ في مصر بقايا حية منقرضة ذات جسم ضخم ورقبة نحيلة لها نفس مواصفات وحش بحيرة نيس!؟

وأياً كان التعليل، لعل أعظم فائدة نخرج بها من هذا الموضوع هو جهلنا الفاضح بالتنوع الفريد لمخلوقات الله في الأرض.. هذا الجهل الذي سيظل قائماً لكل من يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: ٨)



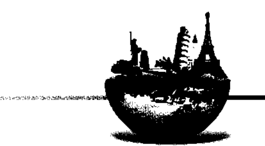


جنون القمر



القمر ملهم الشعراء، ورفيق العشاق وجار فيروز ولاتتوقع من جارك أن يكون منطوياً على نفسه، أو أن يتركك دون أن يتدخل في شؤونك فالقمر أقرب جيران الأرض وأقواها تأثيراً ؛ ولعل أوضح مثال على ذلك ظاهرة المد والجزر التي يؤثر بها على مياه البحر.. وفي الواقع كثيرًا ما تساءلت إن كان يسبب في داخلنا أيضاً





مداً وجزراً طالما أن الماء يكون أكثر من ثلثي أجسامنا و(٨٠٪) من أدمغتنا (فأجسادنا من الداخل أشبه ماتكون بحساء معتدل السخونة)... ثم هل يقتصر تأثير القمر على البر والبحر.. أم له علاقة - أيضاً - بأمزجة الخلائق وحالتها النفسية؟

من الغريب أن تتفق أساطيُر الأمم (ونادراً ما يتفق الناس على خطأ) على أن اكتمال البدر يؤثر على الحالات النفسية للإنسان وأن فترة اكتماله تعتبر بمثابة حالة طوارئ في المستشفيات العقلية.. فالعرب مثلاً كانت تحذر من قرصة العقرب في الليالي القمرية، وكانت تخشى الذئاب في تلك الليالي لأنها تكون في قمة خبثها وهيجانها.. وفي كتابه "زاد المعاد"* يقول ابن القيم الجوزية حول اكتمال القمر:

وقد نص الأطباء على أن البلاد الحارة الحجامة فيها أنفع وتستحب في وسط الشهر، لأن الدم في أوله لم يكن قد هاج وتبيغ (كما في وسطه) وفي آخره يكون قد سكن؛ أما في وسطه فيكون في نهاية التزايد والهياج...

ويقول كذلك ابن سينا في القانون:

يؤمر باستعمال الحجامة في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزايد النور في جرم القمر...

---

* في فصل: هديه في العلاج بشرب العسل، والحجامة، والكي.



وفي الغرب يوجد اعتقاد جازم بأن هناك علاقة بين الجنون وفترة اكتمال القمر (فلفظ لوناسي بالإنجليزية ؛ والذي يعني الجنون مشتق من أحد أسماء القمر: لونا).

وقبل مائتي عام كان القانون الإنجليزي يفرق بين المجنون فعلاً، وبين ذلك الذي يعود جنونه لاكتمال البدر.. وكان مجانين " الفئة الثانية " يعاملون بكثير من الرفق والتسامح. وقديماً كان من التقاليد الراسخة في المصحات العقلية إلغاء إجازات العاملين في الليالي البيض، وضرب المجانين قبل يوم من اكتمال القمر كإجراء وقائي ضد العنف المتوقع منهم في اليوم التالي..!؟

ولكن إن صدقت تلك المعتقدات فما هو التفسير المنطقي لحدوثها ؟

أقدم دراسة حول هذا الموضوع نشرت عام ١٩٦٠ على يد الدكتور " ليونارد رافيتز " من جامعة ديوك الأمريكية وأثبتت أن الشحنات الكهرومغناطيسية التي يطلقها الجسم تتأثر بمجال الأرض المغناطيسي (والذي بدوره يتأثر بمنازل القمر حول الأرض بحيث تبلغ الشحنات أشدها عندما يصبح القمر بدراً).. ويعتقد حالياً أن المرضى العقليين، وغير أسوياء الشخصية أكثر تأثراً باكتمال البدر





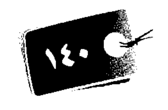
من الأسوياء الذين لايتجاوز تأثير اكتمال القمر عليهم سوى اكتئاب بسيط لايعرفون له سبباً..

ومنذ زمن طويل اتضح أن معدلات الانتحار تصبح في أقصى حالاتها في" الليالي البيض ".

وقد لاحظ المعهد الأمريكي لطب المناخ أن الجرائم التي تتم تحت تأثير المرض العقلي كالحريق المتعمد، والعنف المبالغ فيه تزيد نسبتها عند اكتمال القمر وأن اختفاؤه وراء السحب الكثيفة لايمنع ولايعطل هذه الظاهرة (وهذا قد يعني أن " التأثير " مرتبط بمنازل القمر أكثر من ارتباطه بالقمر نفسه).

وفي مناطق كثيرة حول العالم يعتقد أن الدورة الشهرية للمرأة - والتي يبلغ طولها (٢٨) يوماً ؛ أي المدة بين اكتمالين للقمر - مرتبطة بنحو ما بدورة القمر.. وفي بداية هذا القرن قام الكيميائي السويسري " سافنت إيرنيبوس " بدراسة شملت (١١) ألف سيدة فوجد أن ذروة الطمث عند معظمهن تحدث عند اكتمال القمر الجديد. وبعده بستين عاماً أكد باحثان ألمانيان نتائج الدكتور إيرنيبوس بعد إحصائيات شملت (١٠) آلاف سيدة!!!

ورغم غرابة فكرة وجود علاقة بين اكتمال القمر وبين الظواهر النفسية إلا أن قرب القمر من الأرض وارتباطه وتزامنه مع دورتها



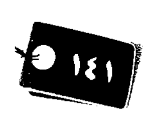
يجعلنا نتوقع وجود (تأثير ما) يتجاوز تأثير المد والجزر - خصوصاً أن فترة ظهور البدر هي الفرصة الوحيدة التي يتقابل بها القمر مع الشمس ويتاح للقمر عكس طاقة الشمس في وقت من المفروض أن ترتاح فيه المخلوقات وتنام!

على أي حال من المعروف أن " الصيام " يكبح من جماح النفس ويخفف من شهوات الجسد ؛ وعليه، نفهم سبب نصح المصطفى الشباب بالصيام إن لم يستطيعوا الزواج * .. ولكن مالم أفهمه حتى الآن هو لماذا نصحنا بصيام الأيام البيض من كل شهر!؟

هل هو بسبب تأثير اكتمال القمر!؟.

سأترك لك الجواب، ولكن " لاتتوقع من جارك أن يكون منطويّاً على نفسه، أو لايتدخل في شؤونك!!! ".

* يعني الكاتب بذلك الحديث المروي عن عبدالله بن مسعود، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ...





استبصار.. حيواني



حتى اليوم عجز العلماء عن إيجاد وسيلة دقيقة للتنبؤ بانفجار البراكين أو وقوع الزلازل. ومن العجيب حقّاً أن كثيرًا من الحضارات القديمة نجحت في الاعتماد على وسائل فعالة للتنبؤ بوقوع الكوارث أكثر منا أهل الكمبيوتر وأقمار الرصد الفضائي.

وقبل التوسع أكثر دعونا نذكر أولاً بحقيقتين علميتين:

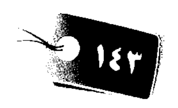


الأولى: أن الحيوانات عموماً لديها موهبة خارقة في الإحساس بالتغيرات المغناطيسية للأرض- وبدقة تفوق قدرة البشر....

والثانية: أن الأرض نفسها تضطرب وتتفاوت فيها تلك التغيرات قبل وقوع الكوارث بوقت قليل...

وبالجمع بين هاتين الحقيقتين نفهم بسهولة قدرة الحيوانات على التنبؤ بالزلازل والبراكين قبل وقوعها بزمن يسير... فقبل " ساعة الصفر " نجد الحيوانات والطيور تحمل أبناءها وتهجر أوكارها طلباً للملجأ الآمن.. وفي أحواض المياه نجد أسماك الزينة تسبح وتتحرك باضطراب كما تظل القطط تدور حول نفسها وتحاول الخروج من منازل أصحابها قبل وقوع الزلازل!!؟ وبملاحظة تلك التصرفات المشتركة - وفي وقت محدد بالذات - إعتمد سكان المناطق المضطربة على سلوك الحيوانات كـ " ترمومتر " للتحذير من وقوع الكوارث الطبيعية!!

والأعجب من ذلك أن يعمد حكماء العصور القديمة إلى الاستعانة ببعض الأحياء لتحديد أفضل البيئات المناسبة لصحة الإنسان. ولعل معظمنا يتذكر قصة الطبيب الرازي الذي أمره الخليفة المتوكل بتحديد أفضل المواقع لبناء مستشفى جديد في





بغداد. ولتنفيذ تلك المهمة عمد إلى تعليق قطع من اللحم في أنحاء كثيرة من المدينة.

وفي الموقع الذي كان فيه اللحم أقل تعفناً من غيره (حيث الهواء أكثر نقاءً وأقل تلوثاً) عمد لبناء المستشفى!!

وكانت قوافل العرب لاتستقر إلا في الأماكن التي تفضله كلابها للاسترخاء.. وأنا شخصياً لاحظت أن قطط المنازل تفضل النوم في الزوايا بعيدة عن المصادر الكهربائية - وعليه أنصحك بوضع سريرك في المكان الذي تفضله قطتك!!

وكان الرومان يعمدون - حين يقررون بناء مدينة جديدة - إلى ترك المواشي ترعى في المكان المقرر لفترة معقولة قبل أن يذبحوها لفحص أكبادها وأمعائها ومدى تأثرها ببيئة تلك المنطقة. أما الصينيون فكانوا يعتقدون بوجود (شبكة) معقدة من المياه الجوفية تسمى خطوط التنين تشكل تقاطعاتها أماكن صحية مقدسة يبنون فوقها المعابد ولايمكن التعرف عليها بدون الحيوانات...

وفي الحقيقة يتنامى الاعتقاد هذه الأيام بأن هناك أماكن أفضل من غيرها فيم يتعلق بتأثير المجال المغناطيسي للأرض على بني الإنسان. كما يرجح أيضاً أن السكن قرب خطوط " الضغط العالي



" والتعرض المستمر لموجات الميكروويف له تأثير سيء على صحة وأعصاب البشر!

وهنا يحق لنا التساؤل ؛ طالما أن البكتريا تتأثر بمجال الأرض المغناطيسي، وتستعين الطيور بذلك المجال لتحديد طرق هجرتها وأماكن استقرارها.. فهل يتأثر به الإنسان أيضاً ؟

(من يدري... لم لاتجرب النوم ورأسك ناحية الشمال المغناطيسي وقدميك نحو الجنوب!)



لغز الدولفين



بلغت العنصرية في ألمانيا النازية حدًّا أن علماء الأجناس فيها وضعوا طرقاً عجيبة لتحديد مراتب الجنس البشري عن طريق أخذ قياسات مترية لسطح الجمجمة إعتقاداً منهم أن هناك علاقة بين سعة الجمجمة و(نوع) المخ الذي تحتويه...

ومن فرط إيمانهم بوجود تلك العلاقة أرسى علماء مدرسة

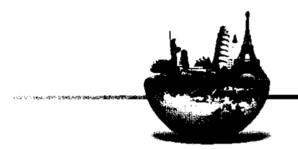


برسول (المتخصصة في علم الأجناس) قواعد لتحديد درجات الذكاء بين الشعوب.. بل وتحديد الأجناس الطبقية فأصبح هناك: جنس الحمالين والخادمات والأطباء والجنود والموظفين ومربي المواشي.. وبناءً على تلك المعتقدات بدأت بعض الجهات في إسناد المهمات والوظائف وفقاً للجنس الطبقي الذي يحدده سطح الجمجمة وحجم المخ فيها!!؟

ومع هذا خرج من ألمانيا ذاتها عالم يدعى " واجنر " أثبت بما لايدع مجالاً للشك أنه ليس هناك أي فارق في الحجم بين مخ عالم في الرياضيات ومخ فلاح بسيط.. كما أثبتت التجارب اللاحقة بشكل قاطع عدم وجود علاقة بين حجم المخ أو شكل الجمجمة (أو حتى الصلع كما يعتقد البعض) وبين درجة الذكاء التي يتمتع بها الإنسان.. فعلى سبيل المثال نحن نعلم أن هناك حيوانات مثل الفيل والحوت تمتلك أمخاخاً أكبر من تلك التي لدى الإنسان ومع ذلك لاتفوقه ذكاءً!؟

فدماغ الفيل على سبيل المثال يصل وزنه إلى (٦) كيلوغرامات ودماغ الحوت يصل وزنه إلى (٩) كيلوغرامات في حين لايتجاوز مخ الإنسان (١,٤) كيلوغرام.. ومع هذا لامجال للمقارنة بين ذكاء الإنسان والحوت مثلاً!

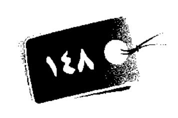




ويعتقد بأن السبب في ذلك التفاوت يعود إلى أن مخ الفيل والحوت عليهما أن ينظما جسماً أكبر بحيث لايبقى مجالاً لعمليات التفكير المجردة كما في الإنسان (؟).

فالفيل مثلاً رغم أن مخه أكبر من مخ الإنسان بأربع مرات إلا أن عليه أن يدير جسماً أكبر من جسم الإنسان بـ (١٠٠)مرة.. وفي حين ينظم كل كيلوغرام من مخ الإنسان (٥٠) كيلوغرام من جسمه، يجب على كل كيلوغرام من مخ الحوت تدبر أمر (١٠,٠٠٠) كيلوغرام على أقل تقدير!!؟

وبناءً عليه سقطت إلى الأبد الفكرة القائلة بأن درجة الذكاء يحددها حجم المخ الذي تحتويه كل جمجمة - وأصبح من الخطأ القول أن فلاناً من الناس " صاحب مخ كبير "... ويبدو أن الأقرب إلى الصحة تقييم الذكاء بناءً على درجة تعقيد التلافيف وكثرة الشرايين الموجودة على سطح المخ الخارجي ؛ فغنى المخ بالشرايين يعني تغذيته بشكل أفضل بمزيد من الجلوكوز والأوكسجين. كما ثبت أنه كلما زاد تشابك الخلايا العصبية في المخ زادت نسبة تواصلها وتبادلها للمعلومات والعمليات المنطقية (فقد يوجد مخّين بحجم واحد إلا أن أحدهما تتواصل خلاياه بشكل كبير وآخر تتنافر فيه الخلايا بنسبة أكثر!!؟).



ومع ذلك تظل هناك معضلة صغيرة تشوه جمال تلك الفرضية وتتمثل في أن الدولفين يعتبر استثناءً وحيداً ومحيّراً للعلماء.. فمن ناحية الكتلة يفوق مخه مخ الإنسان (إذ يبلغ ١,٧ كغم) ومن ناحية عمق التلافيف يمتلك درجة مشابهة - إن لم تكن أعمق - كما أن حجمه صغير مقارنة بمخه. ومع ذلك نعرف أن الدولفين ليس أذكى من الإنسان (وإن كان يحتل المركز الثاني من بعده) كدليل على وجود عناصر أخرى مجهولة تحدد درجة ونوعية الذكاء!!..

على أي حال هناك من يشطح به الخيال ويدّعي أن الدولفينات أذكى من الإنسان بالفعل ولكن عدم امتلاكها لسانًا ينطق ويد تبني حرمها من إثبات ذاتها وبناء حضارتها الخاصة... (بالطبع هذا منطق الدلافين)!!


90%
80%
70%
60%
50%
40%
30%
20%
10%


اقتصاديات
خفيفة





المعيار الاقتصادي للرجل العادي



لعل أول سؤال نتوجّه به إلى القادم من بلاد أجنبية هو (كيف الأحوال المعيشية هناك ؟) وبدون تردد قد يجيبنا المسافر بكلام فضفاض من نوع رخيصة جدًا.. أو غالية جدًا... إلخ.

عندها نشعر بأننا لم نحصل على الجواب الشافي فنكرر السؤال بصيغة أخرى (يعني كم تكلف زجاجة البيبسي مقارنة بما لدينا



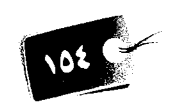


هنا ؟) وبصرف النظر عن الجواب هذه المرة نلاحظ أن المواطن العادي يفضل استيعاب الأوضاع المعيشية في بلد ما من خلال مقارنتها بتلك الموجودة في بلده، فهو لايهتم مثلاً بالأرقام والنسب التي ينشرها البنك الدولي بقدر اهتمامه بمعرفة ثمن كيلو الأرز وصفيحة البنزين التي يشتريها المواطن البسيط في البلد المقابل.

وفي المثال السابق نجد أن السائل استعمل زجاجة البيبسي كمقياس اقتصادي للأوضاع المعيشية في تلك الدولة.. وفي الحقيقة ليس هناك مايمنع من استعمال قطعة الصابون أو علبة الزيت كمقياس بديل (وإن كان غير دقيق بما فيه الكفاية) لاستشفاف حالة العالم الإقتصادية. فعلى سبيل المثال يمكن استخدام " سندوتش الهامبورجر " كمقياس لمقارنة التكاليف المعيشية في كل من ألمانيا وأمريكا وروسيا، فالمواطن الأمريكي يستطيع بـ (١١) دولار إلتهام خمسة قطع " هامبورجر " بينما زميله الألماني لايحصل بذلك المبلغ إلا على أربع قطع فقط. ولكن على الأمريكي أن يعمل " ٤٥ " دقيقة ليستطيع الحصول على تلك الوجبة، بينما لايلزم الألماني العمل سوى " ٣٠ " دقيقة ليحصل على نفس الوجبة. ومن خلال هذه المقارنة

" السندوتشية " نستنتج أن تكاليف المعيشة في ألمانيا تزيد بوجه عام عن تلك التي في أمريكا بحوالي (٢٠٪).* أما في روسيا فرغم

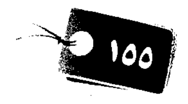
* ارجو ملاحظة أن المقال كتب قبل عشر سنوات



أن " الهامبورجر " فيها يعتبر الأرخص على مستوى العالم (ستون سنتاً فقط) إلا أنه يجب على الروسي أن يعمل يومين كاملين كي يحصل على قطعة واحدة.

وبمناسبة الحديث عن روسيا نلاحظ أن الأوضاع المعيشية تدهورت إلى حد كبير بعد تحرير الأسعار والانفتاح الاقتصادي قبل عدة سنوات، فبعد ثلاثة أشهر من ذلك القرار أصبح فجأة (٩٠٪) من الروس يعيشون تحت خط الفقر. فالمواطن العادي الذي يستلم (٨٧٥) روبل في الشهر يجب عليه ادخار راتب (٣٠٠) يوم إذا رغب في شراء " تلفزيون ملون " كما يجب عليه العمل لشهرين متتاليين لشراء قميص رجالي، وعشرة أيام لشراء عشاء لشخصين من أحد المطاعم، أما مديرو المصانع (وهم الأكثر دخلاً بين الموظفين في روسيا) فعليهم العمل لستة عشر يوماً لشراء نفس التلفزيون، ويومين لشراء القميص وخمس ساعات لدفع ثمن (العشاء). وللمقارنة نجد أنه في الولايات المتحدة وصل إجمالي راتب (ستيفن روس) مدير شركة (تايم وارنر) الإعلامية إلى (٧٨,١) مليون دولار في العام و(ستيفن وولف) مدير شركة (يونايتد إيرلاينز) بلغ راتبه السنوي (١٨,٣) مليون دولار!!

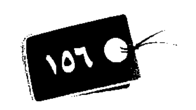
ومن الواضح طبعاً أن أرزاق العالم على طرفي نقيض فمن أجل شراء كيلو أرز يضطر سائق الأوتوبيس في بنغلادش للعمل طوال





ثلاث ساعات بينما لايلزم النجار في السويد العمل سوى (٢٠) دقيقة للحصول على نفس الكمية. ويبدو أن سائق الأوتوبيس في الهند ليس أسعد حظاً من أخيه في بنغلادش، فهو يضطر للعمل ساعة كاملة كي يتحصل على زجاجة بيبسي، بينما يمكن لسائق الأوتوبيس في قبرص وإيطاليا شراء تلك الزجاجة نظير العمل لست دقائق فقط. أما الجرسون في النمسا فيستطيع شراء اثنتي عشرة زجاجة من خلال العمل لساعة واحدة. بينما أجر تلك الساعة لايمكن الجرسون في بوليفيا إلا من شراء زجاجة واحدة فقط!!

وبطبيعة الحال الأحوال المعيشية السيئة في بلد ما تعتبر جيدة جدًا في بلد آخر.. ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن السلطات السابقة في الاتحاد السوفياتي سمحت بعرض الفيلم الأمريكي " عنب الغضب " لأنها قدرت أن الفيلم يعطي صورة سيئة عن حياة العمال الأمريكان إبّان الأزمة الإقتصادية في الثلاثينات، غير أن الفيلم مُنع من العرض فيما بعد حين لمست السلطات أن المشاهدين مبهورين بالدرجة الأولى، كيف أن العائلة الفقيرة في الفيلم التي تمثل رمز الحرمان في أمريكا.. كيف أنها كانت تملك سيارة!!!؟



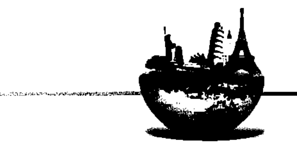


أفكار ذهبية



بفضل اختراع جديد قد تنشأ صناعات ووظائف عديدة. فحين اخترع "ديملر" السيارة عام ١٨٨٦ لم يتصور أن اختراعه سيصبح أساساً لصناعة رائجة ترفدها صناعات متعددة ينتفع بها آلاف الأسر. وقس على ذلك كل الاختراعات الرائجة من الكونكورد ومكوك الفضاء إلى الدبوس وأزرار القميص...

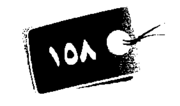




وقد يتصور المرء أن أفضل صادرات اليابان هي الإلكترونيات وأن أفضل صادرات أمريكا هي الطائرات. ولكن في الحقيقة إن أفضل صادرات الدول المتقدمة هي " الأفكار ".. نعم الأفكار أو مايسمى في علم الاقتصاد " رأس المال الذكي ". فرب فكرة تنشئ صناعة بأكملها تضمن للشركة المالكة نجاحاً وازدهاراً عظيمين. فشركة " زيروكس " بعد أن كانت شركة مغمورة لإنتاج أوراق التصوير أصبحت عملاقاً إقتصادياً بعد أن ابتكرت آلة النسخ (أو آلة التصوير الجاف) التي لايستغني عنها أي مكتب أو دائرة. ولنا أن نتخيل مدى الأرباح التي حققتها تلك الشركة متى ماعلمنا أن قانون براءات الاختراع يعطي المخترع حق احتكار إنتاجه لمدة تصل إلى عشرين عاماً على مستوى العالم.

وفي الحقيقة إن لبلد مثل الولايات المتحدة تجارة من نوع مختلف (لاتدخل ضمن الإحصائيات في الغالب) تعتمد على تصدير الأفكار وحقوق الإبداع؛ فبالإضافة إلى المنتجات المصنعة والسلع الخام تصدر الولايات المتحدة معلومات وخبرات.. وخدمات.. وحقوق اختراعات وماركات مسجلة.. وحقوق طبع وتسجيل لمصنفات أدبية وفنية... إلخ.

وتلك التجارة - الفكرية إن جاز التعبير - تحقق للولايات المتحدة فائضاً مالياً يقدر بـ (٨٠) مليار دولار سنوياً (وهي نسبة تشكل ٢٨٪

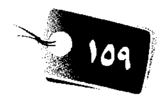


من مجمل الصادرات) كما يقدر الخبراء أن الاختراعات الجديدة توفر كل عام (٢٥٠,٠٠٠) وظيفة جديدة في تلك البلاد!!؟

وكمثال على ذلك النوع من التجارة شركة "تكساس إنسترومنتس" التي ربحت (٤٠٠) مليون دولار في العام الماضي من خلال السماح لمنتجين أجانب باستغلال حقوق اختراعات تملكها.. كما تربح والت ديزني وشركات الأفلام الأخرى ملايين الدولارات كل عام لمجرد السماح باستغلال شخصياتها المحببة مثل ميكي ماوس وسلاحف النينجا والبطة دونالد.. وغني عن القول أن شركات يابانية وغربية عديدة تربح أموالها بتلك الطريقة بدون أن تصدر فعلياً أي منتجات مادية!!

ومن جهة أخرى تنفق الشركات الكبرى بسخاء على برامج الأبحاث لأنها تعلم يقيناً أن نجاح " برنامج " من بين عشرة يحقق لها من الأرباح مايغطي خسائر البحوث الأخرى ومايكفي لإنشاء صناعة جديدة تحتكر بها السوق لفترة طويلة. وبصورة أوضح تظهر الإحصائيات أن إنفاق دولار واحد على الأبحاث يجلب (٣٣) دولاراً كأرباح؛ وهذا مايفسر لماذا أنفقت شركة " ميرك " ألف مليون دولار على الأبحاث عام ١٩٩٧ لاكتشاف أدوية جديدة.

إذاً من الأمثلة السابقة يتضح لنا كيف أن رأس المال الذكي





الناتج عن الاستثمار الإنساني " بالتدريب والتعليم وإتاحة الفرص للإبداع " هو خير صناعة يمكن أن تستثمر فيها الأمم.. خصوصاً إن أرادت الانعتاق من تبعية الغير.

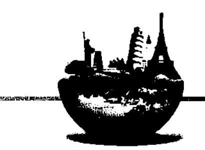
أسرع الطرق للثراء



تحدثنا في آخر مقال عن الاختراعات و(الأفكار الذهبية) ودورها في ازدهار الصناعات وثراء الأمم.. وحتى على المستوى الفردي لايعلم البعض أن أسرع وأسهل الطرق لتحقيق الجاه والثروة هو أن يصبح الإنسان مخترعاً.. نعم مخترعاً.

فالاختراع يعني الخروج بسلعة جديدة يمكن احتكارها بشكل





تجاري طوال سني الامتياز؛ فألفريد نوبل على سبيل المثال حقق ثروة طائلة - مكنته من إنشاء جائزته المعروفة - بفضل اختراعه لمادة الديناميت واحتكاره انتاجها حول العالم.

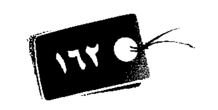
وكي يحقق الاختراع أرباحاً من الناحية التجارية يجب أن يتوفر فيه شرطان أساسيان:

أن يكون نافعاً ويقضي حاجة ملحّة لبني البشر (فالناس لاتشتري سلعة لاتحتاجها)!

والأمر الآخر أن يكون مجدياً من الناحية الاقتصادية (فما فائدة ابتكار وقود للسيارات أغلى من البنزين)!؟

ومن (النقطة الأولى) نستنتج أن الاختراع ليس من الضروري أن يكون معقداً كي يحقق أرباحاً وفيرة؛ فهذا الأمر يحدده أساساً مدى إقبال الناس عليه كسلعة تجارية.. فأنا لا أعتقد مثلاً أن دبوس الشعر يمكن تصنيفه كاختراع معقد؛ ومع هذا درّ على صاحبه (والترهانت) مبلغ أربعمائة ألف دولار (بأسعار ١٨٤٩) حين تهافتت النساء على شرائه فور نزوله للأسواق.

ومن خلال (النقطة الثانية) نستنتج أمراً مهماً آخر؛ وهو أن الاختراع قد يكون ناجحاً من الناحية التقنية إلا أنه عاجز عن



المنافسة، فسيارتنا الحالية مثلاً تستطيع السير باستعمال أنواع أخرى من الوقود كالكحول والهيدروجين والكهرباء إلا أننا فضلنا البنزين على الكحول لأنه أرخص ثمناً، وفضلناه على الكهرباء لأنه أكثر فعالية، وفضلناه على الهيدروجين لأنه أسهل تقنياً.. ومع كل ذلك فقد تظهر مستجدات أخرى تجعلنا نصرف النظر عن اختراع ناجح إلى آخر مشابه؛ فهذه الأيام، مع حمى المحافظة على البيئة، نجد من يطالب باستعمال الهيدروجين بدلاً من البنزين الأكثر تلويثاً بين تلك الأنواع!؟

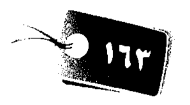
ومن المهم قبل الاستغلال التجاري للاختراع الحصول على براءة الامتياز من بلد المنشأ أو البلد الذي سيصنع فيه؛ فالتهاون في هذا الأمر قد يعرض الابتكار للسرقة وضياع حقوق صاحبه. أما بعد الانتهاء من تلك الخطوة فيمكن للمخترع استغلال اختراعه تجارياً بثلاثة طرق رئيسية هي:

أن يبيع حقوق انتاجه للشركات المصنعة...

أو أن يصنِّع الاختراع بنفسه - وهذا أفضل من ناحية الأرباح...

وأخيراً أن يؤجر أو يستقطع نسبة مئوية من السلعة المنتجة طوال سنوات الامتياز - والتي قد تختلف من بلد لآخر!

وتعتبر السيدة الزنجية " مدام ووكر " مثالًا بارزًا على كون





"الاختراع" أسرع السبل إلى الثراء؛ فهذه المرأة التي كانت تعمل في غسل الملابس وخدمة البيوت أصبحت صاحبة ثروة طائلة ومصانع لأدوات التجميل بفضل اختراعها لآلة تمليس الشعر.

وكذلك كان حال "هنري بسمر" الذي أصبح من أصحاب المال والثراء قبل بلوغه السابعة والعشرين بفضل ابتكاره الخاص بتحويل الحديد الهش إلى صلب الأمر الذي جعل شركات الحديد تنقده فوراً ثمن اختراعه!

وإن كانت ضخامة الثروة تتناسب مع عدد الاختراعات فيمكن اعتبار "توماس أديسون" أكثر المخترعين ثراءً؛ ففي آخر ستة سنوات من حياته أنجز (١٢٢) اختراعاً، وأطلق على معمله "بيت الساحر" لكثرة العجائب التي خرجت منه. وأكثر اختراعات أديسون ربحاً هي أكثرها استخداماً كالمصباح الكهربائي، وآلة

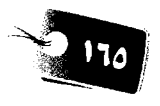
التسجيل والقاطرة الكهربائية، وآلة النسخ، وبطارية السيارة، وماكينة السينما.. وأديسون هو المؤسس الفعلي للشركة الشهيرة جنرال أليكتريك (التي قامت على تصنيع اختراعاته الأولى). وأديسون أيضاً أول من أنشأ محطة للكهرباء في نيويورك، وحين احتار في كيفية استخلاص الأجور من المشتركين اخترع آلة قياس استهلاك الكهرباء. ومن الطريف أن هذا العبقري الذي حصل على

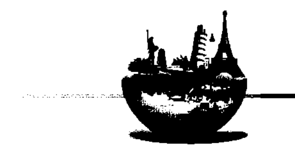
تراخيص لأكثر من ألف اختراع طرد في طفولته من المدرسة بحجة أنه شخص غير قابل للتعلم.. وأن رأسه كبيرة بشكل ملفت للنظر!!؟

وحتى في مجال الاعتداء على الحقوق المادية أو سوء الاستخدام نجد أن المخترعين يتحصلون دوماً على أعلى التعويضات؛ ففي عام ١٩٨٦ أصدرت محكمة سانت ماتيو الأمريكية حكماً لصالح المخترع " زاكارياس " يقضي بتعويضه بمبلغ (١٣٢) مليون دولار.. وكان زاكارياس قد باع إلى شركة سميث آندنيفيو (بمبلغ لم يفصح عنه) إبتكاراً خاصاً بمادة بلاستيكية تستعمل لإطالة حياة المفاصل والأطراف الصناعية. ولأن الشركة اشترت اختراعاته ثم تجاهلته عمد لمقاضاتها...

وحين ابتكر الدكتور بولارويد كاميرته " الفورية " سارعت شركة كوداك العريقة لتسويق كاميرا مشابهة الأمر الذي دعى بولارويد إلى مقاضاتها في المحاكم طوال (٩) سنوات.. ولكن في عام ١٩٩٠ إنتهى الأمر ودّياً حين قبل بولارويد التنازل عن الدعوى نظير (٩٠٠) مليون دولار!!

أما " روبرت كيرنز " مخترع ماسحات الزجاج المتقطعة (التي تعمل بتناسب مع زخات المطر) فقد نجح مؤخراً في كسب قضية ضد شركتي فورد وكرايزلر نظير إقدامهما على استعمال اختراعه





بدون إذنه؛ فقد استلم من الشركة الأولى (١٠,٢) مليون دولار، واستلم من الثانية (١١,٣) مليون دولار. وهو حالياً يرفع دعاوى ضد عشرين شركة حول العالم بعد أن أصبحت " ماسحاته " تستعمل في جميع أنواع السيارات (اللهم لاحسد)!!

وهكذا إن لم يكن بالإمكان تحقيق الثراء عن طريق اختراع ناجح، فلن يعدم المخترع وسيلة لكسب قضية تعويض على الأقل!!

دول لا تدفع الإيجار



طوكيو وزيورخ وأوسلو من أكثر المدن غلاءً في العالم. ففي المدينة الأخيرة مثلاً يصل ثمن (طقم) من أدوات التجميل إلى (٢٨٥٠) ريالاً. وفي طوكيو لايقل إيجار شقة من أربعة غرف عن (٨٤٠٠٠) ريالاً في السنة!

ولكن الوضع - بالنسبة لأهل تلك المدن - ليس مأساوياً لهذا





الحد، فهناك علاقة معقولة بين دخل المواطن وارتفاع ثمن السلع والخدمات فيها.. ففي زيورخ على سبيل المثال قد يكلف عشاء شخصين أكثر من ألف ريال سعودي ولكن (من يهتم) فراتب الموظف العادي هناك لايقل عن (١٥٠٠٠) ريال - وهي بهذه الرواتب تعتبر الأعلى على مستوى العالم تليها في ذلك قطر واسلو وجنيف.

والآن نصل إلى بيت القصيد:

إن كان غلاء الأسعار في بعض الدول لايؤثر على قدرة مواطنيها على الشراء فإن ذلك كثيرًا مايشكل عقبة حقيقية أمام البعثات الدبلوماسية للدول الفقيرة في مدن ثرية مثل برلين وطوكيو ونيويورك.

ففي أكثر من مناسبة عجزت سفارات الدول الفقيرة عن دفع إيجارات وفواتير مقارها الرسمية. وتعاني إفريقيا أكثر من غيرها بهذا الخصوص.. ففي برلين مثلاً عاش بعض السفراء الأفارقة أوضاعاً مالية صعبة لدرجة أن سفير رواندا السابق أقفل سفارة بلاده وتقدم لمنحة دراسية وعمل لفترة (جرسوناً) في أحد المطاعم!!

وحال السفير " أوجين جاسنا " أفضل من وضع السفير السابق الذي يملك ستة أطفال وقدم استقالته لانشغال الروانديون



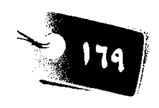
بمذابحهم اليومية وعدم وجود من يهتم بدفع رواتبه المتأخرة!

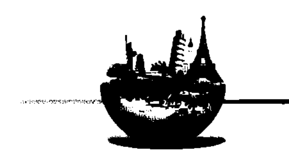
وتعيش سفارات دول مثل زائير والكاميرون وهاييتي والصومال أوضاعاً مشابهة ومحرجة. والأمر هنا كثيرًا مايكون خليطاً بين الفقر والتجاهل وسوء التنظيم، فهناك حكومات ببساطة تنسى - أو قل: تنشغل - عن سفاراتها في الخارج.. فعلى سبيل المثال توقف العمل في السفارات الصومالية فترات عديدة منذ اندلاع الحرب الأهلية لأنه لم يعد هناك من يهتم بإرسال رواتب الموظفين في الخارج!

ويشتكي سفير هاييتي في لندن " أرنست توسان " من رفض ملاك العقارات تأجيره مقراً مناسباً لسفارة بلاده لعجزها المعهود عن دفع فواتير الماء والكهرباء.

وفي عام ١٩٩٤ أبعدت السلطات الألمانية ثلاثة من الدبلوماسيين الزائيريين لأن (ديونهم) فاقت الحد!!

وفي نيويورك توجد لدى دائرة الملاك قائمة سوداء بالدول التي سبق وعجزت عن تسديد ثمن مقارها الدبلوماسية. ولأن سفراء (القائمة السوداء) يواجهون دائمًا بالرفض من أصحاب العقارات لاتستغرب إن وجدت في صحف نيويورك أو واشنطن إعلانات لطلب





(مقر قليل الكلفة) لإحدى سفارات العالم الثالث!

وفي طوكيو - حيث فنجان القهوة بعشرة دولارات - انتقلت إحدى السفارات (العربية) من مقرها الفخم إلى شقة متواضعة بعد عجز حكومتها عن دفع إيجارها المتراكم واكتفت بخط تليفوني واحد.. وقد علّق سفير تلك الدولة على هذا الإجراء قائلاً: نحن دولة فقيرة وليس لنا علاقات تجارية كبيرة مع طوكيو وليس من المعقول أن ندفع كل هذه المبالغ من أجل إصدار (فيزا) أو اثنتين كل عام..

كلام معقول.. وإن كنت أخشى أن يأتي يوم تشترك فيه بعض الدول في مقراً واحداً!



أغنى دولة في العالم

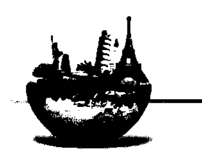


من هي أغنى دولة في العالم ؟

سؤال عويص مازال للاقتصاديين فيه مذاهب شتى!

وقبل أن نتوقع إجابة لهذا السؤال يجب أن نتفق أولاً على المعايير والأسس التي يمكن بواسطتها تحديد الدولة الأغنى على وجه





الأرض.. فهل مثلاً يجب تحديد الدولة الأغنى على أساس مجمل ناتجها القومي (؟) أم بقسمة ذلك الناتج على عدد السكان (؟) أم عدد السكان في قيمة ماينتجه الفرد (؟) أم لعله من الأفضل الأخذ بعين الاعتبار ضخامة الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها مستقبلاً بصرف النظر عن عدد السكان والناتج المحلي...!؟

من المدهش أن كل معيار يعطينا ترتيب مختلف للغنى والفقر، فبمعيار ضخامة الميزانيات العامة تصبح الولايات المتحدة الدولة الأغنى على وجه الأرض. ولكن باعتبار نصيب الفرد من دخل بلده القومي تصبح الولايات المتحدة فقيرة بالمقارنة مع دول صغيرة كسويسرا والإمارات والدانمرك. أما في حالة اعتبار ضخامة الموارد بالنسبة لعدد السكان فتصبح دول كأستراليا وكندا وإيسلندا في المراكز الأولى (حسب الترتيب)!!

وبعد جمع المعطيات الاقتصادية لـ (١٩٢) بلداً خلال (٢٥) عاماً خرج البنك الدولي بمعيار جديد يعتمد على تقييم ثلاثة أنواع من الموارد في كل دولة.. فهناك الموارد الطبيعية (مثل مساحة الأراضي والثروات المعدنية والغابات) والأصول المحلية المنتجة (كالإنتاج الصناعي والزراعي والبنية التحتية) وكذلك الموارد البشرية (كعدد السكان وقدراتهم الإنتاجية ومستوى التعليم)!!



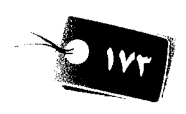
وبعد الأخذ بمجمل العناصر الجديدة أصبح ترتيب الدول الأكثر ثراءً على النحو التالي:

في المركز الأول أستراليا، ثم كندا، فلوكسمبورج، فسويسرا، فاليابان، فالسويد، فإيسلندا، فقطر، فالإمارات، وأخيراً الدانمرك في المركز العاشر...

وحسب هذا التصنيف الجديد (المثير للتساؤل) نرى دولة بالغة الثراء كالولايات المتحدة تتراجع إلى المركز الثاني عشر في حين تتقدم دولة بحجم طابع البريد (كلوكسمبورج) إلى المركز الثالث وتحتل أستراليا وكندا المركزين الأولين بفضل ضخامة مواردهما الطبيعية مقارنة بضآلة السكان في كل منهما!؟

أما حسب (الترتيب القديم) للدول الأكثر ثراءً فتأتي سويسرا في المركز الأول ثم لوكسمبورج، فاليابان، فبرمودا، فالسويد، ففينلندا، فالنرويج، فالدانمرك...

ورغم أن الولايات المتحدة تتمتع بأضخم ميزانية عالمية وتحتل المركز الأول في القوة التنافسية (يليها سنغافورة فهونج كونج فاليابان) إلا أنها تحتل المركز التاسع حسب التصنيف القديم والمركز الثاني عشر حسب التصنيف الجديد!؟





وإن كان هناك مايثير الحيرة بخصوص التصنيف الجديد فهو أنه لايصدق على أرض الواقع؛ فلايمكن لشخص عادي مثلاً إستيعاب أن دول كقطر والإمارات ولوكسمبورج تفوق ثراء دول كفرنسا وألمانيا وأمريكا!!؟

الأمر الآخر أن هذا التصنيف بما أنه خارج من البنك الدولي فأخشى أن يترتب عليه ضغوط إعلامية ودولية لإجبار دول من العالم الثالث (أصبحت حسب التصنيف الجديد من الدول الثرية) للمشاركة في التزامات مادية لصالح المنظمات الدولية واستثناء دول صناعية كبيرة كأمريكا وألمانيا وفرنسا!؟

ومن يدري لعله " حكم القوي ع الضعيف "!

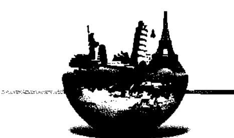


اللصوص الكبار



مرّت حقب من التاريخ كانت فيه الدول " المحترمة " تسرق بعضها البعض بكل ما في الكلمة من معنى.. فعلى سبيل المثال بعد اكتشاف أمريكا وتغلغل إسبانيا والبرتغال في تلك الأراضي صدرت الأوامر مباشرة بنهب كل ماخف وزنه وغلا ثمنه. وفي الوقت الذي كانت فيه إسبانيا والبرتغال تتمتعان بمظاهر الرفاه الإقتصادي





كانت دول أوروبا الأخرى تعاني من ركود التجار وبطالة الأساطيل الأمر الذي دعا كثير منها لتشجيع أعمال القرصنة على السفن الإسبانية مقابل المشاركة في المسروقات.. ففي عهد الملكة إليزابيث الأولى تغاضت إنكلترا عن أعمال القراصنة لدرجة أن الملكة خلعت على أشهر القراصنة الإنجليز (فرانسيس دريك) لقب فارس. وحين قدّم السفير الإسباني إحتجاجاً رسميًا على تلك البادرة كان رد الملكة أن قامت بزيارته شخصيًا على إحدى سفنه.

وبأخلاق مشابهة استطاعت روسيا في وقت لاحق أن تسرق الاحتياط الذهبي لإسبانيا بفضل خدعة محبوكة نفذها عملاء الشيوعية في مدريد أثناء انشغال إسبانيا بحربها الأهلية. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ كانت دول البلطيق الثلاثة تمتلك (٢٤,٢) طناً من الذهب تقدر قيمتها الحالية بـ (٣٧٠) مليون دولار. وحين نجحت موسكو في احتلال تلك الدول عام ١٩٤٠ حاولت بشتى الوسائل الإستيلاء على تلك الأرصدة. وتحت ضغوط كبيرة سلمت السويد وسويسرا الأرصدة التي بحوزتهما إلى موسكو بينما امتنعت بريطانيا وفرنسا لأن في ذلك اعتراف ضمني بشرعية الاحتلال. ولكن يبدو أن بريطانيا اطمأنت إلى استقرار الوضع في الستينات فباعت الذهب الذي بحوزتها بثمن بخس (٥,٨ مليون



دولار) بحجة تعويض مواطنين بريطانيين فقدوا ممتلكاتهم في تلك الدول أثناء الحرب!!

وبالطبع لاننسى دور الدول الاستعمارية في ذلك النوع من السرقات.. فبريطانيا وفرنسا وهولندا أصيبت بنوبة سعار جعلها تتنافس بشدة على إفراغ الشرق من كنوزه الرائعة.. وكانت ألمانيا من بين الدول الأوروبية القليلة التي تخلفت عن هذا المجال الأمر الذي جعل هتلر - حين أشعل الحرب - يأمر بتكوين فرق متخصصة كانت مهمتها نهب كل مايمكن الحصول عليه من متاحف أوروبا وقصورها الفخمة.. وهكذا مابين عامي ١٩٤١ - ١٩٤٥ تراكمت في برلين كنوز وتحف لم تجتمع في غيرها من المدن خلال التاريخ!

ولكن - وكما يحدث دائمًا - دارت الأحداث دورة كاملة واستطاع الروس دخول برلين في سباق محموم بين الحلفاء لسرقة تلك الكنوز.. وبالفعل في وقت قياسي نقلت تلك النفائس لروسيا في قطارات تجاوز طولها الميل ولم تظهر حتى اليوم!

ولأن تلك الكنوز لاتخص ألمانيا وحدها طالبت كثير من الدول الأوروبية باستعادة ممتلكاتها الوطنية إلا أن الروس تعاملوا مع تلك المطالب " بأذن من طين وأخرى من عجين ".. ومن بين الكنوز التي مازالت تحتفظ بها روسيا كنز طراوده الذي اكتشفه الأثري الألماني





هنريك سلمون في اليونان عام ١٨٧٣ - وكذلك أكثر من (٣٠٠) لوحة وعمل فني يخص عظماء فناني فرنسا وهولندا وإسبانيا. وكان السفير الهولندي في موسكو أول شخص من خارج روسيا يُسمح له بمشاهدة تلك الكنوز بعد إلحاح شديد من بلاده هددت خلاله بمقاطعة روسيا إن لم تحصل على تقييم دقيق لكنوزها القابعة تحت حراسة جهاز المخابرات (K. G. B.).

على أي حال أراني تحدثت حتى الآن عن الدول والحكومات "المحترمة" التي تسرق بعضها البعض.. ولكن يبقى هذا العمل "انجازًا شريفًا" مقارنة بقدرة بعض الطغاة على سرقة شعوب كاملة استأمنتهم على مقدراتها...

فمثل هذا النوع - من السرقات الفردية - له جذور ضاربة في أعماق التاريخ. فأقدم حادثة أعرفها بهذا الخصوص كانت حين انقلب داريوس الإمبراطور الفارسي على خلفه برديا واتهمه بسرقة كنوز الإمبراطورية التي خلفها سيروس العظيم.. أما في التاريخ الحديث فهناك أمثلة لاتعد ولا تحصى من بينها:

- الهرب بثروات طائلة من قبل أقرباء القيصر الروسي عقب قيام الثورة البلشفية في روسيا بقيادة لينين...

- ولم يكف كمال أتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة عن

المطالبة بالثروات التي هرب بها أقارب السلطان العثماني المخلوع للخارج.

- ومحمد رضا شاه إيران السابق طالب كثيرًا بالمجوهرات والأعمال الفنية التي هربها القاجار - الذين أطاح بحكمهم - إلى أوروبا.

- وحين هرب هذا الأخير نفسه عقب ثورة الملالي عام ١٩٧٩م أخذ معه أموالاً طائلةً قدرها صادق قطب زاده بـ (٥٦) بليون دولار!

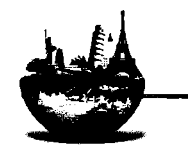
- وفي كوبا (وكما يحصل دائمًا في أمريكا اللاتينية) لم يفلح الرئيس فيدل كاسترو في استعادة الثروات التي أخذها الديكتاتور المخلوع باتيستا!

- وفي الفيلبين فشلت الرئيسة السابقة كورازون أكينو في استعادة شيء يذكر من البلايين التي هربها الديكتاتور السابق فرديناند ماركوس!

- وفي إثيوبيا، وخلال حقبة السبعينات والثمانينات، حاولت الحكومة الشيوعية استعادة ثروات الإمبراطور هيلاسيلاس التي قدرت بـ (٢٥) بليون دولار.

- وفي بعض الدول يقبل العسكريون بالتنازل عن السلطة مقابل





"مبلغ معلوم" مثل ما حدث في هاييتي عام ١٩٩٤ مقابل (٣٠) مليون دولار...!

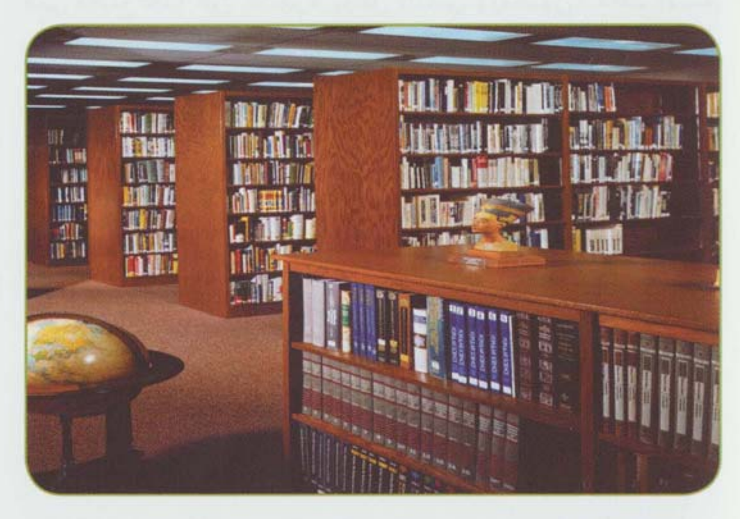
- وحين أطيح بالزعيم الزائيري موبوتوسيسيسيكو، وأشارت صحيفة "الفاينانشل تايمز" إلى أن ثروته بلغت أكثر من أربعة آلاف مليون دولار جمعها من سرقة المساعدات التي قدمت لبلاده في الثمانينات.

وباختصار نقول: ترفع حاليًا أكثر من (٢٠ قضية) تتعلق بأموال هربها مسؤولون كبار لخارج أوطانهم... وصدقني سينتهي معظمها.. للاشيء!



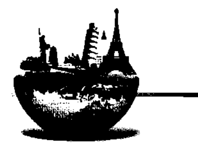


ماركات دخلت القواميس



تصرف الشركات الكبرى ملايين الدولارات من أجل الترويج لمنتجاتها التجارية؛ فمن المعروف أنه كلما ترسّخ الاسم التجاري في أذهان العامة كلما زاد استهلاكه وزادت بالتالي أرباح الشركة المنتجة له. فمشروب الكوكاكولا - على سبيل المثال - هو الأكثر شهرة بين المشروبات وبالتالي الأكثر تداولاً. وبالطبع جميعنا يعرف

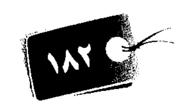




ماركات شهيرة كـ " مرسيدس " و" باركر " و" كارتييه " طغت شهرتها على المنتجات المشابهة وأصبحت بالتالي الأكثر مبيعاً على مستوى العالم!؟

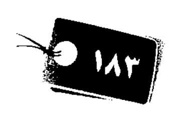
ولكن يبدو أن ازدهار الاسم التجاري ينقلب إلى كارثة إقتصادية متى مابلغ حدًّا من الشهرة يجعل الناس (يعممون) ذلك الاسم على كل المنتجات المرادفة. فشركة كرايزلر مثلاً كانت أول من انتج سيارة الدفع الرباعي تحت اسم (جيب)؛ وما حصل بعد ذلك أن هذا الاسم اشتهر على حساب المنتجات المشابهة لدرجة أن الناس أطلقت اسم جيب (الخاص بشركة كرايزلر) على سيارة تويوتا المرادفة (اللاندكروزر) وكذلك على سيارة نيسان (الباترول) بل وصل الخلط أننا أصبحنا نطلق على تلك السيارات " جيب تويوتا " و" جيب فورد " و" جيب رانج روفر "... تماماً كما نطلق على كل سيارة نقل إسم " ددسن "!

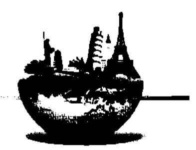
ومثل هذا التعميم يسبب خسارة إقتصادية للشركة المنتجة لأن اسمها التجاري وسمعة منتجاتها (التي خسرت من أجلها الملايين) غدت ملكاً مشاعًا لايلتفت معه المستهلكون إلى منتجات الشركة الأصلية - ومثل هذه المغالطة دفعت شركة كرايزلر للتذكير والترويج لمنتجاتها تحت شعار " لاجيب إلا جيب كرايزلر "!!



وفي الحقيقة أن تحول الماركات لأسماء قد يظهر حتى على المستوى المحلي للفرد (ولابد أن بعضنا يعرف حوادث من هذا النوع). ففي المدينة المنورة مثلاً اشتهر أحد المطابخ العامة بسمعته الحسنة وطبخه الجيد، وكان مالك المطبخ رجلاً يقال له "المنجف".. وماحدث بعد ذلك أن اسم "المنجف" أصبح يطلق على كل مطبخ جديد يفتتح من هذا النوع - لدرجة لم يعد مستغرباً أن تسمع الأب يأمر ابنه بالذهاب إلى " منجف الأمل " أو " منجف السعادة " للاسراع " بعشاء الضيوف "!!

ومما يذكر في قضية مشابهة ماحدث لشركة زيروكس في أمريكا التي صنعت أول طابعات النسخ السريع قبل أن تدخل الميدان بعدها عشرات الشركات المشابهة؛ فإسم " زيروكس " ترسخ في أذهان العامة لدرجة أنه تحول إلى فعل أمر؛ فقد تجد في الولايات المتحدة من يقول لصاحب المكتبة " أريد زيروكس لهاتين الوثيقتين "؛ ومثل هذا الأمر الخطير جعل شركة زيروكس تقوم بحملة مضادة للتذكير بأن ذلك الاسم ماركة خاصة بها وحدها.. بل تطور الأمر إلى أنها عينت موظفين مهمتهم متابعة ذلك الخلط في وسائل الإعلام والمراسلات التجارية، كما توجه سنويًا آلاف الرسائل الإرشادية لمن لايكتب أول حرف من اسمها بصورة مكبرة - (فجميعنا يعلم أن أسماء العلم في الإنجليزية تبدأ بحروف الكابيتل)..





على أي حال دعونا في النهاية نذكر بأشهر الماركات التي شاعت لدرجة نسيان أصلها الحقيقي... فمن أشهر الماركات التجارية التي دخلت القواميس ككلمات مايلي:

نايلون، كلينكس، آيس كريم، كورن فلكس، كيروسين، لوكس، ميكروكون، باركر، جيب، IBM، إسبرين، ديتول، "ددسن"، وأخيراً كاتشب (١)





نجوم للبيع



القمر مسجل رسميًا باسم المواطن التشيلي "جينارو كاجاردو".. ففي عام ١٩٥٣ لم يجد هذا المحامي الشاعر مايمنعه من امتلاك القمر فسارع لتسجيله باسمه في دائرة أملاك مدينة تالكا.. وهذا الإجراء من الناحية القانونية لاغبار عليه، ففي تشيلي كما في معظم دول العالم يحق للمرء امتلاك أي أرض بأسبقية وضع اليد عليها.





وحين تأكد جينارو كاجاردو من عدم وجود مالك سابق للقمر - باستثناء ملايين العشاق طبعاً - سارع إلى تسجيله كملك خاص مقابل (٤٢) بيزوس فقط. الطريف أن الوكالة الأمريكية لعلوم الفضاء " ناسا " استأذنته لإنزال روادها على القمر عام ١٩٦٩ من خلال رسالة وجهها إليه رسميًا الرئيس السابق نيكسون. وفي المقابل حين لم يعره الروس أي اهتمام أرسل إليهم خطاباً " شديد اللهجة " هددهم فيه باللجوء للقضاء إن " داروا " حول أملاكه مرة أخرى!!

العمل الأخرق التالي حدث حين سمع فنان تشكيلي برازيلي يدعى " ميراندا جونيور " بهذا الخبر فسارع إلى تسجيل كامل المجموعة الشمسية باسمه في مكتب توثيق الملكيات في سان باولو.. ويقول رئيس مكتب العدول في تلك المدينة " أعرف أن هذا الطلب غريب لكنني لم أجد مانعاً من تسجيله ".. على أي حال حتى الآن تمكن جونيور من بيع (٢٧ كويكباً) الأمر الذي أتاح له دائمًا دفع رسوم الأطباء النفسانيين الذين يعالجونه!!

وبعيداً عن المحاولات الفردية توجد في الولايات المتحدة شركات وجمعيات مختلفة لبيع وشراء النجوم والكواكب؛ فجمعية الباسفيك الفلكية مثلاً بدأت منذ زمن بعيد ببيع الأراضي على المريخ بسعر



بخس يبلغ (١٥) دولار لكل (١٤٠) ألف فدان. وتلك الجمعية جادة فيما تقوم به وتسلمك بعد " الإفراغ " خريطة مفصلة لموقع أرضك على المريخ وشهادة موثقة بملكيتك لها - وطبعاً لن تجد من يخبرك في تلك الجمعية أن الحرارة تهبط عند الفجر إلى (١٨٣) درجة تحت الصفر، وتزيد عند الظهر إلى (٤٢٧) درجة تكفي لصهر الرصاص!؟

أيضاً منذ أربعة عشر عاماً ظهر في الولايات المتحدة مايعرف باسم سجل النجوم الدولي (أي. إس. آر) الذي يتيح للمرء امتلاك أي نجم يعجبه. فأي مالك يرغب في إدراج اسمه في ذلك السجل عليه دفع رسوم تتراوح بين (١٦٥، ٢٣١) دولار للنجم الواحد. وحتى الآن امتلك (٤٥٥) ألف شخص نجوم معروفة (وأخرى سموها بأنفسهم) في الولايات المتحدة فقط - " فقط " لأن للسجل فروع أخرى حول العالم!!؟

وبعيداً عن المزاح نقول إن هيئة الأمم المتحدة صدّقت في عام ١٩٥٨ على تشكيل لجنة دولية لدراسة " المنازعات " والقضايا القانونية المحتمل بروزها مع ازدياد رحلات الفضاء مستقبلاً. وفي الولايات المتحدة وحدها يوجد (٣٢٣) محامياً لتنظيم الحقوق الملكية في الفضاء وحل نزاعات الأسبقية. كما تشكلت مراكز

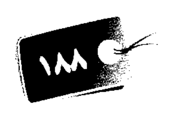




للدراسات القانونية الفضائية مهمتها وضع قوانين تحدد من الآن أنواع وشروط الملكيات الفضائية وحقوق الانتفاع بها مستقبلاً!!

وخلال الفترة بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٦ أصدرت هيئة الأمم المتحدة خمس اتفاقيات دولية تنص على أحقية جميع الدول في إطلاق مركباتها إلى الفضاء، كما اعتبرت الكوارث الفضائية التي تقع على الأرض من مسؤولية الدولة التي أطلقت تلك المركبات.

والبند الرئيسي في تلك الاتفاقيات يؤكد أن جميع النجوم والكواكب والتوابع الفضائية ملك للبشرية جمعاء ولا يجوز لأي دولة مهما امتلكت من تقنية الزعم بملكيتها أو احتلالها - وغني عن القول أن الفقرة الأخيرة (رغم مظهرها المحايد) تساهم في تكريس حالة التخلف الفضائي الذي تعاني منه دول العالم الثالث...



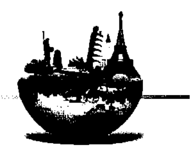
البزنس في هوليود



أبرز مايميز "المسالة الاقتصادية" في عاصمة السينما العالمية هي الأرقام الفلكية التي يتكلفها الفيلم ووضع تسعيرة كل نجم - أو مخرج أوكاتب - حسب آخر نجاح له!

فبالنسبة للنقطة الأولى تبدو تكاليف الإنتاج في ارتفاع دائم كقطار يصعب إيقافه؛ ففي أواخر الخمسينات حين وصل متوسط



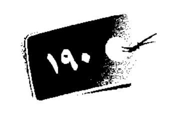


إنتاج الفيلم إلى سبعة ملايين دولار اعتبر ذلك حداً لا يمكن السكوت عليه.. إلا أن متوسط التكلفة ارتفع في أواخر الستينات إلى (١٥) مليوناً، ثم إلى (٢٢) مليوناً في بداية الثمانينات، وها نحن اليوم نرى أفلاماً تكلف (٣٥٠) مليون دولار (كفيلم آفتار).

وما يجعل هوليود مميزة في هذا المجال ضخامة السوق الأمريكية والإقبال الكبير على الفيلم الأمريكي في الخارج.. فهذا الازدهار هو الذي جعل المنتجين لايترددون في دفع أي مبلغ لأي فيلم هيئت له عناصر النجاح.. فالمنتج ببساطة سيستعيد أمواله وفوقها "بوسة" - بوسة كبيرة في الواقع..

وتبدو هذه الحقيقة واضحة في أفلام جماهيرية من نوع "الحديقة الجيروسية" الذي تكلف (٦٠) مليوناً وحقق (٩٠٠) مليون دولار كأرباح. وعلى نفس المنوال كلف فيلم " تيرمينيتور ٢" (٩٠) مليون دولار وحقق (١٥٠) مليوناً كأرباح.. ويعتبر المنتج سعيد الحظ إذا أقبلت الجماهير على فيلم قليل التكاليف عظيم الأرباح (كفيلم هوم ألون الذي كلف ٢٥ مليون دولار وحقق أرباحاً تفوق ١٧٥ مليون دولار)!

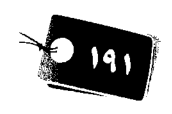
الأمر الآخر الذي يميز " الاقتصاد الهوليودي " حقيقة أن السعر الجديد لأي فرد يحدده نجاحه السابق في أي فيلم.. فعلى



سبيل المثال بعد نجاح الجزء الأول من فيلم "هوم ألون" لم يقبل الطفل مولكاي كوالين تمثيل الجزء التالي إلا بعد استلام ثمانية ملايين دولار عن دوره الجديد. وحتى عام ١٩٩٣ لم يتجاوز سعر النجم الكوميدي "جيم كاري" (٧٠٠) ألفاً عن الفيلم الواحد ولكن نجاحاته الأخيرة جعلته يستلم أكثر من عشرة ملايين دولار عن فيلميه "القناع" و"رجل الكيبل".. وبالمثل بعد أن كان سلفستر ستالوني - بطل أفلام روكي - يعمل (كومبارس) بثمن متواضع ارتفع أجره بفضل سلسلة من أفلام العنف والأكشن إلى (٢٠) مليون دولار إستلمها عن دوره في فيلم "رامبو ٢".. وفي الواقع يوجد اليوم في هوليود عشرون ممثلاً على الأقل يفوق أجرهم عن الفيلم الواحد أكثر من عشرين مليون دولار. وفي فيلمه الأخير "مهمة مستحيلة ٣" اشترط النجم توم كروز (منذ البداية) نسبة مقدارها (١٥ ٪) من الأرباح التي يحققها الفيلم فنال بنهاية السنة الأولى أكثر من مائة وخمسين مليون دولار فقط.

وفي السنوات الأخيرة تنامت في هوليود ظاهرتان مهمتان.. الأولى النجاح الساحق لأفلام الكرتون التي تنتجها "والت ديزني"، والأخرى إنتاج أجزاء متتالية للأفلام الناجحة...

فبالنسبة للظاهرة الأولى بدأت والت ديزني في إخراج أفلام





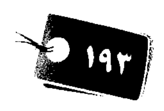
كرتون مطولة موجهة لجميع الأعمار تتميز بألوانها الرائعة وإخراجها الفريد.. فأفلام مثل (علاء الدين) و(بوكاهنجز) و(حكاية لعبة) و(الأسد الملك) حققت أرباحاً قياسية لاتقارن بأرباح الأفلام العادية. ففيلم الأسد الملك مثلاً تكلف (٢٦٠) مليون دولار وبلغت مبيعات المنتجات المتعلقة به أكثر من بليون دولار وحقق أرباحاً تبلغ أربعة أضعاف تكلفته - أي ما مجموعه أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار!؟

أما بالنسبة لإنتاج أجزاء تالية للأفلام الناجحة ففرضتها حقيقة أن الفيلم الناجح يعتبر دعاية لنفسه ويضمن للجزء التالي - مهما كان سيئاً - مالا يقل عن(٦٠ ٪) من الإيراد السابق.. بمعنى أن فيلماً متوسط الجودة مثل " سيتي سليكرز " الذي حقق (١٠٠) مليون دولار كأرباح سيضمن في جزئه الثاني - الذي عانى من ضعف بالغ - مالا يقل عن (٦٠) مليوناً كأرباح مضمونة بالإضافة إلى إيرادات الجماهير الجديدة التي سمعت عن الفيلم لأول مرة.. وهذه المعادلة البسيطة هي التي تفسر ظهور أجزاء متتالية من الأفلام الناجحة وتفسر أيضاً لماذا قفز أجر " شوارزنيغر " من مليون دولار في الجزء الأول من " الترمنيتور " إلى (١٦) مليون دولار في الجزء الثاني.. فالجزء الثاني ببساطة لم يكن ليتم بدونه!



أيضاً بالإضافة إلى أرباح التوزيع والعرض المباشر هناك أرباح أخرى يتم التحصل عليها بشكل غير مباشر - وبشكل قد لا يحدث إلا في أمريكا.. فالفيلم الناجح سرعان مايصبح ماركة تجارية يضمن نجاح أي سلعة "يوضع" عليها؛ فبعد نجاح فيلم سلاحف النينجا اشترت شركات الألعاب حقوق إنتاج تلك السلاحف كدمى للأطفال حققت من خلالها ازدهاراً واسعاً.. وشركات مثل ماكدونالد وبيتزا هت تعمد لشراء حقوق استغلال صور وأسماء الأفلام والشخصيات المحببة لتوزيعها على زبائنها بشكل قمصان وأطباق وقبعات تجذب الصغار خصوصاً!!؟ والأرباح التي تحصّل عليها المنتجون بهذه الطريقة بلغت عام ١٩٩٣ (٦٢,٢) مليار دولار.. وهذا مبلغ يفوق ميزانية "شوية" دول إفريقية!!

والأمر لاينتهي عند هذا الحد فأصحاب البزنس في هوليود لايعدمون وسيلة لجمع الأرباح؛ فالشركات المنتجة تعمد قبل الشروع في أي فيلم إلى توزيع لائحة بأسعار الدعايات التي ستظهر فيه بصورة عفوية.. وبكلام أوضح نقول أن ظهور بطل الفيلم وهو يدخن سيجارة "مارلبورو" في لحظة غضب أمر متفق عليه ومدفوع ثمنه سلفاً. وإذا حدث مثلاً أن رفضت جميع شركات السجائر العرض المقدم من المنتج عندها سيضطر بطل الفيلم لتدخين سيجارة لا يمكن للمشاهد معرفة صانعها - وقس على ذلك جميع المنتجات الأخرى...







كيف تصبح مزوراً في خمسة أيام



كلما زادت ندرة الشيء كلما زادت قيمته، وكلما زادت قيمته زادت شهرته، وكلما زادت شهرته زاد الطلب عليه ولو اقتضى الأمر تزويره. ويبدو أن هذه الحلقة المفرغة هي السر في الارتفاع المتزايد لأسعار الأعمال النادرة والمشهورة؛ فالزمن وتقادم العهد يعملان كصمام باتجاه واحد يرفع الثمن ولايخفضه في سوق اللوحات الفنية القديمة.



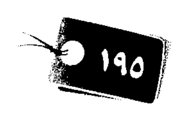
ومن الطريف أن فان جوخ - الذي بيعت لوحته أزهار السوسن بـ (٤٥) مليون دولار - عاش حياته معدماً فقيراً عالة على أخيه، واللوحة الوحيدة التي استطاع بيعها استعملت لترميم خن للدجاج.

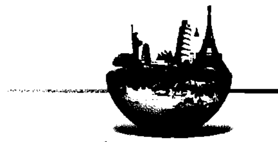
وهناك في صالات بيع المقتنيات النادرة الأمر لا يخلو من المتاجرة بلوحات فنية مزورة تنسب لكبار الفنانين - الهولنديين منهم خاصة - ثم تباع بأسعار خيالية على أصحاب الملايين - اليابانيين منهم خاصة - وكثيرًا ما وصل الأمر إلى اختلاق لوحات جديدة تماماً فتخرج الأخبار مجلجلة حول اكتشاف عمل مفقود لرامبات أو بيكاسو وفان كوخ...

ولكن أين خبراء الفنون، أين التقنيات الحديثة من تلك المزورات؟

في البداية دعنا نعترف بصعوبة تزوير المقتنيات الفنية القديمة. ولكن إذا حدث وزورت لوحة معروفة (ومشيت) على خبراء الفنون فاعلم أن صانعها ليس مزوراً فحسب بل فناناً وخبيراً وأذكى من جميع من مرّت عليهم لوحته!؟

على أي حال من الأمور المهمة التي ينبغي لكل مزور محترم الانتباه إليها مايلي:





أولاً: يجب الإحاطة بتاريخ الفن ومميزاته في كل عصر تلافياً للوقوع في المحظور؛

فعلى سبيل المثال إذا رغبت في تزوير لوحة لفنان هولندي عاش في القرن السادس عشر فاحذر استعمال اللون الأحمر لأنهم لم يستطيعوا صنعه في ذلك الوقت، وتذكر بالمناسبة أن المزور الألماني الشهير هانز ميغرين ألقي في السجن لأنه باع للزعيم النازي هرمان غورينغ لوحة مزورة للفنان فيرمر؛ وكانت غلطته الوحيدة أنه استعمل اللون الكوبالت - الأزرق المخضر - الذي لم يكن معروفاً في تلك الأيام.

ثانياً: بالإضافة لذلك يجب أن يتمتع المزور ببعض الذكاء والحس البوليسي الخارق فليس من المعقول مثلاً استعمال فرشاة مصنوعة من مواد عصرية كالنايلون ثم لاتتوقع اكتشاف حقيقة التزييف. فمن الأساليب التي يعتمد عليها في كشف المزورات الفنية تحليل بقايا الشعر العالقة على دهان اللوحة. الحل السليم هنا هو استعمال فرشاة مصنوعة من خامات الشعر الطبيعي (وخصوصًا النوع المجهز في إيطاليا) ومن المفيد أيضاً خلخلة إطار الفرشاة بعض الشيء كي تعلق أكبر كمية من الشعر على اللوحة...!!؟

ثالثاً: ومن الطبيعي أن يكون الدهان الذي مر على جفافه



ثلاثمائة عام غاية في القسوة والصلابة؛ وهذا الأمر هو مايميز اللوحات القديمة ويجعل بها آلاف الشقوق والتجاعيد المجهرية، ولكن يجب أن لا يعوق هذا الأمر المزور الناشئ عن مسعاه الطموح؛ إذ يمكن اختصار جفاف تلك القرون خلال (٢٤) ساعة بوضع اللوحة المزورة في فرن حراري يزيد من قساوة الألوان ويزودنا بما يكفي من الشقوق.

رابعاً: وبالإضافة للأسلوب الفني يجب مراعاة عناصر البنية التي صنعت منها اللوحة، فقماش الرسم مثلاً (CANVAS) يجب أن يكون من النوع المعروف في عصر اللوحة وليس من المنتج هذه الأيام في اليابان أو كوريا...

خامساً: أيضاً من العناصر التي لها أهميتها في معرفة تزييف اللوحة من عدمها نوع الخشب وأسلوب النقش الذي صنع منه الإطار؛ فمن الملاحظ مثلاً أن خشب الجوز هو مادة معظم الأطر التي تحيط باللوحات الإيطالية والهولندية، كما يجب ملاحظة أن الأطر القديمة تكون قاتمة أو كاتمة بفعل الرطوبة والضوء. ولاداعي للقول أن المزور المحترم يجب أن يراعي قدراته الفنية فلا يقدم مثلاً على تزوير لوحة لبيكاسو وهو لايجيد تحضير ألوانه بشكل مقنع.

ومن أجل جميع المزورين المبتدئين نذكر بأن التزوير ينقسم إلى





أنواع رئيسية؛ أولها: التزوير المأخوذ عن النسخة الأصلية بصورة مباشرة، وهو النوع الأكثر مهارة والأصعب نجاحاً في ظل وجود اللوحة الأصلية. أما النوع الثاني: فهو النوع المقلد الذي يعتمد على عناصر مأخوذة من عدة أعمال أصلية تجمع لخدمة عمل فني واحد. وهذا النوع المكشوف من التزييف لاينكره المزور إذا وقف أمام الخبير. أما ما يطلق عليه اسم اللوحة الممسوحة فهو النوع الثالث من التزييف، وفي هذا النوع يعمد المزور - بكل بساطة - إلى طمس اسم الفنان الأصلي ووضع اسمه بعد إجراء التعديلات المناسبة.

وبناءً عليه ينصح كل مزور مستجد على اختيار نوع العمل الذي يتناسب مع قدراته وأن لا يدفعه الطمع للتورط واقتحام مجال أكبر منه!

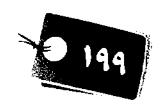
أيضاً نسينا أن نشير إلى أن هناك نوعين من الوسائل يُعتمد عليها في كشف تزييف المقتنيات النادرة واللوحات الفنية. فالنوع الأول هو مايعتمد على الخبرة الشخصية. وهنا لا توجد طريقة معينة لكشف التزييف؛ فقد يلاحظ الخبير أن ضربة الفرشاة في اللوحة المزورة سطحية ومحسوبة بدقة بعكس اللوحة الأصلية التي تكون فيها لمسة الفرشاة تلقائية وعميقة، وقد يلاحظ مثلاً أن في اللوحة المزورة قطعة أثاث أو موضة ثياب أو حتى قصة شعر لم تكن

معروفة في زمن رسم اللوحة.. أيضاً قد يلفت نظر الخبير أن شقوق الدهان غير عميقة بما يكفي أو أنها مستقيمة بشكل مفتعل.

أما النوع الآخر من وسائل كشف التزييف فهي استعمال تقنيات الفحص الحديثة التي تشمل دراسة الخصائص الكيميائية والفيزيائية للمواد المستعملة في اللوحة ومدى التغييرات التي طرأت عليها.. فعلى سبيل المثال يمكن بأشعة X كشف العلاقة بين المواد المستعملة في اللوحة؛ أو إن كان هناك لوحة ثانية أصلية تحت الأولى المزورة. ويمكن بالأشعة تحت الحمراء التأكد من صحة توقيع الفنان كما يمكن بآلة الراديوغراف كشف تزييف الإطار ومعرفة تاريخ صنع المسامير.

ورغم كل تلك العقبات نستطيع التأكيد أنه إذا قام مزور محترف بمراعاة وسائل كشف التزييف، ورسم اللوحة المزورة بأسلوب الفنان الأصلي، ونفذها بنفس البنية، فمن الصعب كشف أمرها.. وتذكر جيداً بأن اللوحة المزورة بشكل جيد لانسمع عنها أبداً!

وفي النهاية أجد أن تأنيب الضمير يدفعني للتذكير بأنه كلما كانت اللوحة نادرة كلما كانت مشهورة، وكلما كانت مشهورة كلما زاد ثمنها.. وكلما زاد ثمنها كلما زادت عقوبة تزويرها.





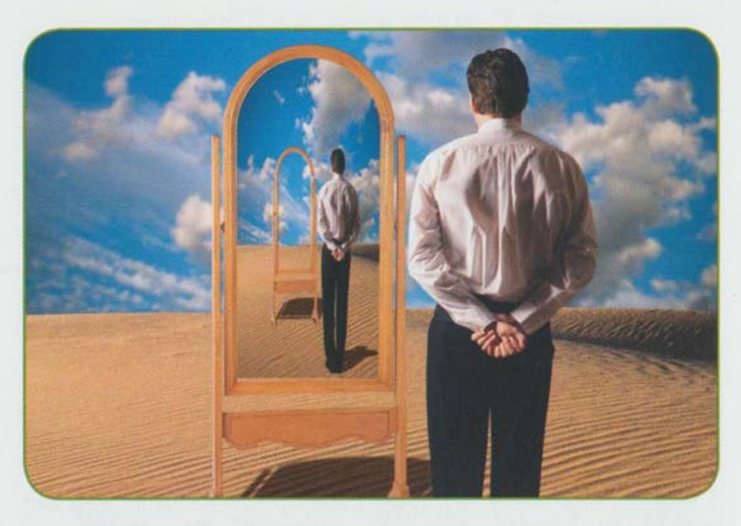


عجائب
الشعوب
القديمة



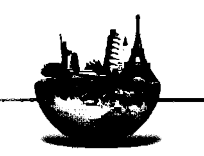


عصر المغرورين



يقولون أننا نملك في هذا العصر (٩٥٪) من مجموع العلماء الذين وجدوا خلال التاريخ.. ويقولون:أننا (أبناء هذا العصر) محظوظون لأننا نعيش في طفرة تقنية وتكنولوجية لم تمر في تاريخ البشرية.. ويقولون كذلك أن عصرنا الحالي هو العصر الوحيد الذي احتكت فيه الحضارات بشكل مباشر وانهارت فيه الحواجز بين الشعوب...





ويقولون.. ويقولون..

وما أكثر مايقوله المغرور وقصير النظر!

فبرغم أن القرنين الآخيرين تميزا بتقدم العلم وثورة التكنولوجيا. وبرغم تطور المعارف وزيادة الإنتاج وتحول العالم لقرية صغيرة ؛ إلا أن هذا لا يعني تفردنا بشيء عظيم.

ففي تلك الإدعاءات نوع من الغرور والإجحاف بعبقرية الشعوب القديمة.. فالمائتي سنة الأخيرة ليست سوى لحظة خاطفة من عمر البشرية، وما نحن فيه مجرد اشتعال مفاجئ لعود ثقاب.. وإن كان صحيحاً أن عمر الأرض أكثر من أربعة ملايين عام فإن هذا يعني أننا مجرد " ورقة " ضمن موسوعة من عشرين ألف صفحة!

وفي الحقيقة يمكننا استنتاج التاريخ الطويل للإنسان على الأرض من عدد الأنبياء والرسل الذين ظهروا في الحضارات القديمة ؛ فقد ورد في الأحاديث أن مجموع الرسل والأنبياء بلغ (١٢٤) ألفاً لم يذكر منهم في القرآن سوى (٢٥) فقط - كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ ﴾ (النساء: ١٦٤) وعليه من المنطقي التسليم بظهور واندثار حضارات راقية مشابهة والاعتراف بأن الطفرة التي نعيشها لم تقتصر على المائتي سنة الأخيرة!؟

ونُذكِّر فقط ببعض الأمثلة العجيبة:

فمنذ زمن طويل قدّر هنود أمريكا الوسطى زمن الشهر القمري بـ (٢٩) يوماً و(٥٣٠) دقيقة و(٨٦) ثانية بينما لم نستطع نحن الوصول لتلك النتيجة الدقيقة إلا في " المائتي سنة الأخيرة "!

وكان كهنة بابل قد أشاروا إلى وجود أربعة أقمار كبيرة تدور حول المشتري (الأمر الذي لم نستطع الجزم به إلا بعد اختراع التلسكوب) كما مكنتهم معارفهم التقنية من صنع البطاريات الجافة واستعمالها في الطلاء الكهربائي!؟

وإن كنا نفتخر اليوم بقنابلنا الذرية، فلعلنا نتواضع قليلاً متى ما علمنا أن تلال صحراء كوبى (في الصين) تحولت إلى ألواح زجاجية بفعل حرارة شديدة لم يعرف سببها في بادئ الأمر ؛ ولكن حين تحولت رمال " نيومكسيكو " إلى زجاج مماثل بعد انفجار أول قنبلة ذرية إفترض العلماء أن تلك التلال تشكلت بفعل حرب نووية!؟

كذلك يجب أن لايغيب عنا أن هنود البيرو أول من طار بالمنطاد، وأن الفراعنة بنوا أهراماتهم بقياسات تقنية خارقة، وأن قبيلة الدجون الوثنية (في مالي) تعبد كوكباً يدور حول النجم (سايروس) لم يكتشف إلا بتقنيات متقدمة عام١٩٧٠. أضف لكل





ذلك أن الحضارات العتيقة في بحر إيجه وصلت لتقنية متقدمة أتاحت لها صنع مكائن ذات نبائط وتروس متقنة - الأمر الذي دعا العالم البريطاني آرثر كلارك للقول " لو استمر التقدم التقني لتلك الشعوب لأصبحنا اليوم في وضع يتيح لنا التنزه بين النجوم "...

وبقدر ما لدي من شواهد على وجود حضارات بائدة بقدر مايثير أسفي وحزني حوادث حرق الكتب في العصور القديمة ؛ ففي آسيا الصغرى تعرضت مكتبة برغام للإتلاف وكانت تضم (٢٠٠,٠٠٠) كتاب قديم، وفي بغداد قذف المغول بكتب" دار الحكمة " في نهر دجلة حتى أزرق لونه من الحبر.. وعندما اقتحم الرومانيون قرطاجة سنة (١٤٦ ق.م) أحرقوا نصف مليون مجلد من ذخائر العلوم القديمة. كما أحرق الرومان - واتُهِم العرب بتلك الجريمة - مكتبة الإسكندرية وكانت تضم أكثر من (٧٠٠,٠٠٠) مجلد. وفي الصين أحرقت سائر الكتب القديمة قبل عام (١٢٣ ق.م) بأمر من الإمبراطور المقدس بتهمة احتوائها على السحر.. وهناك الكثير الكثير من الحوادث المماثلة في كل أركان العالم.

وفي الواقع إذا راعينا تواريخ تلك الحوادث، والكم الهائل من الكتب التي فقدت خلالها، فإن ذلك يجعلنا نفترض وجود فترة



فاصلة بين آخر حضارة مشابهة انتهت في ذروتها وأول محاولة بدأناها نحن من الصفر لبناء حضارتنا الحالية!؟

على أي حال من خلال مقالات هذا الفصل سنطّلع على بعض الألغاز والمعارف التي ورثناها عن العصور الماضية وسنلاحظ من خلالها ما يؤيد فكرتنا بهذا الخصوص...!







سر الصاغة



هناك ظاهرة غريبة رافقت اكتشاف الحلي الذهبية للفراعنة وبلاد مابين النهرين. فتماثيل الفراعنة وحلي بابل لم تكن في الحقيقة مصنوعة من الذهب الخالص بل كانت في معظمها مصنوعة من معادن رخيصة لُبِّست بالذهب.

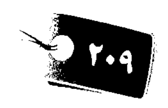


الغريب أن الغطاء الذهبي لتلك التحف كان من الرقة وقوة التلاحم بحيث يستحيل معه حتى خدشها بمشرط حاد!!

وهذه المعضلة على بساطتها ليس لها حل إلا أن يكون صاغة العصر القديم قد اكتشفوا طريقة الطلاء بالكهرباء. ولكن هذا الاحتمال استبعد في البداية لأن أول بطارية جافة ابتكرها جلفن صنعت بعد ذلك بواحد وعشرين قرناً - أو على الأقل هذا مانعتقده.. ولكن القائلين بفرضية استعمال الطلاء الكهربائي تعززت آراؤهم بعد اكتشاف أول "بطارية جافة" في إحدى مقابر بغداد عام ١٩٣٦ يعود تاريخها إلى (٢٥٥ ق.م) وعُرفت حينها باسم "بطارية بغداد".

إذاً البطارية الجافة صنعت لأول مرة في فترة حكم البارثيين الذين عاشوا في العراق بين عامي (٢٤٠ ق.م - ٢٦٦ م). وكانت تلك البطاريات مصنوعة من جرار فخارية بداخلها أسطوانات نحاسية وقضبان حديدة مثبتة بالإسفلت. وكانت "الأقطاب" يبدو عليها آثار التآكل بسبب الأحماض التي كانت تُملأ بها الجرار.

بالإضافة لذلك وجدت عشرة بطاريات من النوع السابق موصلة ببعضها بشكل متسلسل لزيادة الفولتات. وفي تجربتان منفصلتان

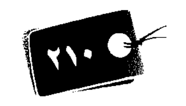




في الولايات المتحدة تمتا على نسخ مطابقة للبطاريات التي وجدت في بغداد أمكن توليد تياراً شدته (١/٢) فولت دام لمدة (١٨) يوماً. وكانت المادة الأساسية في الجرار القديمة ؛ الخل وحمض الليمون الذين كانا متوفرين في ذلك الوقت.

وحالياً لم يعد هناك مجالُ للشك بأن تلك البطاريات استعملت للطلاء بالترسيب الكهربائي وأن الكهرباء ظاهرة اكتشفت أولاً في بلاد مابين النهرين كما عرفها الفراعنة!؟

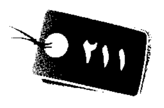
أضف لذلك أن المراجع للآيات الكريمات (١٠، ١١، ١٢، ١٣) من سورة سبأ يتملكه شعور بأن مملكة سيدنا داود كانت عبارة عن "ورشة عمل" متقدمة كدليل آخر على تفوق الشعوب القديمة في صب وسبك المعادن... فقد قال تعالى:﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ: ١٠ – ١٣)



وفي الواقع أن تفوق الشعوب القديمة في صنع السبائك يتجاوز تلبيس الحلي وصنع التماثيل.. فنحن نعرف مثلاً أن الألمنيوم النقي أنتج لأول مرة عام ١٨٥٤، ولكن في مدافن منطقة كوان الصينية التي تعود إلى (٣١٣) قبل الميلاد اكتشفت أدوات مصنوعة من الألمنيوم الخالص بدون معرفة الطريقة التي أنتج بها. فرغم المحاولات التي قام بها البحّاثة في كلية الكيمياء في جامعة نانكينج فإن الأمر مايزال لغزاً يدير أصعب العقول العلمية - وطبعاً لاننسى أن سبائك الألمنيوم تحتاج لدرجة حرارة عالية من الصعب تصور الوصول إليها في ذلك الوقت.

أيضاً من المعروف أن عمود الهند الحديدي (في بومبي) مازال منتصباً منذ أربعة آلاف عام بدون أن يتآكل أو يصاب بالصدأ. وهذا الأمر يعيدنا إلى المخطوطات القديمة التي تشير إلى إمكانية صنع حديد غير قابل للتحات ولايتأثر بالحمض الملكي (القادر على إذابة جميع المعادن).

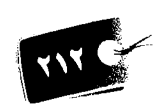
بالإضافة لذلك اكتشف زجاج مرن قادر على تحمل درجات حرارة عالية أفلح القدماء - ولم نفلح نحن - في إنتاجه من أصول معدنية خالصة.





وليست كل المعادن والسبائك القديمة لغزاً خارقاً من الصعب حلّه أو الكشف عن طريقة إنتاجه. فهناك بعض الأساليب القديمة (هي فقط) تثير الدهشة والاستغراب فنحن مثلاً نعرف أن الفراعنة توصلوا لتقسية النحاس بطريقة عصرية متقدمة. كما اشتهر سكان سوريا القدماء بصنع سيوف صلبة - وذلك بطعن السلاح المحمى في أجسام الحيوانات أو أسرى الحروب إذا لزم الأمر.. والفكرة هنا بسيطة الفهم ؛ فالعامل المؤثر في هذه العملية هو تقوية الحديد الساخن بامتصاص ثاني أو كسيد الكربون الموجود في أجسام المخلوقات!!

وقد مرّت قرون طويلة قبل أن يكتشف هنري بسمر هذه الطريقة لإنتاج الصلب بإضافة ثاني أوكسيد الكربون إلى أفران الحديد المذاب.. وبالطبع لا يختلف اثنان على أن طريقة بسمر أفضل من غرس قضبان الحديد المحمى في أجساد بعضنا البعض!



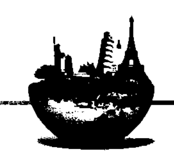


النظرية الذرية.. ليست حديثة



انتظر العالم طويلاً قبل أن يكتشف العالم (رذر فورد) التركيب الحقيقي للذرة عام ١٩١١.. والذرة تتكون أساساً من الشحنة الموجبة (وهي النواة - ونمثلها بالشمس) والشحنة السالبة (الإلكترونات - وكأنهن الكواكب حولها) بحيث يمكن القول أن الذرة في تركيبها الداخلي تشبه " النظام الشمسي "!





المدهش هنا أن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال قبل ذلك بعدة قرون " إذا فلقت أي ذرة تجد في قلبها شمساً "!؟

وهذا القول إستشهد به المحرر العلمي لجريدة نيويورك هيرالد تربون (جون أونيل) في كتابه " قصة الهندسة النووية " وأبدى دهشته من بساطته ووضوحه وتنبئه بفلق الذرة!؟

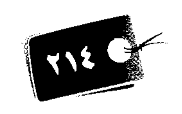
والحديث عن الذرة قديم قال به فلاسفة اليونان وبعدهم المسلمون بعدة قرون. إلا أن علماء المسلمين اختلفوا إن كانت المواد تتجزأ بلا نهاية أم أنها تتجزأ حتى الوصول إلى وحدة بناء أساسية!؟

= فَمِن الذين قالوا بأنها تتجزأ إلى مالا نهاية:

الفارابي في كتابيه " عيون المسائل " و" كلام في الجزء وما يتجزأ "، وابن سينا في كتبه " الإشارات " و" عيون الحكمة " و" النجاة ".. وكثيرون قالوا قولهم كابن الهيثم والكندي وإبراهيم النظام!

أما الرأي الآخر فهو رأي القائلين بالوصول إلى " بنية " أو " وحدة " لا تقبل التجزئة في أي مادة أسموها " الجوهر الفرد ".. ومنهم:

أبو هذيل العلاف، وهو من أوائل المتكلمين عن "الجوهر الفرد".



وابن حزم الذي أورد خمسة أدلة لإثبات عدم تجزّء " الجوهر الفرد ". وهشام الفوطي الذي عاش في حكم المأمون وقال بإثبات من لايتجزأ... ووافق رأيهم أفرادٌ عديدون منهم بعض المتصوفة - مثل فريد العطار الذي قال: " الذرة فيها شمس، وإن شققت الذرة وجدت فيها عالماً وكل ذرات العالم في عمل لا تعطيل له ".. (وهذا تعريف لتركيب الذرة لم أجد أفضل منه!).

في الواقع إن ما ألهب خيال المسلمين للتفكير في الذرة هو الآيات التي وردت في القرآن حيث تكرر ذكر " الذرة " بما يفهم منه أنها (أصغر جزء يمكن تصوره أو الوصول إليه) ؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ (النساء: ٤٠).

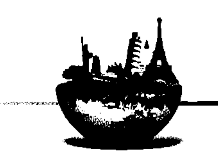
- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ ﴾ (الزلزلة: ٧)

- ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ (سبأ: ٣).

والإعجاز هنا ليس فقط في الإشارة إلى وجود " الذرة " بل أيضاً في إقرار أنها جسم مادي له (مثقال)!!

كذلك لا نغفل أن في قوله تعالى ﴿ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ ﴾ إشارة





إلى وجود ماهو أصغر من الذرة ؛ وهذا من وجهة نظر علمية لاينتج إلا بعد انشطارها الأمر الذي يعني التنبؤ (بتفجيرها) مستقبلاً وتحولها إلى (طاقة) نووية!

أيضاً بالإضافة إلى المسلمين الأوائل تعرفت كثير من الحضارات الأخرى على التركيب الداخلي للذرة عن طريق التفكير المنطقي (الذي يشير بداهةً إلى أن تقسيم المادة إلى وحدات أصغر فأصغر يقود إلى أصغر وحدة في بناء المادة). فقبل خمسمائة عام من مولد المسيح عليه السلام كان الاعتقاد السائد لدى الإغريق أن كل شيء في هذه الدنيا مكون من ذرات متناهية في الصغر. وكثيرًا ما دافع المفكر ديموقريطس عن تلك النظرية أمام الفكرة القائلة بتكون الكون من أربعة عناصر أساسية هي النار، والماء، والتراب، والهواء..!!

أيضاً في كتابات الرهبان البوذيين ما يشير إلى أن المادة تنقسم إلى أصغر جزء قائم بذاته، وأن تلك الأجزاء تحتوي على نظام من " الدراهمات " يتراوح عددها بين (٨ و١٢) دراهماً تولد وتفنى سريعاً قبل أن يأتي غيرها - وهذه إشارة دقيقة إلى مكونات الذرة..!؟

أيضاً ورد في المهابهارتا (وهو كتاب هندي مكتوب باللغة



السنسكريتية القديمة) عدة إشارات تدل على معرفة الهنود بطبيعة الذرة ووجود عوالم فسيحة في جوفها.. أضف لذلك قسّم الهنود الوقت إلى أصغر وحدة ممكنة سموها ترتوى وتساوي (٣٦٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة!!

والسؤال المطروح هو.. في أي غرض استخدم الهنود تلك الوحدة من القياس التي لم نحتج إليها إلا بعد تقسيم الذرة..!!

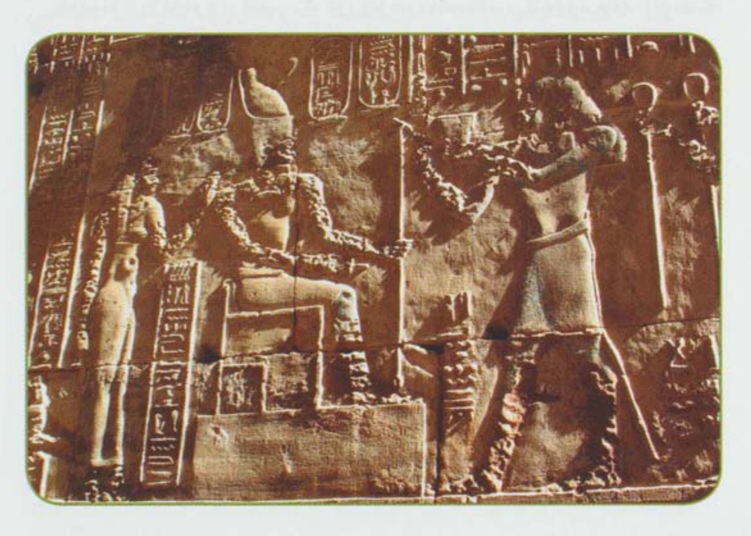
على أي حال لا أجد في النهاية أفضل من أبحاث العالم الأمريكي "سترونيك" الذي لفت الأنظار إلى الأساطير الصينية والهندية التي تشير إلى وقوع حوادث نووية في الماضي ؛ ففي الكتاب السابق (المهابهارتا) ورد ذكر "كرات النار" التي دمرت المدن وأحرقت الزرع وأدت بعد ذلك إلى إصابة الناس بالتشوه والصلع.. كما أشارت الأساطير إلى نظرات "كابيلا" التي حولت خمسين ألف إنسان إلى رماد، وإلى رماح النار التي هدمت مئات المدن!؟

... قد تبدو هذه النصوص مجرد أساطير لا تقدم ولا تؤخر - وكان هذا رأيي أيضاً - ولكن المعضلة هو اكتشاف ألواح من زجاج رملي في صحراء كوبي في الصين لا يتكون إلا بعد انفجار ذري - وكما ذكرنا سابقاً تأكدت تلك الظاهرة لأول مرة بعد تفجير أول قنبلة ذرية في صحراء نيومكسيكو..!!





حضارة الأسرار



لأسباب كثيرة تبدو حضارة الفراعنة فريدة من نوعها، منفصلة عن غيرها ظهرت بلا مقدمات، وانتهت بدون وريث، وتركت لنا كثيرًا من الأسرار وقليلاً من التماثيل وأوراق البردي!!

ورغم تقدمنا العلمي في هذا العصر إلا أننا عجزنا عن الكشف عن بعض الأسرار والتقنيات التي استعملت تلك الأيام؛ فنحن مثلاً



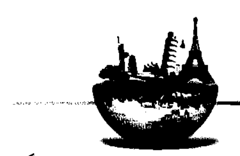
لم نفهم أسرار التحنيط كما استعمله الفراعنة، ولم نستوعب بعد كيف بنيت الأهرامات بمقاييس دقيقة (لم نصل إليها إلا باستعمال أشعة الليزر) ولم نجد تفسيراً معقولاً للقوة الغامضة في الأشكال الهرمية التي تحفظ الأجسام من التحلل والتعفن..

ولأن الناس ملت الحديث عن الأهرامات ودقة بنائها، وأوراق البردي وروعة رسوماتها، سنتحدث عن عجائب أخرى تبدو محيرة رغم بساطتها ؛ ففي صقارة مثلاً وجدت طائرة عتيقة تبدو كنموذج تجارب يبلغ طولها (٣٠) سم وباع جناحيها (١٨) سم. ومثل هذا الاكتشاف يجعلنا نتساءل إن كانت تلك الطائرة نموذجاً لطائرات انزلاقية أكبر، أم أنها مجرد لعبة كان يتسلى بها أطفال الفراعنة!!؟

أيضاً اكتشفت صواري خشبية طول الواحد منها (٣٠) متراً غطيت رؤوسها بأغلفة نحاسية وبرونزية كانت تستعمل كمانعة صواعق أمام المعابد المصرية!!

وهذا الأمر يبدو غريباً من ناحية أن مصر (كمنطقة جغرافية) تعتبر واحدة من أقل عشرة مناطق في العالم من حيث هطول الأمطار وندرة الصواعق - ومثل هذه الحقيقة تجعلنا نفترض أن المناخ في وادي النيل كان أغزر مطراً وأكثر رطوبة ؛ خصوصاً أن في





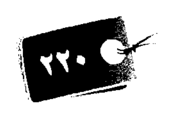
ذلك تفسيراً مناسباً لأخاديد المياه العميقة التي يعاني منها تمثال أبو الهول في الجيزة!؟

وفي داخل الأهرام (حيث الظلام الدامس) توجد رسوم زاهية أصبحت مثار تساؤل عن كيفية رسمها بدون وسائل إضاءة. وكان الاعتقاد السائد أن الرسامين استعانوا بمواد مشتعلة ؛ إلا أنه لم يلاحظ أي أثر للاحتراق على الجدران أو وجود فتحات للتهوية - أضف لذلك أن من رسم تلك اللوحات يدرك تماماً أن هباب المشاعل سيفسدها حتماً..!

وهنا يبرز السؤال المحير، كيف أضيئت تلك الغرف من الداخل ؟

يعتقد بعض المتحذلقين أن بناة الأهرام استعملوا مصابيح كهربائية - خصوصاً بعد أن كشفت الحفريات عن " بطاريات كهربائية جافة " كانت تستعمل لطلي المعادن بالذهب!!؟

... على أي حال سر الأهرامات يبدو أعظم من ذلك وأعمق.. ففي عام ١٩٣٠ دخل المكتشف الفرنسي أنطوان بوفيس إلى هرم الجيزة؛ وبالتحديد إلى غرفة الملك التي تقع في مركز الهرم فلاحظ وجود جثة هرة وبعض الحشرات الميتة.. وما أثار دهشته أن تلك البقايا لم تكن متعفنة ولا متحللة رغم جفافها الشديد..



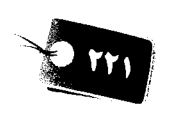
فتساءل عما إذا كان للشكل الهرمي علاقة بذلك (خصوصاً أنه كان في الغرفة التي فيها جثمان الملك والذي يفترض أن ينتقل للآخرة بكامل أجزائه)!!؟

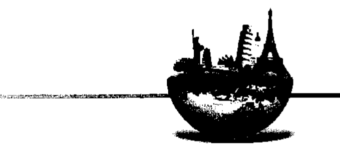
.. وبعد تلك الحادثة عمد إلى إنشاء أشكال هرمية مصغرة بنفس زوايا الهرم الأكبر ووضع أنواعاً متعددة من المواد العضوية في مركز الهرم فلاحظ احتفاظها بنكهتها الطازجة وعدم تعفنها.

وقد كرر خبير الراديو التشيكوسلوفاكي " كال دربال " تلك التجارب وبدأ في البحث حول الطاقات الكامنة في الأشكال الهرمية. ومع استمراره بالتجارب لاحظ أشياء مدهشة منها أن شفرة الحلاقة القديمة تستعيد حدتها متى ما وضعت في

مركز الهرم (وقد سارع إلى تسجيل امتياز ذلك الاختراع في أمريكا تحت رقم ١٩١٣٠٤). وفي وقت لاحق أثبت البروفيسور " وليام تيللر " من جامعة ستانفورد أن طاقة الهرم تعيد تنظيم طبقة البلورات الموجودة على أطراف الشفرة مما يعيد إليها حدتها..

وقد جرت في أنحاء العالم تجارب مدهشة تتلخص نتائجها في أن الشكل الهرمي دون غيره من الأشكال يعمل كعدسات تجمع وتستقطب طاقة " من نوع ما " تساعد على تحسين نوعية

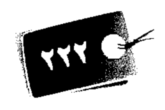




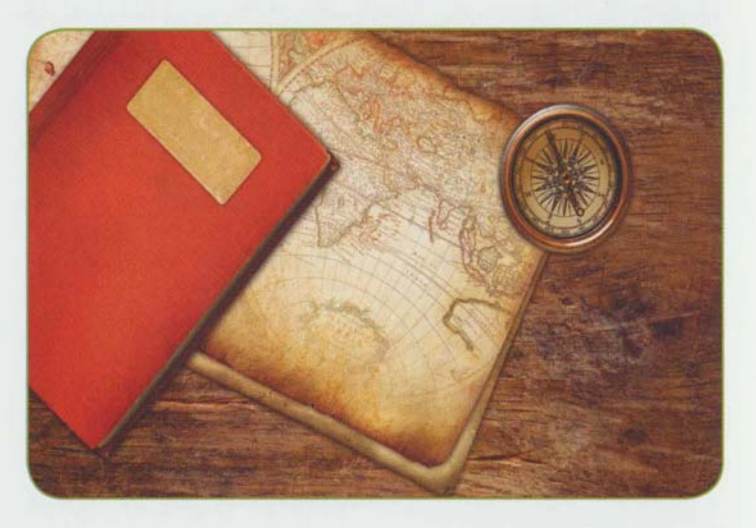
المواد وإطالة عمرها الزمني كما تمنع تعفن الأطعمة وتحلل المواد العضوية...!؟

ويدّعي "جرايدون ريكسون" في كتابه " اكتشف الطاقة الهرمية " أن الجلوس داخل الهرم ينبه الطاقة الفكرية للإنسان ويزيد من الذكاء والشفافية، وأنه شخصياً جرب ذلك مستعيناً بجهاز لقياس موجات ألفا الدماغية.

... جرب.. وأخبرني!!



الخريطة اللغز



في دير الأسكوريال - في إحدى ضواحي مدريد - توجد مجموعة من أندر الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية... وهذه الثروة النفيسة ليست من بقايا التواجد الإسلامي في الأندلس - كما قد يتبادر للذهن لأول وهلة - بل هي " مكتبة خاصة " لأحد ملوك السعديين في المغرب إستولى عليها القراصنة أثناء تحميلها واستقرت في حوزة ملك إسبانيا كارلوس الثالث...





مايهمنا هنا أن بين تلك المخطوطات خريطة قديمة رسمها الجغرافي المسلم " ابن الزيات " للقارتين الأمريكيتين قبل كولومبوس بعدة قرون!؟

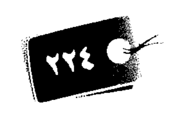
والسوال المحير هو:

كيف أتيح لابن الزيات رسم السواحل الشرقية للأمريكيتين بدقة لاتضاهيها سوى خرائط اليوم...!؟

الجواب غير معروف.. ولكن قد لا ينافس خريطة ابن الزيات سوى الخريطة التي أوردها الشريف الإدريسي في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وتعتبر أول خريطة صحيحة للعالم... وقد بلغ من إعجاب ملك صقلية (روجر الثاني) بها أن أمر بنقشها على طبق كبير من الفضة فغدت تحفة فنية لا تفوقها روعة سوى عبقرية الإدريسي وسمو موهبته!!

ورغم إعجابنا بالإدريسي وابن الزيات إلا أن الخريطة التي أفترض أن كثيرين منا لم يسمع بها هي التي أنجزها الأدميرال التركي المسلم " حاجي أحمد " عام ١٥١٢!!؟

فهذا البحار الغامض رسم خريطة للعالم مازالت لغزاً حتى



اليوم.. ورغم اعترافه بأنه استمد معرفته من جداول وخرائط قديمة رسمت زمن الإسكندر الأكبر إلا أن ذلك ليس كافياً لتبرير الدقة المتناهية التي رسم بها الساحل الشمالي للقطب الجنوبي المغطى بالجليد منذ آلاف السنين!

فالتراكم الجليدي يعني أن خارطة بيري الريس (كما يدعى في الغرب) قد رسمت قبل أن يغطي الجليد سواحل القارة الجنوبية قبل (٦٠٠٠) عام.. وهذه النتيجة صاعقة متى ما علمنا أن أدق خريطة رسمت لتلك السواحل لم تنجز إلا عام ١٩٤٤.

وبإلقاء نظرة على ماتبقى من تلك الخريطة في متحف توبكاتو بإسطنبول تظهر لنا الدقة التي رسمت بها سواحل إفريقيا وأوروبا ومدى تطابق جزر المحيط الأطلسي

- ماعدا جزر مديرا - مع الخرائط الموجودة حالياً..

ورغم أن قارة أمريكا اكتشفت قبل ظهور الخريطة بوقت قليل (بحوالي ٢٠ عاماً) ولكن المؤكد أن ظهور أمريكا على خريطة بيري ريس ليس سببه اكتشاف كولومبوس لها.. فعلى سبيل المثال جزر الفوكلاند المتاخمة ظهرت على الخريطة قبل اكتشافها رسمياً على يد " جون دافيس " بثمانين عاماً. كما أن جزيرة مارجوا المتاخمة





لسواحل أمريكا الجنوبية لم تظهر في الخرائط الرسمية حتى عام ١٤٥٣ م.

ولولا وجود بقايا من الخريطة مازالت محفوظة لما صدّق أحد الادعاءات التي أوردها " تشارلز هابجود " في كتابه خرائط ملوك البحر.. فهابجود الذي أمضى عمره في دراسة الخرائط القديمة يقول أن خريطة حاجي أحمد تؤلف أول شهادة على أن هناك أشخاصاً متقدمين في المعرفة سبقوا شعوب العالم هم " الملاحون القدماء ".. فملاحي الحضارات القديمة بلغوا حداً من العلم والتقنية مكنتهن من رسم سواحل الأمريكيتين بدقة.. أما سواحل القارة القطبية الجنوبية فإن الإتقان الذي رسمت به تعني أحد

أمرين:

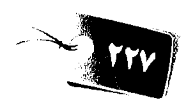
إما أن يكون علماء العصر الحديث قد أخطؤوا في تقدير زمن تراكم الجليد في تلك القارة، أو أن ملاحي ما قبل التاريخ كانت لديهم تقنيات تتيح لهم معرفة الحدود الدقيقة لأراضي يغطيها جليد سمكه ميل على الأقل!!

ورغم أن خريطة الحاجي أحمد يظهر بها بعض الأخطاء في مواقع الشرق والغرب (لعدم استعمال خطوط الطول في ذلك



الوقت) ولكن هذا لايقلل من أهميتها التي تظهرها جملة بأسفلها تقول: " ليس هنالك من خريطة مثل هذه في حيازة أي شخص في العالم".

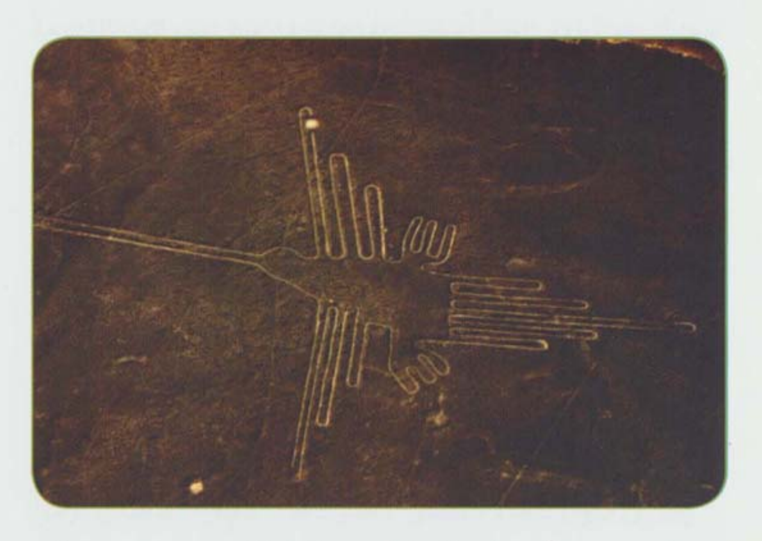
.. من الواضح أن حاجي أحمد كان واثقاً من نفسه تماماً..







ما لم يستطيعوا الطيران



هل سبق ورأيت الخطوط الكهربائية المرسومة على شرائح الأجهزة الإليكترونية ؟

حسناً، توجد في البيرو (خطوط) مماثلة إلا أنها أكبر منها بكثير. وبتعبير أكثر دقة تشغل معظم الساحل الغربي للبيرو. وقد تأخر اكتشاف تلك الخطوط لأن ضخامتها تجعل من يقف فوقها



أو حتى يمر عليها بالسيارة لايظنها إلا أخاديد طبيعية تمتد لعدة أمتار فقط.

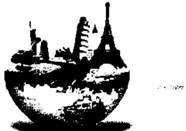
ولكن من يرى تلك الخطوط من طائرة تحلق على ارتفاع عالي يرى المنظر (بأكمله) كرسوم هندسية مستقيمة يظهر في بعض جوانبها رسم لعنكبوت ضخم وطائر غريب وعشرات الأشكال الحيوانية الأخرى - وتذكر هنا أننا نتحدث عن رسوم طولها عشرات الكيلومترات..!!

وحتى عام ١٩٣٩ لم يلاحظ أحد تلك الرسوم حتى بدأ بعض الطيارين يبلغون عن رؤيتها. وتعتبر العالمة الألمانية (ماريا ريشي) أشهر من درس تلك الخطوط الغريبة حيث قامت بتوثيقها وتسجيل أبعادها خوفاً من أن يمحوها تدفق السياح للمنطقة.

وخطوط (نازكا) رسمت بطريقة بسيطة للغاية، فالتربة في تلك المنطقة بيضاء أصلاً يكفي لرسمها إزالة طبقة رقيقة من الحجارة البركانية السوداء.

العجيب في الأمر أن الخطوط تنقطع حين تواجهها عوائق طبيعية - كالجبال - ثم تعود لتستمر على نفس الاستقامة من الجهة الأخرى. أما رسوم الأشكال الحيوانية (المنحنية بطبعها)





فقد نفذت بأبعاد متناسقة يكاد يستحيل تنفيذها على تلك المساحة الشاسعة من الأرض..

وهذا الإنجاز غير العادي دعا بعض العلماء للافتراض أن تلك الخطوط ليست سوى مدارج للسفن الفضائية بنتها مخلوقات أكثر تقدماً (ولكننا نتساءل عن مدى تقدم صواريخ تحتاج لمدرجات يبلغ طولها عدة كيلومترات؟!).

وفي الحقيقة حين سؤلت ماريا ريشي إن كان من الصعب تنفيذ مثل هذا الإنجاز على يد حضارة بدائية أجابت بجرأة " ما لم يستطيعوا الطيران ". ورغم أنها قالت جملتها تلك بشكل تهكمي، إلا أنها عبرت فعلاً عما يجول باستحياء في خاطر كل من درس تلك الخطوط!!

ولكن أحداً لم يجرؤ على تجربة هذه الفكرة حتى عام ١٩٧٥ حين لاحظ مغامر يدعى (بيل سبوهرر) أن الأواني الفخارية لشعب النازكا (الذي عاش قبل الميلاد والمسؤول عن تلك الرسوم) لاحظ أن تلك الأواني محلاّة برسوم لبالونات طائرة تتدلى منها قوارب من قصب.. وشيئاً فشيئاً بدأ بالاقتناع بأن هنود النازكا نجحوا منذ زمن سحيق في " الطيران " باستعمال بالونات الهواء الساخن!!



ومما ساعد سبوهرر على إثبات فرضيته، المهارة العالية في صنع الأقمشة التي يتمتع بها شعب النازكا ؛ فحتى هذه الأيام يمكن للنساء هناك نسج أقمشة يبلغ مجموع الخيوط في الإنش المربع منها (٢٠٥ × ١١٠) - في حين لايزيد مجموع الخيوط في أقمشة البالونات الحديثة عن (١٦٠ × ٩٠) فقط!!

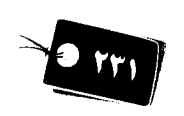
والأعجب من ذلك ؛ أن هنود تلك المنطقة مازالوا يطلقون في احتفالاتهم الدينية بالونات صغيرة تسخن بواسطة الشموع!؟

وكانت أهم خطوة حاول سبوهرر إثباتها هي صنع منطاد من نفس الأقمشة التي يصنعها شعب النازكا وبنفس التصميم الموجود في الرسوم القديمة.

وبعد محاولات عديدة نجح في نوفمبر ١٩٧٥ في الطيران ببالون ساخن (هندي الصنع) تغذيه شعلة من القصب المشبع بالزيت!؟

ورغم أنه أصبح من شبه المؤكد أن خطوط النازكا رسمت بتوجيه من (مسّاحين) معلقين ببالونات ساخنة، إلا أنه مازالت المعضلة الأولى بدون حل...

اقصد.. ما الهدف من رسم تلك الخطوط ؟







قارة الأطلنطيس.. هل وجدت حقاً



في الرابعة والثلاثين من عمره انتخب " أقناتيوس دونيلي " عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي. وعرف عنه شدة ولعه بالمطالعة في مكتبة الكونجرس حتى اعتبر أفضل عضو مثقف دخل مجلس الشيوخ على الإطلاق. وفي عام ١٨٨٣ نشر كتابين رائعين هما " قارة الأطلنطيس " و" عالم ماقبل الطوفان ".. وحاول دونيلي في



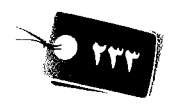
كتابه الأول إثبات وجود قارة غارقة في منتصف المحيط الأطلسي. مستشهداً برواية ذكرها أفلاطون عن أستاذه سقراط الذي نقلها بدوره عن أساطير مصرية قديمة.

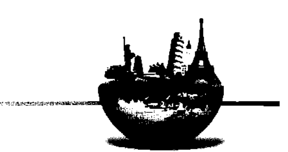
وحسب رواية أفلاطون كانت هناك جزيرة عظيمة خلف أعمدة هرقل (المسمى القديم لجبل طارق) وكان أهلها متفوقين في العلوم والمعرفة، وكانت جميع المجتمعات المتحضرة تعيش هناك حيث صنع الورق واخترعت الكتابة وتطور علم الفلك والزراعة وصنعت مركبات متحركة من أخلاط معدنية متقدمة!!

ولكن حدث في عام (٩٦٠٠ قبل الميلاد) أن غرقت تلك القارة واختفى معها إرث حضاري متقدم تراكم خلال عصور قديمة - عصور أقدم مما نتصور وأعمق مما اكتشفه المنقبون...!

على أي حال ؛ منذ أن سطر دونيلي كتابه عن الأطلانطيس وتلك القارة تلهب عقول الفلاسفة وكُتّاب الخيال العلمي وأُلفت عنها عشرات الكتب والأفلام ولم تنقطع حولها حركة البحث والتأليف.

وكان دونيلي قد افترض أن الأطلنطيس غرقت بعد حادث الطوفان المذكور في الكتب المقدسة في حين يدعي بعض الخياليين أن الأطلنطيس غرقت بعد حرب نووية طاحنة نشبت بين شعوبها المتقدمة...؟!



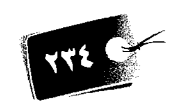


أما علماء الجيولوجيا فيفترضون أن غرق تلك القارة كان بسبب ذوبان ثلوج العصر الجليدي الأخير الذي رفع مياه البحر بمقدار عشرة أمتار - وهذا يتفق تماماً مع التاريخ الذي حدده أفلاطون!!

وفي الحقيقة لم تكن تلك الفرضيات لتشغيل بال العلماء لولا أن دونيلي لفت الأنظار إلى وجود بعض المعضلات التي لايمكن حلها إلا بوجود اتصال قديم بين أوروبا وإفريقيا من جهة، والأمريكيتين من جهة أخرى - وهو الاتصال الذي لايمكن حدوثه بدون وجود قارة تعمل كجسر بين الطرفين.

فمن الملاحظ مثلاً أن هناك تشابهاً كبيراً بين النباتات والحيوانات على جانبي المحيط ووجود تشابه كبير بين الثقافات المختلفة على جانبي الأطلسي. فأهرام المكسيك والجيزة في مصر تبدو وكأنها مأخوذة من أصل واحد. وهناك التشابه في الأساطير القديمة لبلاد اليونان ومصر وجزر الكناري حول وجود كتل من اليابسة في وسط المحيط.. أضف لذلك أن شعوب الأزتيك في المكسيك تعتقد أنها قدمت من جزيرة تدعى (أزتلانس) في المحيط الأطلسي!

ورغم النتائج المخيبة للآمال التي منيت بها بعثات البحث عن بقايا الأطلنطيس، إلا أن سلسلة الجبال الموجودة تحت المحيط



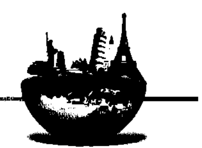
الأطلنطي - والتي لاتزال قممها ظاهرة حتى اليوم كجزر الآزور - لهي دليل مرجح لوجود قارة عتيقة في تلك البقعة في وقت كان منسوب البحر فيه أقل ارتفاعاً مما هو اليوم..

ومن جهة أخرى هناك من يعتقد أن ماذكره أفلاطون ينطبق تماماً على الحضارة المينوسية التي نشأت على جزيرة تييرا ودمرتها البراكين - وعليه يفترض أن تكون القارة المزعومة في البحر المتوسط لا في المحيط الأطلنطي. فإذا حذفنا صفراً من التاريخ الذي حدده أفلاطون فإن ذلك يوافق تماماً تاريخ زوال تلك الجزيرة.. وقد افترض أن بعض بحارة الحضارة المينوسية هربوا لمصر ناقلين معهم أخبار ما حدث في جزيرتهم، ومع مرور الزمن تحول الأمر إلى أسطورة مضخمة عن قارة عظيمة ابتلعها البحر.

ولكن، ورغم أن " النظرية المينوسية " قدمت حلاً وسطاً لمعضلة الأطلنطيس، إلا أن لها أيضاً نقادها وعيوبها الخاصة (...)!

ومهما يكن الأمر، يبدو أن أسطورة الأطلنطيس لن تحسم إلا بمزيد من بعثات التنقيب البحري والرصد الفضائي - خصوصاً أن الآثار التي وجدت في تلك الأنحاء يمكن إعادتها بسهولة لحضارات قديمة عاشت على أرخبيل الآزور...

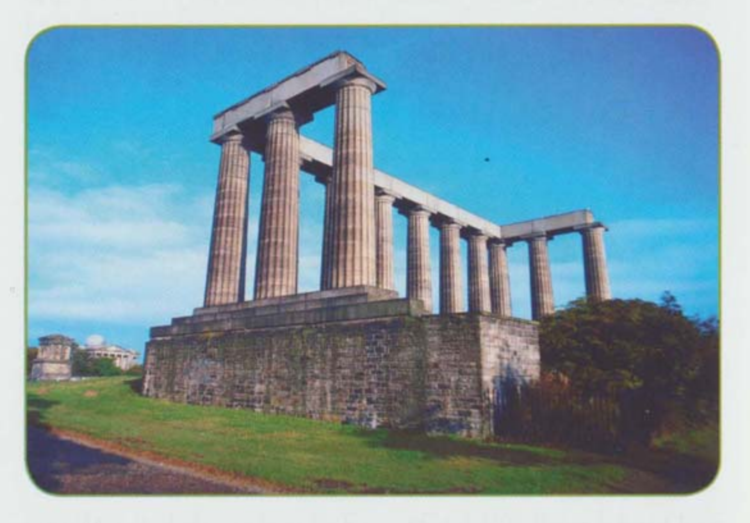




وفي الواقع إن موضوعاً أُلِّف حوله (١٠٠٠) كتاب دون الوصول لرأي نهائي يجعلنا نتساءل إن كانت الأطلنطيس موجودة في رؤوسنا فقط!!

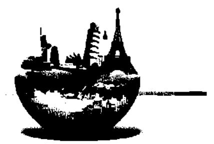
الأساتذة الأوائل





من يقرأ تاريخ الإغريق لايسعه سوى الإعجاب بمآثرهم وإنجازاتهم التي فاقت في عبقريتها أممًا عديدة أتت بعدهم.. فالأفكار الخالدة التي تركها عباقرة من أمثال أرسطو وإفلاطون باقية ببقاء الإنسانية وتبقى محتفظة (بحق الأسبقية) على مر الزمان.





ومايثير دهشتي أكثر هو تمركز العبقرية الإغريقية في بؤرة صغيرة من (الزمان) و(المكان).. فالزمان جيل واحد ظهر فيه عباقرة عظام كسقراط وأرسطو وأفلاطون وأرخميدس وفيثاغورس وإقليدس... والمكان هو أثينا مركز اليونان القديمة التي فيها ظهر هذا العدد من العباقرة كحدث فريد وطفرة فكرية لم تتكرر مرة أخرى.

ولإدراك عظمة ما حدث سأعرض عليك المعادلة التالية:

- تصور أكثر من عشرة عباقرة، من جيل واحد، يعيشون في مدينة لايتجاوز عدد سكانها العشرين ألف نسمة...!

- وفي المقابل يصل سكان العالم اليوم إلى السبعة مليارات ولانملك مفكراً بمستوى أفلاطون أو أرسطو بعد مرور قرون عديدة!؟ وفي الواقع ليس مجالنا اليوم تفسير " الطفرة الإغريقية " بقدر اهتمامنا باستعراض لمحة سريعة عن تلك الحضارة ومقارنة إنجازاتها بمن أتى بعدها!!

ففي عصور إبتليت فيها الإنسانية بالخرافات والأساطير الساذجة حول طبيعة الكون والحياة اعتمد الإغريق على الطرق العلمية والمنطق السليم في البحث والتفسير.. فمن المدهش مثلاً



أن ديموكريت ذكر قبل (٢٤٠٠) سنة أن المادة مكونة من ذرات متحركة متناهية في الصغر - وهي الحقيقة التي اكتشفت في عصرنا الحاضر واقتضى التأكد من صحتها ملايين الدولارات!

وفي وقت مازال فيه "البعض" يشكك في كروية الأرض ومركزية الشمس نجد أن التفكير المنطقي قاد أريستارك قبل (٢٢٣٠) عاماً إلى التعرف على تركيب النظام الشمسي وتوصله إلى أن الشمس في مركز المجموعة وأكبر الجميع - في حين أن هذه المسلمة كانت تؤدي إلى الموت حرقاً من قبل الكنيسة قبل (٣٠٠) عام فقط!

أما هندسة "إقليدس" فما زالت تدرس في مدارسنا المعاصرة دليلاً على صحة المبادئ التي توصل إليها هذا العالم الذي لقب بـ"أبو الرياضيات".. أضف لذلك أن الهندسة التقليدية بمجملها كانت نتيجة جهود مفكرين أمثال فيثاغورس صاحب النظرية المشهورة في المثلثات.

وفي حين لجأت الشعوب المجاورة إلى السحر والشعوذة للتغلب على عوائق الطبيعة نجد الإغريق استعانوا بتقنيات تعتبر متقدمة حتى بمعايير اليوم.. فالإغريق مثلاً أول من استخدم عدسات عملاقة لتركيز أشعة الشمس على أساطيل أعدائهم لإحراقها.. كما أنهم أول من تعرف على طاقة البخار بفضل هيرون الذي صنع





أول آلة بخارية.. أما أرخميدس (صاحب وجدتها، وجدتها) فله إنجازات هندسية راقية - من بينها لولب سحب المياه الذي مازال يستخدم على ضفاف النيل باسم الشادوف!!؟

أضف لكل ذلك أن الفنون الإغريقية أثرت بعمق في الحضارة الرومانية وانتقل تأثيرها إلى الغرب وتبدو بصماتها واضحة حتى اليوم في المعمار والإنشاء والفنون الجميلة. ولاننسى بالطبع أن الفضل في اختراع " المسرح " يعود إلى الإغريق أساساً، كما أن مسرحيات مؤلفين إغريق مثل (أواريستوفات) و(أوريبر) مازالت تعرض حتى اليوم بحماس كبير!!

بقي في النهاية أن أضيف شيئاً طريفاً:

فقد كان من فرط إعجاب طه حسين بالحضارة الإغريقية أنه طالب بتدريس اللغة اليونانية للطلاب المصريين كلغة إضافية.. وغني عن القول أن يونان اليوم غير يونان الأمس وأن اللغة الإنجليزية هذه الأيام حلت محل اليونانية كلغة العلم والمثقفين حول العالم...!!!

المسلمون.. إكتشفوا أمريكا



لم يعد جديداً القول أن بعثات كثيرة اكتشفت أمريكا قبل كريستوفر كولومبوس.. فقبل عشرين ألف عام عبر من نسميهم الآن " الهنود الحمر " الجسر المتجمد الواصل بين سيبيريا وألاسكا، ثم زحفوا نحو الجنوب - حتى أقصى جنوب أمريكا اللاتينية سعياً وراء الدفء والفرائس.





وفي الحقيقة أن "الإستيطان" هو الذي ميز اكتشاف كولومبوس عن غيره؛ أم غير ذلك فقد اكتشف المغاربة السواحل الشرقية لأمريكا اللاتينية (وسنأتي على هذه النقطة بالتفصيل) ووصلت بعثات من الفايكنج والصين ومالي إلى تلك الأصقاع بدون ضجيج يذكر!

وما يهمنا في هذا المقام هو التعريف بالرحلات الاستكشافية التي قام بها المسلمون لقارتي أمريكا قبل كولومبوس بوقت طويل..

فقد ذكر الدكتور كمال النمر في كتابه (أحوال التربية الإسلامية في أمريكا) أن بعض البحارة المسلمين قد انطلقوا من الأندلس (عام ١١٥٠ م) واستقروا على شواطئ ما يعرف الآن بـ "البرازيل"..

وقبل ذلك ذكر المسعودي وأبي حامد الغرناطي أن ثمانية عرب اكتشفوا إحدى الجزر (ويعتقد أنها برمودا) ووجدوا فيها خراف مرة اللحم قبل أن يعودوا إلى المغرب في القرن التاسع الميلادي.. وقد وردت سيرة هؤلاء المغامرين - وهم أبناء عمومة - في كتابات كراتشكوفسكي وتم التحقق منها عام ١٩٥٢ في قسم الجغرافية في جامعة ويتواتر البرازيلية.

وفي مكتبة الأسكوريال في إسبانيا توجد خريطة رسمها الجغرافي المسلم ابن الزيات للسواحل الشرقية للأمريكيتين كدليل على اكتشاف المسلمين للأراضي الجديدة قبل كولومبوس بعدة قرون.



وفي عقد الثمانينات اكتشفت آثار وكتابات إسلامية (من بينها لا إله إلا الله) على صخور في ولايتي نيومكسيكو وأريزونا يعود عمرها لما قبل الاستيطان الأبيض في أمريكا...

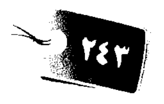
ومن المعروف أن كولومبوس استعان في رحلته الشهيرة بمرشد مسلم ؛ وأن المستكشف الإسباني فراماركوس دينيز استعان بمرشد مغربي اسمه " اسطفان " قتل عام ١٥٣٩ في نيومكسيكو بسهم أطلقه عليه الهنود الحمر...!

وقبل ذلك كان العربي اسطفان (وهو بالمناسبة من قرية أزمور المجاورة للدار البيضاء) كان قد اكتشف فلوريدا ضمن حملة بانفيلودي نارفيز واستوطن أريزونا، وكان أحد أول ثلاثة أفراد عبروا القارة الأمريكية...

ووجدت تقارير تعود لعام ١٧٩٠ عن مغاربة مسلمين هاجروا من إسبانيا - زمن الاضطهاد - واستوطنوا جنوب كاليفورنيا وفلوريدا.

وقد قام ملك مالي المسلم " أبو بكر " بسلسلة من الرحلات الاستكشافية إلى الأمريكيتين، وفي عام ١٣١٢ تمكنت إحدى بعثاته من الدخول لعمق أمريكا الشمالية عبر نهر المسيسيبي!!

وفي عام ١٥١٣ رسم القبطان المسلم " الحاجي أحمد " (أو





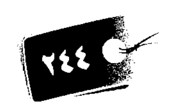
بيري الريس كما يدعى في الغرب) خريطة لسواحل الأمريكيتين في الوقت الذي كان كولومبوس يعتقد أنه اكتشف الهند ولم يتجاوز جزر الكاريبي - (وقد تحدثنا عن هذه الخريطة في مقال سابق يدعى الخريطة اللغز!)

وفي عام ١١٧٨ م قدمت لامبراطور الصين تقارير جغرافية - تدعى حالياً "وثيقة سنج" - جاء فيها أن البحارة المسلمين اكتشفوا أراض جديدة تدعى مولان بي (أي أمريكا) - ومازالت هذه المعلومة مذكورة في كتاب أمراء كوتان الذي كتب عام ١٩٢٣ م.

وفي الواقع حتى وإن استثنينا جهود المسلمين المبكرة في (الاستكشاف الجغرافي) تبقى هناك شواهد عديدة على وصول "الإسلام" إلى الولايات المتحدة مع بداية نشأتها كدولة:

فالرقيق الذين انتزعوا من إفريقيا كانت نسبة المسلمين فيهم (٣٠ ٪) - بمعنى أن ثلاثة ملايين مسلم على الأقل انتقلوا إلى أمريكا قبل (٤٦٥) عاماً!!

وقبل (١٨٨) عاماً نال الإفريقي المسلم (يارو ماموت) حريته وأصبح فيما بعد أحد المؤسسين الرئيسيين لبنك كولومبيا (ثاني بنك يؤسس في أمريكا).. وقد اشتهر ماموت - ويعني أحمد - بأنه



عمّر إلى (١٢٨) عاماً وله رسم مهيب في المكتبة العامة بواشنطن!

وفي عام ١٨٠٩ عين الحاج عمر بن سعيد حاكماً لولاية كارولينا الشمالية (أي قبل ١٨٨ سنة)* كأول مسلم يصل لذلك المنصب.

وفي عام ١٨٢٨ تدخل الرئيس الأمريكي جون آدمز بنفسه لعتق المولى (عبد الرحمن إبراهيم سوري) لأخلاقه الفاضلة والتفاف عدد كبير من الأرقاء حوله حتى سمي بأمير العبيد - وله صورة في مكتبة الكونجرس.

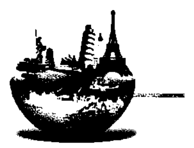
وفي عام ١٨٥٦ (أي قبل ١٤١ عاماً) إستعان سلاح الفرسان بأمريكي مسلم يدعى (الحاج علي) لدراسة إمكانية استخدام الجمال كوسيلة للتنقل في ولايات الجنوب الصحراوية!!

وفي عام ١٨٨٩ (أي قبل ١٠٨ سنوات) اعتنق عالم الاجتماع الشهير "إدوارد بلايدن" الإسلام وطاف معظم الولايات الأمريكية لإظهار محاسن هذا الدين...

ومنذ عام ١٨٩٣ (أي قبل ١٠٤ عاماً) تأسست حركة دعوية على يد الأمريكي محمد روسيل ويب الذي يعتبر من أوائل المسلمين البيض...

* لاحظ أن التواريخ التي ذكرت اعتمدت على تاريخ كتابة المقال (١٩٩٧م).





وفي عام ١٩٠٨ وصلت أعداد كبيرة من المسلمين إلى الولايات المتحدة بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية - وكانوا في الغالب من لبنان وسوريا وتركيا وألبانيا...

وفي عام ١٩١٣ أسس المعلم المسلم (تايموثي دور) تنظيماً إسلامياً في نيوجرسي يدعى " هيكل العلوم " - وكان دور قد كلف من قبل سلطان المغرب لتعليم السود الإسلام!

وفي عام ١٩١٥ قام مسلم لبناني ببناء أول مسجد في ولاية مين، وفي عام ١٩١٩ تمكن من تأسيس (أول جمعية) رسمية في الولايات المتحدة في كونيكيت...

... وفي الواقع أن من يقارن تواريخ الأحداث السابقة بالعمر الحديث لأمريكا يرى بوضوح كيف كان للمستكشفين العرب، والأفارقة المسلمين دور كبير في إنشاء تلك القارة ومعرفتها قبل غيرهم من الشعوب!!

إذاً يمكن القول أن كولمبس كان آخر (وليس أول) من أكتشف أمريكا.. وفي المقابل من ينكر أن سعينا لاكتشاف تلك القارة بدأ حين خاض عقبة بن نافع بفرسه مياه الأطلسي قائلاً " لو أعلم أن وراءك أرضاً لغزوتها في سبيل اللّه "...



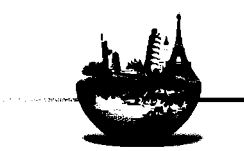
شواهد الطوفان



من المدهش حقاً أن قصة الطوفان منتشرة لدى معظم الأمم حول العالم ؛ فمن القبائل البدائية في أستراليا إلى هنود التشيبيوا في ألاسكا نجد من الشواهد المشتركة مايؤكد صحة الحدث!!

ورغم الاختلافات البسيطة في الأساطير التي تدور حول قصة الطوفان ؛ إلا أننا نستطيع تمييز بعض العناصر المشتركة - والتي تتلخص بالشكل بالتالي:





وجود مؤسس أو قائد يحذر الناس من كارثة على وشك الوقوع.

لا يلقي الناس بالاً لذلك التحذير!

تظهر بعض العلامات والاضطرابات الكونية التي يتلوها الطوفان.

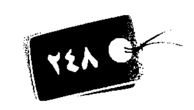
يهرب المؤسس أو القائد مع أتباعه على ظهر سفينة أو يصعد إلى جبل - وإن كان الهرب بواسطة السفينة فإنه يرسل بعض الطيور للتأكد من أن الطوفان انتهى..

وفي الغالب ترسو السفينة على جبل عال ثم تبدأ السلالة بالانتشار.

ورغم أن بعض العلماء حاولوا العودة بتلك الأساطير إلى الذوبان الهائل للثلوج في نهاية العصر الجليدي الحديث (قبل ١٢,٠٠٠ سنة) إلا أن هناك شواهد لايمكن تفسيرها بغير وقوع الطوفان فعلاً - ومن ذلك:

» الأساطير المشتركة بين جماعات بشرية متفرقة؛ فهناك أخبار عن حدوث الطوفان في (٨٣) مكان حول العالم..!

» وجود الأصداف وعظام الحيتان في رؤوس الجبال والمناطق البرية - وهذا لا يعني بالضرورة أن تلك المناطق كانت جزءاً من البحر في الماضي كما يدعي بعض علماء الجيلوجيا!



» إعتراف علماء الأحياء بحصول (كارثة) مفاجئة أبادت معظم الكائنات الأرضية الضخمة ؛ كالديناصورات والماموث..!

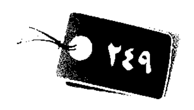
» واستطراداً للنقطة السابقة نقول إن هناك أمراً غير عادي حدث للأرض أدى إلى هلاك أربعين مليوناً من الأمم، وانقراض ثلاثة أخماس الحيوانات اللبونة، وتراكم أعداد هائلة من جثث البشر والحيوانات في طبقات عجيبة في وادي يوكون...

» وثبت بما لايقبل الشك أن منسوب البحار ارتفع فجأة في أحد التواريخ القديمة. وقد أثبت العالم سيزار إيملياني أن تحليل الرواسب في خليج المكسيك أظهر ارتفاعاً سريعاً في سطح الماء زاد عن عشرة أمتار...

» وفي مناطق المنخفضات حول العالم تبدو آثار الاصطخاب والجيشان الذي سببته الطوفانات السريعة المصحوبة بانجرافات جليدية أغرقت مناطق السكان الخصبة!

ومن خلال قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ (هود: ٤٤) نعلم أن سفينة نوح رست على جبل يدعى الجودي ذكر معظم المفسرين أنه جبل ضخم في موقع بقرب الموصل في العراق. وعن سفينة نوح قال المصطفى ﷺ "* لقد بقي منها - من السفينة - شيء أدركه أوائل هذه الأمة" ...

* رواه أبو يعلى في مسنده، وابن السني -وضعفه السيوطي ..





أما الأساطير العبرية فتذكر أن سفينة نوح رست على جبل "أرارات" في تركيا، بينما تذكر الكتابات البابلية أن الجبل المذكور لم يكن غير جبل " نيسير " الذي يتميز بمنحدراته الثلجية الحادة.

وبناءً على ماتوفر من معلومات قامت محاولات جادة للبحث عن تلك السفينة.. وأنا شخصياً أذكر قصة الحملة الاستكشافية التي قام بها رائد فضاء أمريكي سابق (كأحدث محاولة من هذا النوع) لتسلق جبل أرارات. وبعد محاولات شاقة إنتهت الحملة بجلب لوح من الخشب المتحجر لإثبات صحة إدعائه برؤية السفينة!!

وفي ذلك الوقت فهمت أنها المرة الأولى التي يقوم بها شخص ما بتلك المحاولة.. ولكن يبدو أن أول محاولة تمت قبل ذلك بـ (٢٤٥٠) عام. فالمخطوطات الكلدانية تشير إلى أن مجموعة من الكهنة تسلقوا جبل نيسير - وهذا أمر غريب بحد ذاته لأن ذلك ذلك الجبل يرتفع لأكثر من (٥٠٠٠) متراً حيث يفقد الأوكسجين ويتميز بمنحدراته الحادة وثلوجه الكثيفة - ومع ذلك وصل الكلدانيون لقمته ورأوا السفينة وأخذوا يكشطون ألواحها ويطلونها بالقار!!؟

وإن صحت تلك القصة فإن المحاولة الثانية تمت بعد ذلك بـ (٢٢٢٩) سنة على الأقل ؛ ففي عام ١٨٢٩ نجح العالم الروسي فردرك باروت في الوصول لقمة الجبل والبحث عن آثار تلك السفينة. ورغم أن باروت لم يعد بدليل قوي إلا أنه صرح أن قمة الجبل الواسعة تناسب تماماً رسو سفينة بذلك الحجم!

وتلت تلك المحاولة محاولات مكثفة منها ما تم عام ١٨٧٦ حين جلب اللورد برايس قطعة من الخشب الصلد ادعى انها جزء من السفينة التي وجدت على ارتفاع (٣٩٠٠) متراً. وفي عام ١٨٩٢ إدعى أحد المطارنة النسطوريين أنه رأى سفينة نوح فوق جبل أرارات وقال أنها مصنوعة من الخشب الأحمر السميك. وفي عام ١٩٥٣ جلب أحد الأمريكيين ثلاثة صور لسفينة متآكلة ادعى أنها سفينة نوح.

وفي عام ١٩٥٥ ادعى المستكشف الفرنسي فرنارد نافارا أنه رأى السفينة مرأى العين، وكي يثبت صحة ادعائه قام بحملة أخرى عام ١٩٦٩ وجلب قطعًا من الخشب المتحجر الذي أثبت فحصها بالكربون المشع أنه تعود لعام (٣٠٠٠) قبل الميلاد!

.. وفي الحقيقة لا يتسع المقال لسرد جميع المحاولات التي تمت لاكتشاف سفينة نوح.. ولكن من الواضح أننا لو آمنا بصحة جميع العينات التي أخذت منها لما توقعنا بقاء شيء من خشبها!!؟




أنت في
المستقبل





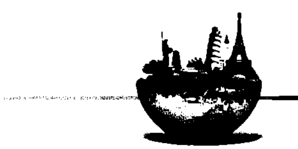
استشفاف المستقبل



توجد في الولايات المتحدة أكثر من خمسمائة كلية وجامعة تدرس مناهج "التنبؤ بأحداث المستقبل" وهذا العلم - إن جاز تسميته كذلك - هو وليد شعورنا بالخوف مما قد يأتي به الغيب ورغبتنا في معرفة المجهول.

والفكرة بسيطة مبدئياً؛ فمن خلال دراسة وتحليل الحاضر





نستشف احتمالات المستقبل. ففي لعبة الشطرنج مثلاً تستطيع بسهولة وضع احتمالات الخطوة التالية لمنافسك. أما فيما يتعلق بالخطوات الأبعد فالاحتمالات تتشعب والتوافيق تتقاطع بحيث يزداد الأمر صعوبة.. ولكن خبرتك السابقة بأسلوك غريمك، واستعمالك "حاسبات آلية متقدمة" واستعانتك بقوائم الاحتمالات التي وضعها خبراء الرياضيات.. كل ذلك قد يساعدك في بناء توقعات إيجابية لما سيفعله غريمك بعد (كذا) مرحلة...

وأول من بدأ تدريس مناهج استشفاف المستقبل كلية الدراسات الاجتماعية بجامعة نيويورك. وخلال سنتين فقط أصبح هناك أكثر من مائتي جامعة تتبنى هذا العلم الوليد وتضع أسسه الأولى؛ وأصبح من رواده الآن جامعات مرموقة مثل برنستون وبيل ومنسوتا.

ومن الوسائل المعينة على التنبؤ بالمستقبل جداول الاحتمالات والمتتاليات الرياضية، واستطلاع آراء "الأجيال القادمة" وتغذية الحاسبات العملاقة بالبيانات الأساسية. وكذلك الاهتمام بالأبحاث الميدانية ودراسة المؤثرات التي قد تشكل حياة وآراء الناس بعد جيل أو جيلين!!

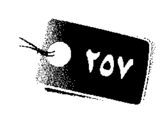
وغني عن القول أن لكل مجال وضعه الخاص.. فالتنبؤ بالوضع السياسي والاقتصادي أو حتى الاجتماعي لبلد ما، يتطلب وضع

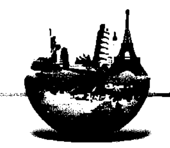


(خطة عمل) تتناسب وطبيعة كل مجال - ولكن هذا لا يعني أن تلك الخطط لا تتضمن عناصر مشتركة تعتبر أساس الدراسة في تلك الجامعات.. وبمثل هذه المناهج استطاعت مثلاً كلية "اليس لويد" في ولاية كنتاكي وضع صورة للمشاكل الأسرية التي تنتظر الأسر في القرن المستقبل. كما استطاعت جامعة "كورنيل" رسم صورة للمستقبل الاجتماعي والتأثير السياسي للأقليات العرقية في أمريكا...

وبالطبع اهتمت دوائر المخابرات الأمريكية بهذا العلم العجيب للتكهن بمجرى الأحداث حول العالم. كما شاركها في ذلك الأحزاب السياسية والشركات التي تريد معرفة اتجاهات الاستهلاك في المستقبل .

الجانب الطريف في هذا الموضوع أن بعض مؤسسي هذا العلم (وفي سعيهم الحثيث للبحث عن كل ما من شأنه التنبؤ بالمستقبل) درسوا حتى الطرق التي يستعين بها المنجمون لتقييم صحتها ومصداقية نتائجها. وهذا الامر بحد ذاته أعطى للعرافين دفعة (ثانية) لتعزيز مكانتهم في تلك البلاد - (الدفعة الأولى حدثت حين استعانت بهم نانسي ريجن لتقرير خطوات زوجها السياسية). وبنفس العزم التفت عرابوا المستقبل إلى دراسة "الحاسة السادسة"





لدى من يدعون القدرة على الاستبصار وقراءة الأفكار.

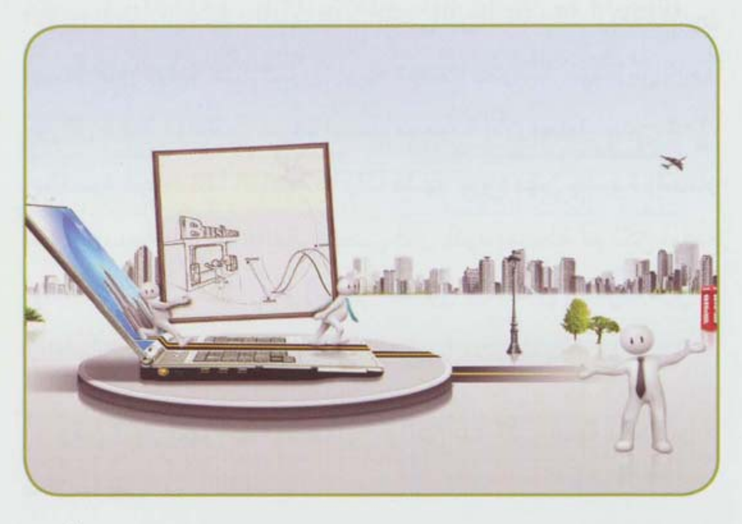
فحسب ما ذكره الدكتور "ريجيس ريزمان" - وهو أشهر خبير في هذا المجال - أن البنتاجون مول أبحاثاً للاستبصار وقراءة الأفكار بهدف كشف الصواريخ، وفك الشفرات، وقراءة أفكار السياسيين والقادة.

ومن المعروف الآن أن إحدى التجارب السرية التي قام بها رائد الفضاء "ادجار ميتشيل" كانت حول التخاطر الذهني وإرسال الأفكار للأرض أثناء وجوده في مركبة " أبوللو ١٤"...



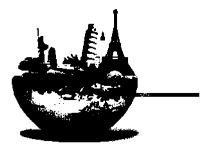


مهن المستقبل



لو عاد بنا الزمن إلى بداية ظهور الإنسان على وجه الأرض لوجدناه يمارس مهنة واحدة فقط هي (الالتقاط) ؛ إذ كان يكفيه في ذلك الوقت أن يحني ظهره ويمد يده ليأكل من خيرات الأرض... ثم تطور الوضع وأصبح الصيد المهنة الثانية ثم أصبح الرعي الثالثة والزراعة الرابعة وتطورت المهن وتعددت حتى أصبح متوسط عددها في بعض الدول الصناعية (٣٠) ألفاً و(٥٥٩) مهنة!!





وبالطبع يجب أن لا نتوقع ثبات تلك الأعداد ؛ فالمهن كفقاعات الماء المغلي كلما اندثرت واحدة حلت مكانها اثنتين أو ثلاثة لمواكبة الاحتياجات المستجدة والتقنيات المستحدثة. وعلى هذا نتوقع أن يحمل لنا المستقبل مهنا ووظائف لم تعرف من قبل كما سيشهد اختفاء أخرى عريقة. وطبقاً لتقرير (FAST) الذي أعده خبراء المجموعة الأوروبية فإن التقنيات الجديدة ستفضي إلى استحداث أربعة ملايين وظيفة قبل نهاية هذا القرن.. وفي مجتمع كفرنسا سيمارس واحدٌ من كل أربعة مواطنين حرفة ليست موجودة الآن بحلول عام ٢٠٢٠. وبالنسبة لمجتمعاتنا النامية ما زلنا نشهد بزوغ مهن جديدة واندثار أخرى قديمة بسرعة بالغة.. فحتى قبل فترة بسيطة لم نكن نسمع بوظائف تدعى (محلل) أو (خبير تنسيق) وبالمقابل اندثرت مهن كـ (الخرازة) و(صيد اللؤلؤ) و(بناء السفن).

ومن أبرز المهن في المستقبل - والتي بدأ كثير منها بالظهور - فعلاً ما يلي:

» مهندسوا WWW. : وهم اختصاصيون في إقامة نظم المعلومات العالمية وستكون مهمتهم تنسيق وتخطيط التنظيم الخاص بكل مجتمع أو مشروع متعدد الأطراف.

» صانع المعرفة: وهو مزيج من خبير حاسب آلي ومتخصص في توظيف فروع المعرفة لخدمة المجتمع.



» خبير ومبدع صناعي: وهو شخص ذكي للغاية مهمته استشفاف حاجة المستهلك لابتكار منتوجات وماركات جديدة لتوجيه الصناعة إلى وجهتها الأكثر ربحية.

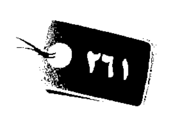
» مهندس اتصال: أصبح الضوء أفضل وسيلة لنقل المعلومات والفضاء هو الميدان الواسع للاتصالات.. وهذا المجال يتطلب خبراء لهم دراية شاملة بشتى أنواع الاتصالات الإلكترونية.

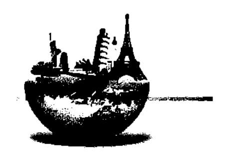
» اختصاصي أغذية حيوية: إذ ستظهر مراكز للتغذية خاصة بتنمية الملكات الذهنية مثل زيادة الذكاء وتقوية الذاكرة ومنع الغضب... إلخ.

» وسيشهد القرن المقبل ظهور ميكانيكيين متخصصين في هندسة سيارات المستقبل التي ستكون خليطاً بين الكهرباء وطاقة الهيدروجين.

» وخلال العقود القليلة ستظهر الحاجة إلى وجود نوعية جديدة من المهندسين الزراعيين المتخصصين في زراعة قيعان البحار.

» ومن البحر أيضاً سنحتاج لخبراء قادرين على استخلاص المعادن الذائبة في المياه بكميات ضئيلة (فعلى سبيل المثال توجد في مياه المحيطات ٤٠ ألف طن من الذهب يصعب استخلاصها حالياً).





» أضف لذلك هناك حرفة ستكون أم المهن في المستقبل وهي (صانع أو مبرمج إنسان آلي) فالروبوت سيحل محل كثير من العمال في المصانع وسيؤدي أعمالاً بكفاءة تعجز عنها قدرة الإنسان العادي.. ولكن هذا لا يعني بالضرورة ازدياد معدلات البطالة - خصوصاً إذا أمكن توظيف كثير من العمال المتضررين في صنع الروبوتات نفسها!!



إنجازات القرن القادم



طبعاً من المفروض أن أكتب مقالاً كل يوم، وهذا أمر سهل بالنسبة لي.. فكثيرًا ما تسبقني الأفكار فاجد نفسي في حالة مخاض عاجل لكتابة مقال أو مقالين. ولكن اليوم (أقصد في ذلك اليوم) شعرت بكسل ذهني عجيب خشيت أن يكون بداية لنوبه من التلبد الفكري الذي أمر به بين فترة وأخرى وقد تستغرق أسبوعين. وأهم عارض



لهذه الحالة هو الجلوس للكمبيوتر والرأس فارغ من أي فكرة، وهو أمر يدفعني في النهاية لإغلاق الجهاز ومغادرة المنزل!!

على أي حال كاد هذا يحصل معي (الآن) لولا أنني أملت الكرسي للخلف وبدأت في قراءة آخر مقال نشر في هذه الزاوية وكان بعنوان "الطب في الربع الأول" - وهو مقال ستجده في هذا الفصل!

والربع الأول هنا أعني به الخمسة والعشرين سنة الأولى من قرننا الحالي والإنجازات الطبية المدهشة التي ستظهر فيه.. عندها خطرت ببالي هذه الفكرة:

لماذا الطب فقط.. لماذا لا نتحدث عن أبرز (الإنجازات العلمية) المتوقع ظهورها خلال هذه الفترة!؟

عندها أملت الكرسي (للأمام هذه المرة) فتدفقت الأفكار لمقدمة الجمجمة وبدأت بتسطير كل ما لا يمت للطب بصلة:

- فبعد عام ٢٠٢٤ ستبدأ الطائرات الفضائية بالظهور.. وهذه الطائرات ذات نوعية جديدة تبدأ رحلاتها بالارتفاع أولاً للفضاء الخارجي حيث لا شيء يعيق انطلاقها ويصبح بإمكانها الانعطاف بزاوية حادة (للجانب الآخر من الأرض) بشكل يقرب المسافات ويختصر الزمن!!



- ولن ينتهي عام ٢٠١٧ قبل أن تنتشر في منازلنا شاشات تلفزيونية ذات الأبعاد الثلاثية ويتم استقبال البرامج الفضائية مباشرة بدون الحاجة لصفائح "القبب المقلوبة"!!

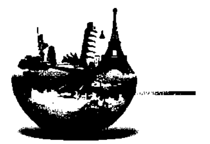
- وخلال أعوام قليلة سينتهي عصر الجرائد الورقية نهائياً وستغزوا بيوتنا الجرائد الألكترونية وسيكون بإمكان أي فرد قراءة ما يرغب وقتما يرغب والتجول عبر وسائل الاتصالات حول العالم للبحث عن الأخبار والتقارير.

- والرحلات للفضاء الخارجي ستعاود نشاطها من جديد، وسيتم إرسال مسابير لاستكشاف ما وراء مجموعتنا الشمسية.. ورغم ان الولايات المتحدة ستبقى اللاعب الأساسي، إلا أن دولاً أخرى ستشاركها هذا المجال مثل فرنسا واليابان والصين في حين سيكتفى الروس بالدوران حول الأرض!!

- وخلال هذا القرن ستقدم الهندسة الجينية محاصيل ذات وفرة نوعية ممتازة، ويصبح بالإمكان تهجين أنواع من الحبوب تسقى بماء البحر!

- وقبل نهاية الربع الأول من القرن الحالي سيصل العلماء إلى ما حلموا به طويلاً: الموصل المثالي أو الفائق.. وهذا الموصل مادة





فريدة توصل التيار الكهربائي بدون أي فقد أو مقاومه. واكتشاف هذه المادة سيبشر بظهور العديد من الأجهزة المتقدمة أبرز مميزاتها الاقتصاد في الطاقة والسرعة بالعمل والحجم الصغير!!

- أما القطارات التي تسير على وسائد مغناطيسية فستظهر للاستخدام العام في معظم الدول .. وهي موجودة حالياً في فرنسا واليابان وألمانيا واستبدلت فيها العجلات بالقوى المغناطيسية لرفعها والسير بها بسرعة تتجاوز الـ (٥٥٠) كيلو متر بالساعة.

- وبعد أن استعملت الروبوتات في كثير من الصناعات ستظهر روبوتات لمكافحة الحرائق والكوارث الصناعية قبل عام (٢٠٢٠).. أما روبوتات الخدمة المنزلية فقد تتأخر قليلاً ولن تستخدم بشكل عملي قبل عام ٢٠٢٥!!

- كما سيقل الاعتماد على البترول والفحم وستكون الطاقة المتجددة (من الشمس والرياح والأمواج وحرارة الأرض) هي المزود الأكبر للطاقة. أما عن الطاقة الهيدروجينية (كالتي تحدث في الشمس والتي سيكون وقودها الماء) فستبقى قريبة/ بعيدة المنال ما لم يحدث (بالمصادفة) اكتشاف ثوري يعين على استغلالها..



- أيضاً ستظهر كمبيوترات الجيل الخامس قبل عام ٢٠٢٥ وستتميز بقدرتها على التفكير التلقائي وتعاملها الأوتوماتي مع المتغيرات وسرعتها الخارقة، كما أنها ستتعلم من التجارب - كالطفل الصغير- ولن تتجاوز في حجمها ساعة المعصم وسيتم التعامل معها صوتياً!!

- وحالياً هناك أبحاث حول كمبيوترات "تقرأ" الأفكار الإنسانية عن طريق استشعار التغيرات الكهرومغناطيسية التي يحدثها التفكير في المخ ويتوقع الانتهاء من تطويرها عام (٢٠١٧) وقد تتوفر في أسواقنا عام (٢٠٢٠)!

ورغم كل تلك الإنجازات المدهشة يبقى ظهور (مفهوم جديد للأمية) هو أبرز إنجازات المستقبل... فقبل عقدين مضت كان "الأمي" هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، أما اليوم فالشخص الأمي هوالعاجز عن التعامل مع الكمبيوتر ونظم المعلومات العصرية..

ولعل الصورة في عالمنا العربي لم تتضح بشكل جلي؛ ولكن في دول مثل اليابان وأمريكا وأوروبا لا يمكن تصور مثقف أو موظف أو حتى مسؤول أمن - لا يستعمل الكمبيوتر، كما من الصعب أن تجد





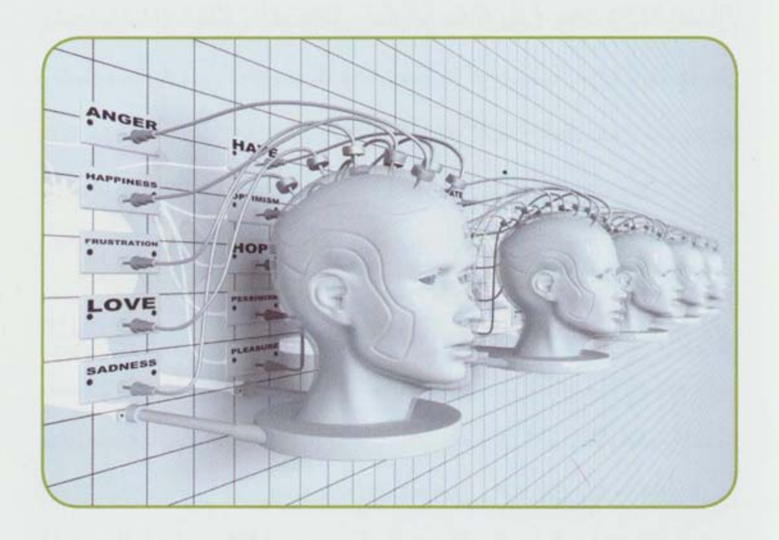
طالب علم لا يعرف كيف يستفيد من شبكة الانترنت أو الفهارس والقواميس الإلكترونية!

أما الأمية بمعناها القديم فقد اختفت تقريباً في أوروبا وأمريكا حيث نسبة المتعلمين تزيد عن ٩٥٪، أما في اليابان فترتفع نسبة التعليم إلى ١٠٠٪ كأول أمة في التاريخ تحقق هذا الإنجاز الفذ!!





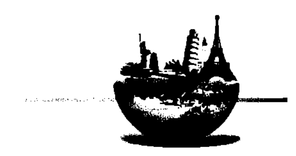
ملامحك في المستقبل



ماذا تلاحظ حين تطلع على صورة أي إنسان أخذت في طفولته الأولى؟

من المتوقع أنك ستخرج ببعض الملامح والقسمات المشتركة مهما تقدم به العمر.. وهذا يعني من جهة أخرى إثبات أن في





الإنسان ملامح ثابتة وأساسية تخلق معه فور ولادته وتستمر معه حتى وفاته!؟

وهذه الحقيقة شعر بها "الرسامون" منذ القدم فتفننوا في تكبير وتصغير أعمار المتعاملين معهم.. وأنا شخصياً اطلعت على رسم مشترك للملكي المستقبل (وليام وكاثرين) وقد تعمد الفنان إظهارهما في سن الشيخوخة وهما يحييا الجماهير من شرفة قصر باكنجهام.. وفي الحقيقة لم يكن بالإمكان إنكار العناصر المميزة في ملامحهما، إلا أنهما - بطريقة ما - بديا في سن الشيخوخة!!

وبعيداً عن الفن عمد مبرمجوا الكمبيوتر بالتعاون مع أطباء التجميل إلى ابتكار برامج مصورة تزودهم بملامح مقربة لأي إنسان في سنوات عمره المختلفة. وهذا البرنامج بالإضافة إلى مساعدته الجراحين في أداء أعمالهم مفيد أيضاً لأولئك الذين تشكل ملامحهم أهمية كبرى في نجاحهم المستقبلي - كالفنانين والمرشحين للانتخابات....!

أضف لكل ذلك أن برامج "التنبؤ بملامح المستقبل " أثبتت أهميتها لأقسام المباحث والشرطة في تحديد ملامح الأطفال المخطوفين أو الهاربين منذ سنوات عديدة!

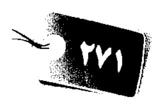
وقد قامت إحدى المؤسسات البرمجية بتلقيم الكمبيوتر بصور

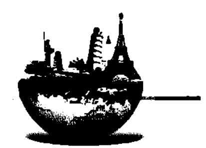


نموذجية لأشخاص من جميع الدول الأوروبية للخروج بوجه أوروبي "نموذجي" يتناسب مع الامتزاج المتوقع لتلك الشعوب في ظل "أوروبا الموحدة"!

وحرصاً على مزيد من الدقة أخذت نماذج الوجوه حسب النسبة العددية لكل شعب (بل وأخذت نماذج للوجوه الزنجية والمغولية التي تعيش في أوروبا الآن) واتضح بناءً عليه أن الوجه الأوروبي النموذجي يضم ٧٪ من القسمات الألمانية، و٦٪ للبريطانية، ٦,٢٪ للفرنسية، ونسبة أقل للشعوب الأخرى والأقليات الوافدة. وفي النهاية كان الوجه الذي تنبأ به الكمبيوتر يتميز بأنف معتدل وشعر أشعث يميل للاصفرار، وفكين عريضين، وعيون متوسطة الاتساع - وإن كانت لك ميول كروية أذكرك باللاعب الإنجليزي بيكهام الأكثر شبهاً بتلك الملامح.

وبعيداً عن محاولة الفنانين ومبرمجي الكمبيوتر يمكن من وجهة نظر علمية رسم ملامح الجنين من خلال دراسة الخريطة الوراثية للوالدين.. وعليه يمكن لهذين الوالدين اختيار الملامح الشخصية والجسدية للطفل المتوقع؛ فقد أصبح بالإمكان معملياً ترتيب وتحسين الجينات الوراثية التي تحمل الصفات الوراثية للبشر (ويبلغ عددها أكثر من ١٠٠،٠٠٠ جين) بحيث نتوقع مستقبلاً إمكانية انتقاء الأطفال قبل ولادتهم!





وإذا أمكن رسم خريطة كاملة لتشعبات وتداخلات تلك الجينات يصبح من السهل رسم صورة للطفل في مراحل عمره المختلفة حتى سن الشيخوخة - بل والتنبؤ بالصفات الشخصية ذات الأصل الوراثي.. وبصورة أبسط نقول: في حالة إن كان للأم عينين زرقاوتين، وللأب عيون بنيه؛ فمن المتوقع أن يكون للجنين القادم عيني الأب لأن جينات العيون البينة أقوى من غيرها..

ومن خلال المزج بين مجمل ملامح الوالدين، ودراسة التاريخ المرضى لعائلتيهما وكل ماله علاقة بالعوامل الوراثية المؤثرة يمكن الخروج بتصور مقبول لـ (خليفة) أو (سليل) أو (ملك) أو (وريث) المستقبل!!؟

... ولعلك أدركت عزيزي القارئ أن وضع تلك "الصفات" بين أقواس إشارة إلى أن هذا الأمر قد لا يهم إلا المشاهير...!



البكتيريا غذاؤك غداً



يُذكر عن شارل ديجول أنه قال في لحظة تذمر "كيف تحكم شعباً يتناول ٢٤٠ نوعاً من الجبن".. وإن سلمنا جدلاً بصعوبة حكم الشعب الفرنسي (!) فلا يمكننا أبداً التأكد من عدد الجبن الذي يصنعه ؛ فهذه المعضلة لم يحلها الفرنسيون أنفسهم؛ فهناك جدل دائم حول صحة العدد الذي ذكره ديجول؛ فمنهم من يعتبره





مبالغا وآخرون يدعون أن العدد الصحيح يصل إلى ٣٦٠ نوعاً - أي بإمكانك تناول نوع مختلف من الجبن طوال أيام السنة!!

ما يهمنا هنا هو التذكير بأن مهارتنا في صنع أنواع مختلفة من الأطعمة تعود في كثير منها إلى قدرتنا على استغلال الأنواع الحميدة من الميكروبات؛ فمهارة الفرنسيين في إنتاج أنواع متعددة من الجبن يعود أساساً إلى الأساليب المتنوعة التي تعمد إليها المقاطعات الفرنسية في مدة ونوعية التخزين الأمر الذي يؤدي إلى تنوعات واسعة في كمية ونوعية البكتيريا التي "تعشعش" داخل تلك الأجبان! ؟

على أي حال ليس جديداً ما يلجأ إليه القوم؛ فمنذ قرون والإنسان يستعمل الميكروبات في صنع طعامه.. ومثال ذلك خميرة الخبز والألبان والأجبان والكحول والخل والمربيات.. بل إن في فم الإنسان ومعدته ميكروبات تساعد على تحلل جزئيات الطعام، وفي أمعائه الدقيقة أنواع أخرى تساعد على امتصاص الفيتامينات وتكسير الكربوهيدرات. ولا ننسى أن إنتاج كثير من الأدوية والمضادات الحيوية يعتمد في فكرته على استغلال الميكروبات وتحفيز قدراتها. أضف إلى كل ذلك أن العديد من الميكروبات التي لا تنفع ولا تضر تتخذ من الإنسان موطناً لها وتبدو صديقه أكثر منها عدوه!



أما التفكير في استغلال الميكروبات لإنتاج الطعام والعلف فيعود إلى تمتع البكتيريا بثلاثة مزايا رئيسية:

» الميزة الأولى قدرتها على التكاثر لحدود خيالية في وقت قياسي.

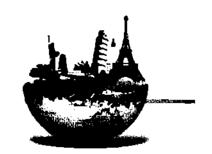
» والثانية أنه بإمكانها التغذي على (أي شيء) تقريباً بما في ذلك النفايات.

» والأمر الأخير أنها غنية جدًّا بالبروتينات والكربوهيدرات والأملاح والفيتامينات الصالحة للبشر...!

ويعتبر مشروع "نورفيرم" النرويجي نموذجاً لما سيعم مستقبلاً. فهذا المشروع - الذي تساهم فيه الحكومة مع شركات النفط - تمخض عن بناء مصنع لإنتاج الطعام البكتيري تبلغ طاقته السنوية ١٠ آلاف طن. والمواد الأساسية للإنتاج هي البكتيريا والأوكسجين وغاز النفط المستخرج من أعماق بحر الشمال. وستشمل المنتجات مستقبلاً أنواعاً من الشطائر واللحوم والخضروات هي ليست في الحقيقة غير طعام بكتيري مغلف في عبوات أنيقة صالحة للاستهلاك البشري!!

تصنيع العلف الحيواني من البكتيريا فيعود إلى الستينات من القرن العشرين. إلا أن الإنتاج ظل محدوداً لكلفته العالية؛ ولكن



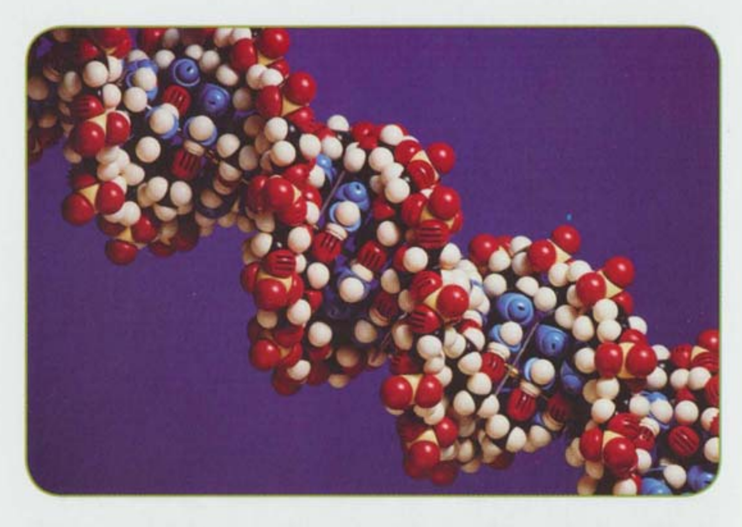


هذه الأيام مع تقدم الخبرة والمعرفة أمكن إنتاج العلف من غاز البترول الذي يعتبر أرخص أربعة مرات من الميثانول مادة الإنتاج السابقة. وحالياً تستهلك دول الاتحاد الأوروبي مليون طن من العلف البكتيري كل عام لإطعام المواشي والأسماك وأبقار المزارع!

ولكن قد يتساءل البعض.. طالما ان الأمر بهذه السهولة لماذا لم يتم استغلال الميكروبات حتى الآن بشكل واسع كغذاء للبشر ؟

يبدو أن ذلك يعود في المقام الأول إلى طبيعة البشر أنفسهم؛ فقد ارتبطت "الميكروبات" في أذهان كثير من الناس بالأمراض وتعفن الأطعمة وبالتالي ما من إنسان يستسيغ تناول وجبة من الميكروبات المستخرجة من النفايات أو البترول. وهذا الموقف جعل بعض العلماء يقترحون إطلاق اسم "بروتين الخلية المفردة" على الطعام الميكروبي.. أما غير ذلك فمنتجات الميكروبات تستعمل حالياً كعلف للماشية وتوجد بالملايين في أمعاء الإنسان وتساهم في هضم وتحليل الطعام الذي يتناوله...

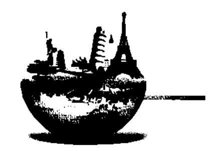
خيال اليوم.. حقيقة الغد



هل ترغب في تعلم عشرة لغات في يوم واحد ؟ أم الحصول على دكتوراه في الكيمياء أو تخصص في الطب خلال ربع ساعة فقط؟..

المؤكد هنا أن ما من إنسان يرفض اكتساب شتى المعارف خلال (جلسات) معدودة!!؟





... في البداية تصور معي نابغة في الفيزياء يعيش في القرن القادم. وعند بلوغه سن الستين - أو سن النضج العلمي - يتم استدعاؤه إلى وزارة "التلقين العلمي". وهناك يستقبل بترحاب شديدة ويحدد له موعد لاستنساخ ما في دماغه من علوم ونقلها إلى أدمغة مجموعة مختارة من الشباب صغار السن!؟

هذا التصور - في نظري- لن يكون بعيد المنال ؛ فاستنساخ المعارف المخزنة في الذاكرة البشرية سيكون مستقبلاً أسهل من استنساخ المواد المسجلة على شريط (كاسيت) أو قرص كمبيوتر... وقد تكون هذه الأفكار أكثر مما نرغب وأكبر مما نتصور، ولكن في الحقيقة إن معارفنا الحالية ستشكل انطلاقة مناسبة لإنجاز عظيم كهذا. فقد أتاح تحديد مراكز الشعور والذاكرة في المخ إجراء محاولات للتحكم بها.

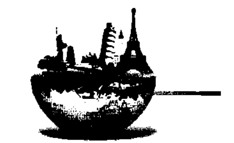
وعليه نتصور مستقبلاً ألغيت فيه المدارس والجامعات وحل محلها مراكز متخصصة لتلقين الطلاب جميع أنواع المعارف خلال أسبوع أو أسبوعين. وتلك المراكز بين سنة وأخرى تستلم أشرطة وأقراص جديدة من وزارة "التلقين العلمي" (كالتي أخذت من صاحبنا في أول المقال) وتلغي تلك التي عفا عليها الزمن. ولا يلزم طالب العلم سوى تحديد التخصص الذي يرغب في استيعابه ثم



التوجه لغرفة التلقين المخصصة. وحين يدلف لتلك الغرفة قد يفاجأ بشخص قبله مسترخى على كرسي وثير وقد شبكت برأسه أسلاك متصلة بجهاز مليئ بالأزارير وأسطوانات التسجيل.. وما هي إلا ثوانٍ حتى يستغرق الاثنان في حالة من "التنويم المغناطيسي" وتبدأ نبضات كهربائية مضغوطة بالتدفق إلى مركز الذاكرة الدائم حيث تختزن المعلومات إلى الأبد. وما هي إلا دقائق حتى تنتهي العملية ويشعران بأنهما أصبحا يعرفان أموراً لم يكونا يعرفانها من قبل. وقبل أن يفيقا من حالة الذهول التي سيطرت عليهما يسمعان من يأمرهما بالتوجه لمبنى السكرتارية لاستلام شهادات التخصص!!

هذه التصورات مبنية على الدراسات القائلة بأن محتويات الذاكرة ما هي إلا أنماط معينة من النبضات والاتصالات الكهربائية بين خلايا المخ.. ولكن إن صحت الدراسة الأخرى التي تدعي أن الذكريات مجرد تغيرات في كيمائية المخ عندها سيتم نقل المعلومات مستقبلاً بوسائل كيمائية تؤثر على الذاكرة.. فبدلاً من وجود أجهزة الكترونية لنقل المعلومات ونسخها ستنتشر في القرن القادم كابسولات وحقن تحتوي على معلومات متخصصة بحيث يمكنك تناول "حبة" رياضيات أو لغة فرنسية - كما تستطيع الحصول على تخصص في الطب أو الاقتصاد بواسطة حقنه "في العضل"!؟





وإن كنا في المثال الأول قد شبهنا نقل المعلومات من مخ لآخر باستنساخ أشرطة كاسيت أو أقراص الكمبيوتر فإننا في المثال الثاني أقرب إلى الواقع لأن فهمنا المتزايد لكيمائية المخ أتاح لنا تصنيع حبوب وعقاقير تؤثر على الحالات المزاجية والفكرية للإنسان كالبروزال والفاليوم..

وحالياً هناك اعتقاد بأن المعلومات تخزن في أدمغتنا بطريقة كهربائية ثم (حين تصبح أكثر عمقاً) تبدأ في التخزن في حمض D.N.A. بنفس الطريقة التي يحتفظ فيها ذلك الحمض بالخصائص الوراثية للإنسان.

ولكن إن ثبت فعلاً إن ذكرياتنا العميقة تخزن في ذلك الحمض - جنباً إلى جنب مع شفراتنا الوراثية - فإنني أتساءل إن كان جزء من ذكريات أسلافنا وميولهم الشخصية تنتقل إلينا بدون إدراك منا!؟

بالنسبة للإنسان ليس لدى حقائق مؤكدة إلا أنني أعتقد أن تفضيلنا لأفكار معينة أو ميولنا لكره أو حب طائفة محددة فيه قسم ورثناه من ذاكرة أسلافنا!!

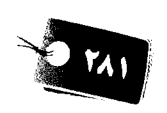
أما بالنسبة للحيوانات فهناك دلائل مؤكدة على توريث الذاكرة

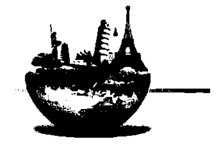


(كنوع من نقل المعلومات من جيل لآخر)؛ فسمك الحنكليس مثلاً يهاجر من موطنه في بحر سراغوسا قاطعاً آلاف الاميال كي يبدأ موسم التزاوج والتبويض قبالة السواحل الإفريقية. وما إن ينتهي من ذلك حتى يموت - في موطنه الجديد - وتبدأ صغاره في العودة إلى بحر سراغوسا من نفس الطريق الذي سلكه آباؤها والذي لم تمر به من قبل.. وبالمثل يرى كثير من العلماء أن عودة الأجيال الجديدة من الحيوانات والطيور المهاجرة لم يكن ليتم لو لم ترث من أسلافها ذاكرة العودة!!

وحسب ما ذكره الأستاذ هو لجردهايدن (مكتشف طبيعة تخزين الذكريات في حامض DNA) أن تجارب أجريت في جامعة تكساس على إحدى ديدان الأرض - وتدعي بالأناريان - للتأكد من فرضية "الذاكرة الجينية". فهذه الدودة إذا قسمت لنصفين، نما للنصف السفلي منها رأس ودماغ جديد، وللقسم العلوي جزء سفلي متكامل. وفي أكثر من مرة ثبت أن النصف السفلي المقطوع يرث نفس المعلومات التي كانت مخزنه في النصف العلوي حالما ينمو له دماغ جديد!!؟

والآن لنعود لترتيب ما لدينا من معطيات.. إن ثبت فعلاً أن جزء من ذكرياتنا موروث.. وأن العلماء تمكنوا من (تسجيل)





نبضات الأفكار والذكريات.. وإن معامل الأدوية استطاعت تركيب مواد تحفز الذاكرة أو تعيدها لمن فقدها... إن تفكرنا في كل ذلك سندرك على الفور أن الخطوة القادمة ستكون فك شفرة الأدمغة المتخصصة ونسخها ثم نقل ما فيها إلى الأدمغة الناشئة!!

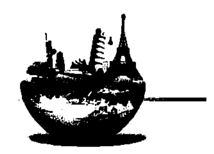
الطب في الربع الأول



هل تعلم ما هو وجه الشبه المتوقع بين الزواحف والإنسان قبل نهاية هذا القرن؟

الجواب: كلاهما يستطيع تعويض العضو المقطوع في جسمه...!! فتعويض الأعضاء المقطوعة حلم يسعى الأطباء لتحقيقه خلال القرن القادم من خلال تنشيط جينات النمو الخاصة بكل عضو..



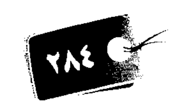


وحتى إن لم يفلح العلماء في تحقيق هذا الهدف ستصبح المزاوجة بين جسم الإنسان والأطراف الإلكترونية أمراً شائعاً بحيث يصبح الإنسان البيوني (أو الخليط بين البشر والآلة) حقيقة تمشي في كل مكان!!

وتعويض الأعضاء المقطوعة أو الناقصة (بحفزها على النمو) مجرد عنصر واحد من الإنجازات الطبية التي يتوقعها شخصي المتواضع في النصف الأول من القرن الحالي.. وهو في الواقع واحدٌ من أهم الأفكار والتوقعات التي سنتعرض لها لاحقاً ويؤمل تحقيقها في مجال الطب انطلاقاً مما نراه ونسمعه حالياً من مشاريع وأبحاث طبية واعدة...

أما أعظم إنجاز طبي - إن لم يكن علمي - سيتم تحقيقه والاستفادة منه مستقبلاً فهو تحديد وظائف جميع الجينات الوراثية وعزل جينات الأمراض التي تتوارثها الأجيال. فعمل خريطة لكامل جينات الجسم - وهو إنجاز تم الإنتهاء منه فعلاً - يمهد السبيل للقضاء على العديد من الأمراض الوراثية ويبشر بظهور أجيال خالية من أمراض كالسكري والتقزم وضعف البصر.. بل حتى ومن السلوكيات الإجرامية ذات العلاقة العضوية..

ولعل الإنجاز الذي يهم أكبر عدد من الناس هو اكتشاف دواء فعال وناجح للربو والحساسية ونزلات البرد والرشح الأمر الذي



سيحقق حلماً ظل دائمًا (صعباً/ سهلاً)، (قريباً/ بعيداً) من أيدي الأطباء...

وستتم مقاومة مرض السكر عن طريق زراعة خلايا تنتج الأنسولين في البنكرياس - أو على الأقل سيتاح زرع كبسولات تفرز الأنسولين لفترة طويلة تريح المريض من عناء المتابعة اليومية.

وسيتم نهائيًا الاستغناء عن (الفتح والخياطة) في العمليات الجراحية وسيصبح جميع الأطباء على درجة عالية من المهارة والخبرة في استعمال الجراحة المنظارية الأمر الذي لا يترك سوى ندبه صغيرة بحجم الأظفر - وهو الأمر الذي يؤدي أيضاً إلى سرعة الشفاء والحد من المضاعفات الجانبية...

وبمناسبة الحديث عن العمليات الجراحية نذكر بأن التقنيات الميكروسكوبية (أو تكنولوجيا الأجهزة الميكانيكية بالغة الدقة) ستتيح للجراحين إدخال "عربات" بالكاد ترى بالعين المجردة إلى عروق المريض - كما رأينا في الفيلم الخيالي الرحلة المعجزة - بهدف تدمير ورم خبيث أو إزالة انسداد بالشرايين أو حتى توصيل عقار فعال إلى مكان محدد في الجسم... (وهذا الإنجاز تم تطبيق بعض مراحله في فرنسا وأمريكا من خلال ما يعرف بالجراحة الميكروسكوبية)!!



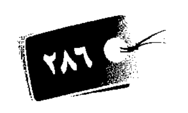


أيضاً سيتم الاعتماد أكثر وأكثر على الطب الاتصالي بين المراكز الطبية في أنحاء المعمورة عن طريق الكمبيوتر والأقمار الفضائية الأمر الذي يهيئ تبادل أكبر للخبرات بين الأطباء.. وانتشار هذه التقنية سيتيح للفرد العادي، وبمجهوده الخاص الحصول على استشارات طبية متقدمة من دول شتى.. ولم يبارح منزله...

كما سيتم القضاء على السرطان، وسيتم اكتشاف دواء فعال للإيدز، وستشيع حبة منع الحمل للرجال، وستنجح العمليات الجراحية في إزالة ٩٠٪ من أسباب العمى، كما ستصبح النظارات شيئاً من بقايا الماضي بعد شيوع عمليات تصحيح البصر وسيتم تسويق عدسات تبقى في العين لسنتين أو أكثر لتصحيح شتى الاختلالات البصرية...

وقبل فترة بسيطة نجح الأطباء في الولايات المتحدة في زرع عين صناعية صالحة للرؤية. ولكن مثل هذه العمليات لن تصل لحد الإتقان قبل عام (٢٠٢٥)؛ عندها سيصبح العمى من بقايا الماضي كما هو حال الجدري والطاعون هذه الأيام...

وسيكون الروبوت أو "الرجل الآلي" أبرز جراحي القرن؛ وبحلول عام (٢٠٢٨) ستتوفر في مستشفياتنا روبوتات للخدمة والتمريض؛ وقبل ذلك بعشر سنوات ستكون الروبوتات قد أصبحت العنصر

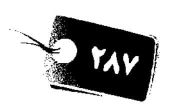


الرئيسي في مكافحة الحرائق وخدمة المنازل وحماية الممتلكات.

ومع نهاية عام (٢٠٢٥) ستصبح بنوك "قطع الغيار" البشرية أمراً شائعاً، كما سيتاح بواسطة رقاقات إلكترونية دقيقة التحكم بمراكز المخ لأغراض علاجية شتى.

ولعل أعجب ما في المستقبل النجاح في إنتاج أعضاء بشرية كاملة في المعامل (كالقلوب، والأكباد، والأذان، والأثداء، والجلود) وذلك من خلال التوسع في استعمال التكنولوجيا الحيوية وزراعة خلايا مأخوذة من جسم المريض ثم إعادة تثبيتها مكان العضو المريض أو "النص عمر" - وبعكس ما قد يتبادر للأذهان فإن هذا الإنجاز هو بالذات الأقرب للظهور لأن أعضاءً مستنبتة كالجلود البشرية تتولى تسويقها حالياً شركات أمريكية مشهورة مثل جنزيم في بوسطن، ومؤسسة الأنسجة المتقدمة في لاجولا، ووحدة الحروق في مستشفى جامعة كاليفورنيا!!

إذا، ما عليك سوى البقاء بكامل صحتك.. حتى حين!!





الشوارع المندفعة



المشكلة التي تواجه مدن العالم اليوم هي الازدحام الشديد في مراكزها الحيوية.. فالمناطق التجارية والإدارية في وسط المدن الكبرى أصبحت مزدحمة لدرجة أن سرعة السير في وسط لندن أصبحت أبطأ من أي متسكع يسير على قدميه. وفي هونج كونج أصبحت السيارات الصغيرة والخاصة ممنوعة من دخول "الداون



تاون" في جميع الأوقات. (مقابل إنشاء جسور مشاه علوية متحركة) وفي مدن ضخمة مثل برلين وطوكيو تحولت كثير من الشوارع الداخلية لطرق مشاه. أما في بكين وأمستردام فأصبحت الطرق المخصصة للدراجات الهوائية تنافس طرق السيارات الداخلية.. أما في مجتمعنا المحلي فتتميز المدينتان المقدستان (مكة والمدينة) بوضع فريد يحتم منع السيارات الخاصة وتخصيص طرق للمشاة تلافيا للازدحام في أوقات الحج والزيارة!

وخبراء المواصلات عمدوا إلى تصنيف تنقلات البشر إلى أربعة أقسام بحسب المسافة التي يقطعها الفرد يومياً:

فالقسم الأول من الناس لا يقطع في مشواره اليومي أكثر من (١٥) كيلو متراً.. وشخص من هذه الفئة يكون في الغالب قد استوطن وسط المدينة بقرب عمله والمراكز الحيوية التي يحتاجها وهو بالتالي يستطيع قضاء مشاويره اليومية ماشياً أو مستعملاً الدراجة الهوائية (وفي حكمه الزائر لتلك المنطقة)!

أما القسم الثاني من الناس فتتراوح مشاويرهم المقطوعة بين ١٥ إلى ١٥٠ كيلو متراً. وهذه في الغالب " المشاوير " التي لا بد من استعمال السيارة لقطعها داخل المدينة أو إلى ضواحيها!





أما الفئة الثالثة فتتراوح مشاويرهم بين ١٥٠ إلى ١٥٠٠ كيلو متراً وتدخل في نطاق السفر الذي يمكن قضاءه بالسيارة أو وسائل النقل العام!

أما الفئة الرابعة فهي لمسافات السفر الطويلة التي تتراوح بين ١٥٠٠ إلى ١١٥٠٠ كيلو متر ويصعب تنفيذها بدون وسائل النقل الجوي...

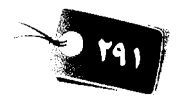
ولعلك تدرك أن وسائل المواصلات في الفئات الثلاثة الأخيرة يمكن التوسع بها حسب الحاجة وذلك لطبيعتها المفتوحة ومجالها غير المحدود.. أما مسافة الفئة الأولى (التي تتم غالباً في وسط المدينة المزدحم) فقد يصل فيها الاكتظاظ وكثافة التلوث حدا يقتضي منع السيارات الخاصة - أو حتى وسائل النقل العامة - من الدخول إليها. وفي محاولة لتلافي تلك المشاكل شجعت البلديات في المدن المزدحمة مواطنيها على "المشي" واستعمال الدراجات الهوائية (بصورة مجانية في بعض الدول كهولندا) كأهم وسيلتين لتلافي الازدحام في مراكز المدن!!!

إلا أن المشي وركوب الدراجة الهوائية قد يناسب الشباب والأصحاء ولكنه لا يناسب الأطفال وكبار السن أو من يحمل أغراضاً كثيرة؛ ومن هذا المنطلق ظهرت أفكار خيالية عن طرق تتحرك بأكملها



وتنقل الناس فوقها وتستخدم في المناطق المزدحمة بالذات.. ولأول وهلة قد يبدو هذا الاقتراح مستحيلاً؛ ولكنه في الحقيقة موجود (وإن كان بصورة مصغرة) منذ مدة طويلة؛ فالسيور والأرصفة المتحركة (التي نشاهدها في المطارات والمراكز التجارية الكبرى) هي النواة الأولى والأساس الذي ستبني عليه شوارع المستقبل.. ففكرة هذه الشوارع ظهرت لأول مرة في رواية للأديب الخيالي روبرت هيلنلين بعنوان "الشوارع المندفعة" ووصفها الكاتب الخيالي المشهور ج. ويلز في روايته الطريفة "صحوة النائم". وحالياً تحقق شيء من حلم هذين الأديبين وأثبتت الأرضيات المتحركة فعاليتها في عواصم كبرى كلندن ونيويورك وطوكيو وسيئول.. (ففي لندن مثلاً استعملت تلك الطرق للتغلب على عنقى الزجاجة الشهيرين بين محطة جراند سنترال وميدان التيمز، وبين النصب الملكي وبنك انجلترا)!!

أما في المستقبل فستتحول الأرصفة المتحركة إلى شوارع عملاقة تتحرك بشكل دائم وستتوفر بها كراسي للجلوس ومقابض للأمان وسينتقل فوقها مئات البشر والبضائع باتجاهات مختلفة.. ورغم أن الأرصفة المتحركة الحالية بطيئة نوعاً ما (وذلك لتسهيل عملية الدخول والخروج منها) إلا أن مهندسو المدن يتصورون مدينة المستقبل وقد انتشرت بها الشوارع العملاقة التي تتحرك على مستويات متعامدة في كل اتجاه...!!





المشكلة التي ستقف حجر عثرة أمام شوارع المستقبل هي زيادة سرعتها لأقصى حد.. فالطرقات التي ستنطلق بسرعة ٥٠ أو ٨٠ كيلو متراً بالساعة تحتاج قبل تنفيذها إلى وسيلة أمنة لإدخال الناس وإخراجهم منها. والحل الأقرب للذهن حالياً هو استعمال عدة سيور متجاورة ذات سرعات تتدرج بنعومة من سكون الأرض إلى سرعة الشارع القصوى.. فمستعملي تلك الطرق سيقفزون أولاً إلى السير الأول الذي لن يتجاوز في سرعته السيور المتحركة هذه الأيام (ولنفترض أنه على أقصى اليمين). ثم من السير الأول يتم الانتقال إلى الثاني الأكثر سرعة. ومنه إلى السير الثالث ثم الرابع فالخامس فالسادس حتى إذا وصل الراكب إلى (آخر سير) وصل إلى (أقصى سرعة). أما في حالة الرغبة بالنزول؛ فستنخفض السرعة بالتدريج - بصورة معاكسة - حتى ينتهي المرء بسلاسة ويسر إلى السكون التام فيمشي على قدميه!!!

وينطلق الخيال أكثر أكثر فنتصور الاستعاضة عن فكرة السيور المتدرجة بمادة فريدة بمرونتها يبنى منها الشارع المتحرك.. والمادة التي نعنيها رغم أنها كتلة واحدة إلا أن لها خاصية تشبه ماء النهر المنساب. فماء النهر يكون أقرب للسكون عند شاطئيه في حين تزداد سرعته بازدياد الانتقال إلى منتصفه. الفرق الوحيد الذي نريده لمادتنا العتيدة هو أن تكون جامدة في اتجاهها الرأسي



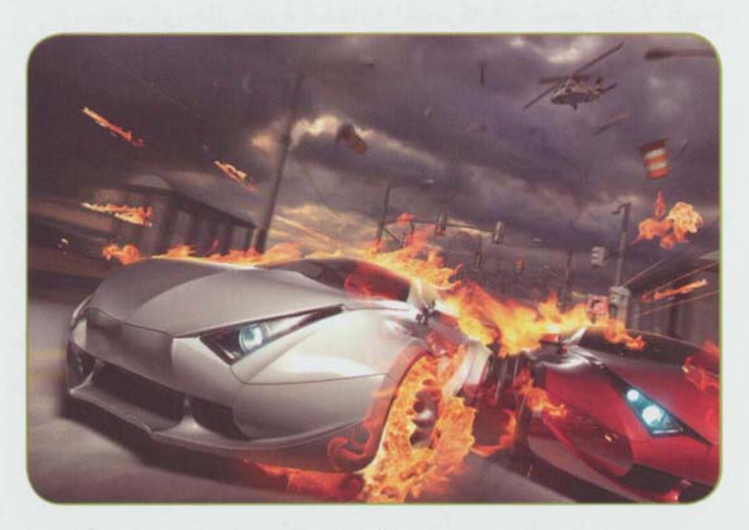
رخوة في اتجاهها الأفقي.. وبالطبع مادة بهذه المميزات لم تصنع بعد (وإن كان العلماء يطلقون على كل مادة لها تلك الخصائص انيسوتروبيك) ولكن إنجازها لن يكون مستحيلاً خلال العشرين سنة القادمة!!

... على أي حال فكرة الشوارع المتحركة قد تنجح وقد لا تنجح ولكنها بالتأكيد ليست أكثر جنوناً من التنبؤ بصعود القمر وشطر الذرة!؟





سيارة المستقبل



قبل سنوات طويلة كتبت مقالاً عن أبرز الملامح التي ستظهر بها سيارة المستقبل؛ واليوم - وأنا في سبيلي لإخراج هذا الكتاب - أجد أن معظم ما ذكرته في الماضي قد تحقق على أرض الواقع وسيستمر مستقبلاً لفترة طويلة.. أما أبرز الملامح الذي ذكرتها في مقالي ذلك وأصبحت مواصفات قياسية في أيامنا هذه ما يلي:



أولاً: الشكل البيضاوي والانسيابي كمتطلب لا مناص عنه لتخفيف مقاومة الهواء والاقتصاد في الوقود...

ثانياً: التركيز أكثر وأكثر على وسائل الأمان - بعد أن أصبحت بالونات السلامة والفرامل الغير قابلة للانزلاق وسائل معتادة هذه الأيام...

ثالثاً: سيتقلص استعمال "المعادن" في صنع السيارات لصالح قطع البلاستيك والألياف الزجاجية...

أما العناصر التي ستكون جديدة تماماً في سيارات المستقبل فهي:

أولاً: الاستغناء عن البترول كوقود لصالح الكهرباء أو الهيدروجين.

ثانياً: توجيه السيارة بكامل إطاراتها الأربعة.

ثالثاً: الاعتماد المفرط على الكمبيوتر والالكترونيات في القيام بمعظم المهام التي تتطلبها سيارات اليوم.

أيضاً هناك مجموعة واسعة من الأجهزة والابتكارات التي ستصبح تقنيات "شعبية" وفي متناول الجميع خلال الخمسة عشر عاماً القادمة.. فهذه التقنيات(لانقول إنها غير موجود حالياً)





ولكنها ليست قياسية أو متوفرة في سياراتنا الحالية لأسباب اقتصادية وتسويقية بحتة.

» فهناك مثلاً جهاز مخصص لتلافي الاصطدام ويستعمل الليزر لإيقاف السيارة تلقائياً حين تقترب من سيارة أخرى. ومثل هذا الجهاز استعمل من قبل لتلافي الاصطدام بين السفن والطائرات من مسافات بعيدة؛ ولكن ظهوره في عالم السيارات تأخر لأن الأخيرة تسير عادة (بشكل متلاصق) لا يتيح للجهاز تمييز مسافة الاقتراب الدنيا المطلوبة.

» أما الجهاز الثاني فهو كمبيوتر يخزن في ذاكرته "مواصفات القيادة" التي ترغبها في سيارتك.. فوضع الكرسي، وارتفاع المقود، وقوة الفرامل، وبرودة المكيف، ومستوى تثبيت السرعة (إلخ) جميعها مواصفات تميزك عن غيرك يمكنك العودة إليها مجدداً فور "إدخال المفتاح" - فهل تذكركم مرة مثلاً تضايقت من ارتفاع المرآة أو وضع الكرسي بعد أن استعار صديق "غلس" سيارتك لفترة...

» وجهازنا الثالث خاص بالملاحة ومعرفة الطرقات ؛ فرغم أن الإنسان أفلح في قيادة السفن في الضباب والطائرة في الظلام إلا أنه ما يزال على الأرض يستعمل الخرائط الورقية ويعمد



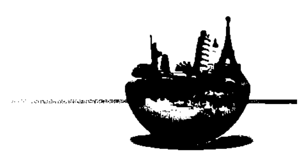
للتخمين في معرفة اتجاهاته وأي الطرق أصلح.. والجهاز الجديد نوعان: الأول شاشة إلكترونية ترشدك بسهولة إلى الشارع الذي ترغبه بمجرد كتابة اسمه عليها، والآخر أكثر تقدماً يعتمد على الاتصال بالأقمار الصناعية لتحديد موقعك في متاهات شاسعة كالربع الخالي...

» أما إذا كنت من محبي الهدوء وتزعجك ضوضاء الشارع فهناك جهاز لإلغاء الضجيج عن طريق استشعار ذبذبات الصوت القادمة من الخارج ثم إصدار ذبذبات معاكسة تلغيها تماماً - أي اعتماداً على مبدأ "لايفل الحديد إلا الحديد"!!

» وقبل الحديث عن الابتكار الخامس دعني أسألك عن عدد المرات التي حلمت خلالها بوجود إطار لا ينفجر أو "يبنشر".. الخبر السعيد هنا أن شركة قودريتش أنتجت إطاراً "غير مجوف" يملأ بمادة مطاطية (تدعى بوليرثان) لها مرونة ونعومة الهواء المضغوط...

» أضف لذلك هناك أنواع جديدة من الزجاج "الأتوماتيك" والمرايا الحساسة التي تتحول للون القاتم إذا تعرضت "للنور العالي" أو اضطررت للقيادة في يوم مشمس - تماماً كما هي فكرة "النظارة الأوتوماتيك"!





» أما أجهزة الرؤية الليلية فقد حورت لاستعمالها في السيارات العادية، وأجمل ما فيها أن المناظر الخارجية (التي يفترض أن تكون مظلمة في الليل) ستراها بوضوح منعكسة - بواسطة جهاز عرض خاص - على الوجه الداخلي لزجاجك الأمامي!!

» كما يمكنك أيضاً تركيب كاميره صغيرة في سيارتك تكشف لك المناظر الخلفية بشكل أفضل (كما في أوتوبيس المطار). فخلف السيارة توجد ما تسمى بـ"النقطة العمياء" أو المساحة التي لا يمكن لأي سائق رؤيتها تحت مستوى "شنطة" السيارة.. فبدون كاميرا كتلك لن تر طفلاً يحبو، أو حجراً يعلو.. وأنت عائد للخلف!!

» وجميعنا يعرف "الريموت كنترول" الخاص بتشغيل السيارة.. الجديد هنا هو نوع متقدم يتيح لك إطفاء سيارتك بعد سرقتها منك.. ففي حالة كهذه كل ما عليك فعله هو الضغط على زر معين يوقف السيارة بعد خمس دقائق (حين يبتعد السارق عنك بمسافة آمنة) ويجعلها تصدر ضجيجاً فاضحاً، ولن تعمل ثانية إلا بالزر نفسه!!

» أما جهازنا الأخير فمقتبس من الطائرات الحربية (وقريب



الشبه من الابتكار السابع). فلكي لا يتحول السائق ببصره عن الطريق، استعمل جهاز عرض صغير أو "بروجكتر" يعكس على الزجاج الأمامي جميع المعلومات الضرورية عن السيارة مثل: مستوى الزيت والوقود، درجة الحرارة وقدرة البطارية، ماء الرديتر وضغط الهواء...

هذه أبرز الملامح في سيارة المستقبل.. أرجو أن تسنح لك الفرصة لاستعمالها - أو على الأقل البعض منها!





آخر اختراعات البشر!



في عام ١٨٩٩ أرسل مدير مكتب الاختراعات الأمريكي رسالة لرئيس الولايات المتحدة يطالبه فيها بإغلاق مكتب براءات الاختراع لأنه - حسب رأيه - لم يبق شيء في الدنيا لم يخترع بعد.. وبسبب ضيق الأفق الذي يتمتع به هذا المدير تم فصله بتوصية من الرئيس نفسه!!



هذه الحادثة الطريفة تقودنا لسؤال على نفس الشاكلة وهو:

متى يكف الإنسان عن الاختراع - أو لنقل ما هو آخر اختراعات البشر!؟

.. حسب ما أتصوره ستكون "الآلات المفكرة" هي آخر إبداعات الإنسان فالآلات ذاتية التفكير في الواقع ليست على مسافة بعيدة من أيامنا هذه، وهي بالتأكيد ليست بعيدة عن ما نسميه اليوم (كمبيوتر).. فالجيل الأول للكمبيوتر ظهر حين ابتكر العالم الأمريكي "جورج رستيبتز" الحاسبة الثنائية عام ١٩٣٩ مستعيناً ببعض الأجهزة الزجاجية وعلب الدخان الفارغة!

وأقصى تطور وصل إليه ذلك الجيل كان عام ١٩٤٨ حين صنع منه نوع متقدم يتكون من (١٣٥٠٠) أنبوبة مفرغة و(٢١٠٠٠) مقو ويقوم بجمع (٣٥٠٠) عدد من ١٤ رقمًا في كل ثانية..

وانتهى ذلك الجيل بظهور الترانزستور عام ١٩٤٨ في معامل بيل للعلوم. ويعتبر الترانزستور (وهو صمام ثلاثي شبه موصل) المكون الرئيس لجيل الحاسبات الثاني والمميز لها عن الجيل الأول. أما الجيل الثالث والرابع فظهرا بظهور "الدائرة المتكاملة" التي أنجزها الأمريكي "جاكس كيلبي" عام ١٩٥٩.. والدائرة المتكاملة منظومة إلكترونية تضم عناصر مختلفة تتصل بطبقة



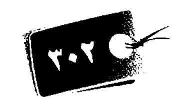


من السيليسيوم؛ وطريقة الاتصال بين الدوائر نفسها تسمح بإنشاء أجهزة مختلفة تؤدي مهامًا متعددة. ومنذ الستينات

اقتصرت جميع التطورات على إنتاج دوائر إلكترونية أكثر تعقيداً وأصغر حجماً - بمعنى إن جميع ما نراه اليوم من أجهزة إلكترونية معقدة وبالغة الصغر هي في الواقع تطور "كمي" تصغيري أكثر منه "كيفي" نوعي. وأقصى تقدم بلغه هذا الجيل كان في حاسبات "تكامل النطاق الواسع" حين أمكن حشر (٦٠٠٠٠) ترانزستور في مساحة تساوي النقطة الموجودة في نهاية هذا السطر.

أما أفضل إنجازات هذا الجيل فهو الكمبيوتر السوبر من نوع "كراي" و"سيبر ٢٠٥".. والكمبيوتر الأخير يستطيع إنجاز (٧٠٠٠٠٠٠٠٠) عملية في الثانية - وبالطبع لا أضمن أن أي من النوعين سيبقى الأكثر تطوراً حتى نشر هذا الكتاب؛ فهناك قولا متداولاً بين خبراء الكمبيوتر يقول " إن كان ما تعرفه عن الكمبيوتر له أكثر من ٢٤ ساعة فإن معلوماتك قديمة "!!

على أي حال رغم التطور المذهل الذي وصلت إليه حاسبات الجيل الرابع، إلا أنها لم تصل بعد إلى درجة التفكير المستقل أو الإبداع الذاتي.. الحاسبات التي ستصل لهذه المرحلة ستدعى "حاسبات الجيل الخامس"... ورغم أن بحوث هذا الجيل بدأت في الجامعات الأمريكية إلا أنه - وكالعادة - وصل إلى حدود مذهلة في

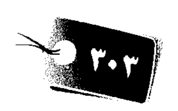


اليابان؛ فمنذ عام ١٩٨٠ أعلنت وزارة الصناعة اليابانية عن إنشاء "معهد التقنية الراقية" ليصبح مسئولاً عن خطة طموحة هدفها الوصول لكمبيوترات الجيل الخامس.. والسادس.. والسابع..

وما أن يجتاز كمبيوتر من هذا النوع حاجز الذكاء حتى تظهر نتائج لم نسمع عنها إلا في قصص الخيال العلمي. فالكمبيوتر المذكور سيبدأ في تطوير نفسه بنفسه في تفاعل متسلسل سريع - أشبه ما يكون بالبدء بإطاحة (أول) حجر من أحجار الدومينو كي تتساقط المجموعة بترتيب متسلسل.. بالطبع عندها لا نملك سوى المشاهدة وانتظار النتائج!!

والأدهى من ذلك أن "حاسبة" بهذا التراكم من التفكير ستصل بنفسها إلى درجة خارقة من الذكاء قد يتعسر على الإنسان فهمه. فتسلسل الذكاء في تلك الآلة سيتم بمتواليه هندسية.. فأول أحجار الدومينو ستُسقط في طريقها حجرين والحجران سيسقطا أربعة والأربعة ستسقط ثمانية وهكذا..

طبعاً إذا توصل الإنسان لمثل هذا الكمبيوتر فسينحصر "إبداعه" في طلب حلول لمشاكل عجز عن التعامل معها أو ظواهر صعب عليها فهمها. ومن المؤكد أن آلة بهذا الذكاء الخارق ستكون آخر اختراع ينجزه الإنسان وأول خطوة لظهور القبائل الإلكترونية!!

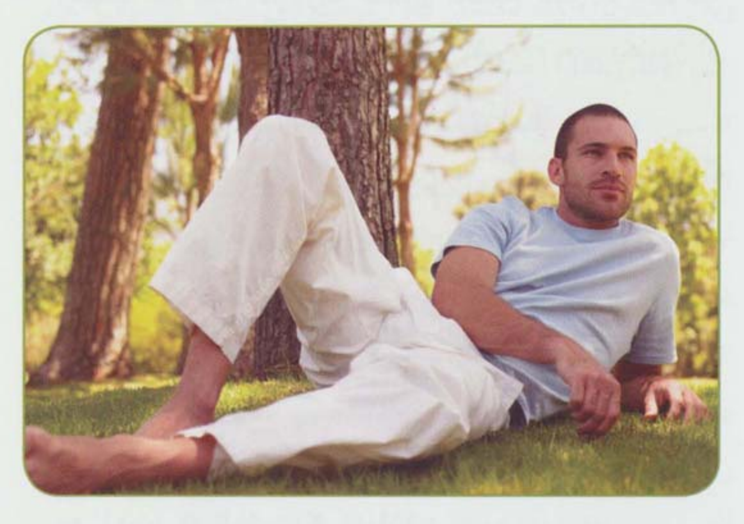




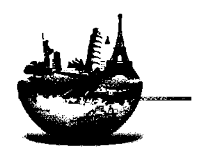

الفراسة



لغة الجسد



نحن في النهاية خلاصة لأشياء كثيرة.. فشخصياتنا المختلفة صاغتها عوامل عديدة (وراثية وبيئية وأسرية) جعلت كلاً منا نسيج وحده في المزاج والتصرف وأسلوب التعامل مع الآخرين.. ومع ذلك تبقى فيما بيننا مظاهر شخصية موحدة (ومشتركة) قد لا تظهر إلا في المواقف التلقائية أو المفاجئة.. فلعلك لاحظت مثلاً أن الناس



في المصعد لا ينظرون في عيون بعضهم البعض.. ولعلك لاحظت أن الشخص "القلق" يهز فخذيه، و"المتوتر" يقرض أظافره، و"المندهش" يضع يده بسرعة على فمه.. أما "المستعجل" فيجلس على طرف الكرسي وغالباً ما يدلك الجزء اللحمي من كفه...

ومهمتنا في هذه المجموعة ستكون توضيح شيئ من جوانب الفراسة التي يظهرها الناس في مواقف كثيرة - حين يكذبون أو يقلقون أو يتعلقون بأمر ما..

ولكن قبل أن نبدأ في "التفرس" يجب الإشارة إلى أن الفراسة كعلم اتخذت خلال تاريخها ثلاث وسائل رئيسية:

الوسيلة الأولى: اعتبارها حدس وإلهام يلقيه الله في قلب المؤمن التقي - كما قال المصطفى ﷺ : "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"..

وهذا فضل قد لا يكون لكل إنسان!

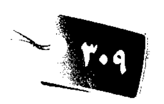
والثانية: النظر إليها من خلال المواصفات الجسدية (كحجم الرأس، وشكل العينين، وتركيب الهيكل العظمي... الخ)؛ وهذه وسيلة عنصرية ظالمة تذكرنا بالمدرسة النازية التي قسمت البشرية بحسب ضخامة الدماغ وحجم الجمجمة...

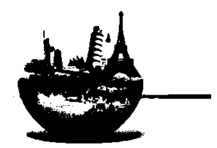


أما الوسيلة الثالثة للفراسة (التي سنتبناها في هذه المجموعة) فتعتمد على حقيقة أن الناس تظهر في المواقف المتشابهة تصرفات متشابهة يمكن من خلالها معرفة أعماقهم وكشف سرائرهم...

فمن الواضح مثلاً أن لكل شخص "مجال حيوي" يفصل بينه وبين الآخرين، وهذا يفسر لماذا نبحث عن أريكة (أخرى) غير التي يجلس عليها أحد الأشخاص في الحدائق العامة، أو نبحث عن كرسي (فاضي) في الأتوبيس كي نتجنب الجلوس بجانب شخص لا نعرفه.. أما حين تجبرنا الظروف على الاقتراب من أشخاص لا نعرفهم (كما في المصعد، أو الطائرة) فإننا ننظر في كل شيء ما عدا عيون المحيطين بنا.. وبوجه عام يمكننا "تخمين" قوة ونوعية العلاقة التي تربط بين شخصين بحسب مسافة القرب التي تفصل بينهما.. فالمرأة التي تحب زوجها تجدها تميل إليه بشدة أثناء ركوبها معه في مقعد السيارة الأمامي، أما الغاضبة منه فتبعد لأقصى مسافة - لدرجة قد تتكئ على الباب الأيمن!!

وهناك مظاهر يمكن من خلالها تمييز "الطرف الآخر" الذي يتحدث معه مستعمل الهاتف العمومي؛ فحين ينتصب المتحدث كالجندي فهذا يعني أنه يتحدث مع رئيسه في العمل أو مع شخص يكن له الاحترام، أما من يتحدث وهو (آخذ راحته) ومتكئ على



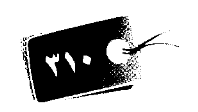


جدار الكبينة فهو في الغالب يتحدث مع صديق أو قريب. أما الشخص الذي يخابر زوجته فتجده يعطي ظهره للجمهور ويخفض صوته، وغالباً ما تكون سماعة الهاتف محشورة بين رقبته وكتفه...!!

ومن الإشارات والتصرفات التلقائية التي تتيح لك - متى ما عرفتها - كشف وتحليل شخصية جليسك. إن الشخص الذي يشك فيما تقول - حتى لو لم يصرح بذلك - يبادر إلى وضع ساقٍ على ساق ويبتعد عنك بجسده أو يعقد ذراعيه على صدره - أو حتى ينظر إليك من أعلى نظارته، أما الشخص الذي (ينصحك) ويؤشر

بسبابته باتجاهك، فهو في الحقيقة يحاول إرهابك وإخضاعك لأوامره؛ لأن عبارات التهديد تترافق عادة مع تحريك السبابة باتجاه الشخص المهدد. أما عقد اليدين حول الوسط (كما تفعل بنت البلد) فيعني غالباً التحدي والاستعداد للمنازلة - وهذا التصرف يترافق في الغالب مع عبارات مثل: وماذا ستفعل إن لم أستجب لطلبك؟

أما في الأوضاع الدفاعية أو الرافضة فتجد الشخص يظهر مجموعة من الإشارات التلقائية مثل عقد اليدين على الصدر، أو قفل أزرار الجاكيت أو ضم "البشت" تحت الذراع عند مواجهة الجمهور. أما علامات القبول والموافقة فيعبر عنها بإشارات مثل:

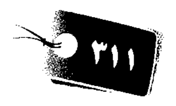


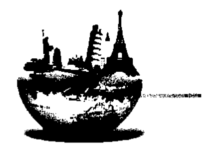
تكرار وضع اليد على الصدر وقول كلمات مثل (أبشر، أو ولا يهمك) أو بوضع اليد على كتف الشخص الآخر مع عبارات من نوع (لا تقلق سيكون كل شيء على ما يرام)...

والإنسان الذي يهتم بشيء ما - كمحاضرة تلقى - يعبر عن ذلك الاهتمام بإمالة الرأس إلى أحد الجانبين في محاولة للإنصات بشكل أفضل.. أو قد يعبر عن ذلك الاهتمام بركن الرأس على راحة اليد وحك الخدّ بالسبابة، وهذا النوع من الاهتمام يصحب في الغالب بنوع من النقد والتقييم. أما المتحفز للنقد فتجده يجلس على حافة الكرسي ويتكئ على فخذه الأيمن.. مستعداً للهجوم!

وفي حالات الإحباط والغضب يعبر الناس عن ما في شعورهم بتصرفات مثل: طأطأة الرأس، وحكّ منطقة خلف الرقبة، أو بركل الأرض - كما يفعل لاعب الكرة حين يضيع هدفاً محققاً. والشخص المتوتر أو من يحاول الظهور بمظهر "الماسك لأعصابه" تراه يجلس على الكرسي عاقداً قدميه ومتشبثاً بيدي الكرسي (كشخص ينتظر الذهاب لدورة المياه) ومثل هذه الجلسة تلاحظها عند مراجعي طبيب الأسنان، أو الخائفين من السفر بالطائرة.

ويعبر الناس عن السلطة والثقة الزائدة بالنفس بعقد اليدين خلف الظهر ونفخ الصدر (كالضباط الذين يتفقدون أفرادهم)





أو بالجلوس بوضع (منجعص).. ويظهر الناس امتلاكهم للأشياء بعدة طرق كمحادثتك أثناء اتكائهم على سياراتهم الخاصة، أو بوضع صورة (الأبناء أمام المرسيدس) على المكتب، أو بوضع الساقين على المكتب نفسه؛ كما يفعل الأمريكان..

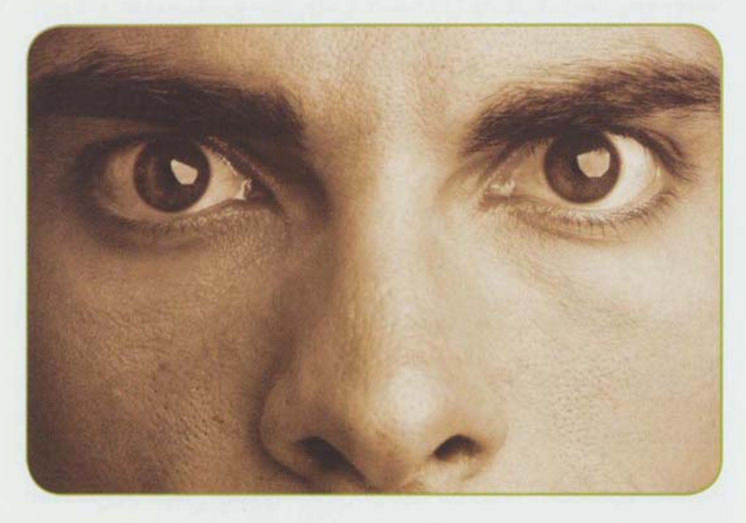
ويمكنك معرفة التسلسل القيادي (كما فعلت المخابرات الأمريكية مع أعضاء الكرملين) بمراقبة "المجموعة" أثناء سيرها. فالأشخاص الأقل مرتبة يتباطؤون في مشيتهم كي يكون "القائد" في المقدمة. وإذا أجبرت الظروف المرافقين الأقل رتبة على تجاوز رؤسائهم، تجدهم ينظرون دائماً للخلف (لرؤسائهم) كي يضبطوا خطواتهم معهم فلا يتقدموهم بمسافة كبيرة..

ولكن ماذا تفعل المرأة إذا أعجبت برجل؟!

ستجدها تطيل النظر إليه بدون أن يشعر وتضحك بعمق لأي نكتة تافهة يلقيها.. كما تجدها تمس شعرها وتحسن من هندامها من حين لآخر. أمّا إذا وضعت ساقاً على ساق، وخلعت حذاءَها في حضرته، أو جعلته يتأرجح على أطراف أصابعها فهذا يعني أنها (مبسوطة ع الآخر)...



سيماهم في وجوههم



بدون أن نشعر حتى، فإننا حين ننظر لوجوه الآخرين لأول مرة نبدأ في "أخذ فكرة عنهم".. ولعلك لاحظت منذ زمن طويل أن المجرمين في أفلام الكابوي - مثلاً - يشتركون في ملامح مميزة وكأن المخرج يريد أن يخبرنا بأن هذا الشخص "إنسان شرير وعدوّ لبطل الفيلم - الوسيم...!؟





فالمظهر الخارجي للإنسان يساهم إلى حد كبير في رسم شخصيته وفرض الطريقة التي نعامله بها. وكان الرسول ﷺ قد أدرك أهمية "ملامح الوجه" في التأثير على العامة وحكمهم من خلاله فكان حريصاً على أن يكون سفراؤه والقادمين عليه من أصحاب الوجوه الحسنة - فقد ورد عنه أنه قال:

"إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه، حسن الاسم" وقال: "إذا أبردتم إلي بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"...

ومن الخطأ طبعاً الحكم على سرائر الناس من مظهرهم الخارجي إلا أننا نتحدث هنا عن (الرأي الأول) الذي نكونه عن المرء من خلال ملامحه الخارجية. فجميعنا لاحظ وجود علاقة بين ملامح الوجه ونفسية الإنسان؛ فلا أحد ينكر مثلاً أن لوجوه الصالحين وقار مؤثر وملامح مريحة، في حين أن ظلمة الوجه سمة الفاسقين ومتبعي الشهوات...

وفي الواقع منذ سنوات الطفولة الأولى تبدأ ملامح الإنسان بالتجمد على ما تغلب عليه نفسيته وتصرفاته، فالشخص كثير التجهم تبدأ ملامحه بالانطباع بمظهر كئيب لا يزول إلا في حالات مؤقتة، في حين أن المبتسم دائماً تميل ملامحه إلى قالب أكثر بهجة ومرحاً - من العجيب حقاً أن الإنسان لا يحتاج إلا لعضلتين كي

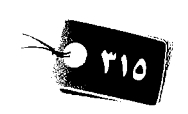


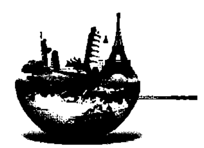
يبتسم في حين أن التجهم يقتضي منه استعمال (١٣) عضلة في الوجه فقط!

ومنذ أيام ارسطوطاليس والاعتقاد الشائع بأن الأمارات المرتسمة على الوجه هي انعكاس لما يخفيه المرء في دخيلته.. وبهذا الخصوص تقول ديان بري (أستاذة علم النفس في جامعة دالاس) أن هناك عنصر صحة في الأحكام التي يصدرها الناس على الآخرين على أساس المظهر الخارجي، وأن أخلاق المرء وشخصيته مرسومة على خطوط وجهه..

وقد تأكدت برى من ذلك من خلال تجارب أظهرت أن عامة الناس يميزون بين المجرمين وغير المجرمين من خلال صورهم الفوتوغرافية.. والأدهى من ذلك أن بعضهم استطاع التكهن بنوعية الجرائم التي يرتكبها صاحب الصورة من خلال (مقاييس مسبقة) عرفت عن سمات المجرمين ونوعية الجرائم التي يمارسونها.

ومن خلال دراسة قام بها عالم النفس مايكل غالتر (وهو حالياً أستاذ علم النفس المساعد في جامعة نورث كارولنيا) يتضح أن الناس يصدرون أحكاماً لا واعية على الآخرين من خلال ملامحهم الخارجية؛ فالناس مثلاً يعتبرون الصُلع أذكياء ويعتقدون أنهم أكبر سناً من أعمارهم الحقيقية. (ولكن مما يجلب السرور لتلك الفئة





أن عدم وجود الشعر لا علاقة له إطلاقاً بوسامة الرجل وجاذبيته) أما اللحية فتجعل أصحابها أكثر هيبة ووقاراً وتوحي بأنهم أكبر سناً من أقرانهم.. والابتسامة الدائمة تترك أثراً مريحاً وتأثيراً حميداً من الصعب نسيانه، في حين أن الناس يعتبرون أصحاب العيون الواسعة أشخاص ودودين ونزيهين، والبعض منهم يعتقدون أنهم سذج وطيبون "زيادة عن اللزوم"!؟

إذاً هذا هو حالنا نحن البشر، أما الخالق سبحانه وتعالى فله معيار آخر كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ في قوله: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

الخط والشخصية



الأسلوب الذي ننجز به أعمالنا يدل على الشخصية التي نتمتع بها.. فنحن ننفذ نفس الأعمال بطرق وأساليب مختلفة فالسيارة تعمل بمبدأ ميكانيكي واحد، ولكن الناس يسوقونها بطرق مختلفة. وربات البيوت يعرفن نفس "الوصفة"، ولكن يطبخنها بأساليب مختلفة.. حتى الأطفال في المراحل الأولى يتعلمون ذات الحروف والكلمات، ولكنهم يكتبونها بطرق مختلفة!!!





واختلاف أساليب التنفيذ تعود إلى أن كل إنسان يطبع عمله بطابع شخصيته التي لا يشبهه فيها أحد.. وعليه إذا نظرنا للعمل المنجز - بصورة معاكسة - نستطيع من خلاله استنتاج شخصية منفذة.. ومن هذا المنطلق نشأ علم الخطاطة أو "الجرافولجي" الذي يفسر شخصية المرء من خلال أسلوبه في الكتابة ورسم الحروف.

ومن أهم مبادئ هذا العلم الوليد أن أصحاب الشخصيات المتشابهة توجد في خطوطهم صفات مشتركة.. بل اتضح أن حتى أصحاب المهنة الواحدة (كالأطباء أصحاب الخط المشوش عموماً) تميزهم أساليب متشابهة في الكتابة ورسم الحروف...

أما إن أردنا الحصول على معلومات أكثر خصوصية ودقة فيجب تحليل كل خط على حدة. فالإنسان (صاحب التحركات السريعة والتصرفات العفوية) تكون نهايات الكلمات لديه متآكلة ودوائر الحروف في كتاباته صغيرة ومطموسة بحيث لا يفرق القارئ بين الـ(ر) والـ(و). أمّا إذا اتسعت دوائر الحروف فدل ذلك على الصبر والتأني والكرم في المال والعواطف.. أمّا في حروف مثل الصاد والطاء، فإذا كتبت بشكل مثلث وحادّ دل ذلك على العصبية. أمّا إذا كانت دائرية منحنية فدل ذلك على الشخصية الكتومة المحافظة...

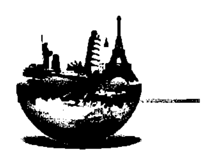


والشخص يكون خطه مبالغ في حسنة وخطوط الحروف لديه ذات انحناءات جميلة ومتوازنة..

أما الإنسان العفوي طبيعي التصرف فيكتب بطريقة سلسلة مسترسلة لا تراعى النقاط والفواصل بين الجمل وكثيراً ما يكتب بسطر ويترك سطر. أما الشخص المحافظ فيتميز خطه بالوضوح غير المبالغ فيه، والتساوي في طول الكلمات وجسور الحروف، ولا يتهاون في علامات الترقيم. واستقامة الخط تدل على اتزان الإنسان، أمّا إذا مال الخط عن السطر واتجه إلى الأسفل فدل ذلك على حالةٍ من القلق والتهرب من الواقع - وبالعكس؛ إذا مال الخط إلى الأعلى دل ذلك على الطموح والرغبة في السمو.. ويقول خبراء الخطوط أن توقيع المرء (بكتابة اسمه) يدل على شخصيته بصورة أعمق وأصدق لما فيه من عفوية وتلقائية وعدم تأثره بظروف الكتابة العادية...

وفي أحيان كثيرة يتغير خط الإنسان بتغير مزاجه في اليوم نفسه. فأنت حين تكتب طلباً لرئيسك العام تبالغ - بقصد أو بدون قصد - في تجميل خطك وترتيب كلماتك، ولكن ذلك الخط سيختلف بالتأكيد حين تكتب ملاحظة (سريعة) لزوجتك وتتركها فوق طاولة المطبخ.. ففي الحالة الأخيرة تكون الجمل مسحوبة باتجاه آخرها



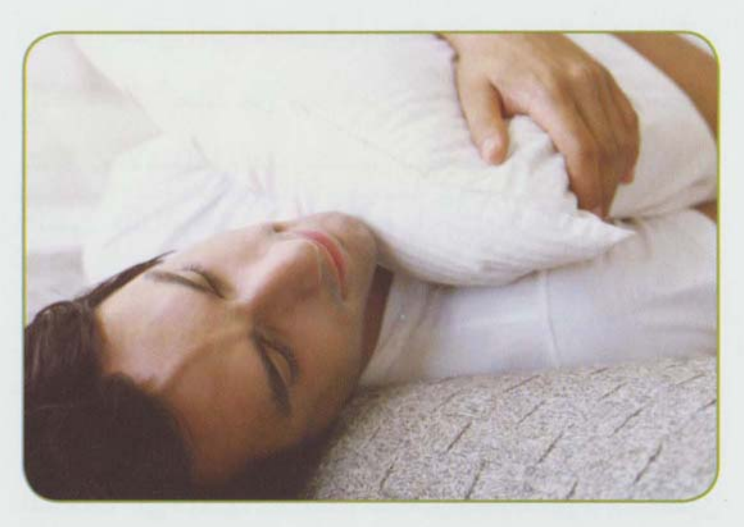


(كدليل على الاستعجال) وتصبح بعض الكلمات ذات حروف ونقاط متآكلة ودوائر مطموسة (كدليل على الألفة وقلة الاهتمام).. ومن الحقائق المعروفة عن نابليون عبقريته العفوية في تخطيط المعارك لذلك كان خطه عفوياً (جدًّا) وكلماته مسحوبة لنهاياتها وكثيراً ما ظن ضباطه رسائله رسوماً عسكرية.. وقد قرأت قبل فترة أن جهاز المخابرات الأمريكية حصل قبل غزو العراق على رسالة بخط صدام حسين بغرض تقييم شخصيته بشكل أفضل.. ومما جاء في تقرير خبراء الخط: أنه شخص نرجسي النزعة، يسارع في تنفيذ ما يخطر بباله ولا يقبل مناقشة آرائه من أي كان..."

ورغم أنني لم أعرف إن كان تقييم الخبراء تم بناء على رسالة كتبت باللغة العربية (أم بلغة أخرى) إلا أن رأيي في "الخطاطة" بوجه عام إنها تقوم على مبدأ معقول.. ولكن المشكلة تكمن في التفسيرات المطاطة التي يطبعها كل خبير بشخصيته واعتقاده المسبق حول الموضوع.



... والنوم والشخصية



حين نغادر عالم اليقظة وندلف إلى عالم النوم، فإننا بلاشكّ نتخلى عن بعض إرادتنا ونفقد السيطرة على شيء من تصرفاتنا. والنوم - كحالة لا واعية - قد يظهر من خلاله ما يدلّ على شخصياتنا وطبائعنا ساعة اليقظة. وقد أظهرت بعض الأبحاث أن الأوضاع التي نفضلها في فترات نومنا تكشف الكثير عن نفسياتنا وتصرفاتنا.. فربّ نائم على ظهره ليس كنائم على بطنه...!!



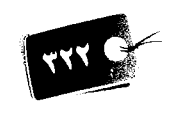


وإن كان النائم يتقلب في أوضاع مختلفة على مدى الليلة الواحدة، يظلّ هناك دائماً وضع (رئيسي) يعود إليه بعد تقلبه في عدة أوضاع الهدف منها تخفيف الضغط على أعضاء الجانب المفضل عند النوم.

ومن خلال المقارنة بين أوضاع النوم من جهة، وشخصيات المتطوعين للأبحاث من جهة أخرى لوحظ أن النوم على الظهر يتميز به الأشخاص الذين يتمتعون بكثير من الطمأنينة والثقة في النفس. فالنائم على ظهره يتوجه بأجهزته الحساسة (كالعين، والفم، والـ....) إلى الجمهور ولا يخشى أذية أحد - حتى سمي بنوم الملوك...

وبعكس ذلك ترى النائم على بطنه يحاول أن يحمي نفسه من المفاجآت التي لايحبها.. ومعظم النائمون بتلك الطريقة محافظون في حياتهم، دقيقون في أعمالهم ومرتبون ولا يعقدون الصداقات بسهولة.

أما من ينام بوضع جانبي شديد الانثناء (كوضع الجنين) ويحتضن الوسادة أو اللحاف فهو إنسان يبحث عن الأمان ويظهر

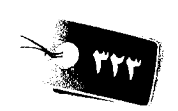


رغبة قوية في حماية الغير - ولكن يجب ملاحظة أن من يشعر بالبرد وهو نائم قد يتخذ هذه الوضعية لتوفير قدْرٍ أكبر من الدفء.

أما النوم بوضعية (السجود) ووضع الرأس على ظاهر الكفين، فهو وضع يتخذه الأطفال بوجه خاص، ويمارسه من الكبار من يعاني من ضغوط نفسية حادة - أو ببساطة من يريد العودة مبكراً إلى حالة اليقظة.

وهناك الوضع الجانبي المسترخي (الذي يشبه الوضع الجنيني) إلا أن أعضاء الجسم فيه تكون أقل انثناءً وتقوقعاً.. وهو أكثر أوضاع النوم شيوعاً ويمارسه من يظهر تكيفاً معقولا مع العالم الخارجي ويتمتع بالاتزان والطمأنينة - ولاننسى أن نذّكر هنا أن النوم على الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر حسب ما ورد في سنة المصطفى ﷺ وأثبته الطب الحديث...

ولوضعية القدمين أثناء النوم الكثير من الدلائل؛ فهناك من الناس من يشعر بالراحة إذا دسّ قدميه تحت الفراش وهناك من هم على عكس ذلك يخرجون أقدامهم من طرف اللحاف - بل وقد يتركون إحداها "مدلدلة" على جانب السرير.. والنوعية الأولى





تخشى المجهول وترغب في الحماية، أما الثانية فقلقة رغم جرأتها وكرهها لكافة أنواع القيود!

على أية حالٍ قد يكون الموضوع برمته غريباً بعض الشيء.. ولكن لنسأل أنفسنا سؤالاً بسيطاً ومباشراً.

(لماذا بالفعل ننام بأوضاع مختلفة!؟)...

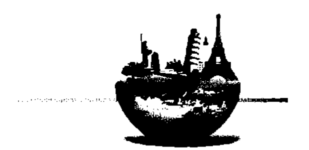






يعتقد علماء التربية أن لأسمائنا تأثيراً على شخصياتنا - وقديماً قالت العرب لكل امرئ من اسمه نصيب؛ فشخص يدعى "صقر" أو "صخر" لابد أنه اكتسب خلال سنوات عمره صفات شخصية لها علاقة بذلك الاسم لكثرة ما وعاه وتفكر فيه وتمثله في تصرفاته.. وأنا شخصيا استبعد وجود بخيل يدعى "حاتم" أو نذل يدعى "نشمي" أو جبان يدعى "باسل"!!





وإن كان اسم المرء يؤثر فيه، فإن ترتيبه في الأسرة يلعب دوراً في صقل شخصيته، وبالتالي قد يكون (من الفراسة) معرفة ترتيبه الأسري؛ فالطفل الأكبر (الذي تواجه تصرفاته دائماً بصخرتين عظيمتين هما الوالدان) يختلف تماماً عن الطفل الثاني والثالث الذي يمكنه "تمرير" بعض سلوكياته على إخوته الأكبر منه. أما الطفل الأخير فتتأثر شخصيته بكونه "آخر العنقود" حيث المطالب تلبى والمحاباة تضمن له السيطرة على الجميع.. ولعل جميعنا لاحظ أن طفلاً تربى بين مجموعة كبيرة من الإناث يختلف عن آخر عاش بين الذكور، وطفل نشأ وحيداً أو يتيماً يختلف عن آخر ولد في عائلة كبيرة أوله أقرباء "بعدد الرز"!!

وأذكر أنني كتبت مقالاً بعنوان "من أين يأتون" تعرضت فيه لبعض الظروف البيئية والعائلية التي تساعد على ظهور العباقرة والمشهورين؛ فمن العجيب مثلاً أن معظم العباقرة كانوا من الأطفال "البكر"، وأن معظم القادة العظام كانوا "أيتاماً" وأن كثيراً من أصحاب المواهب الفنية ولدوا في عائلة أو لقرابة يوجد بها موهوب أو فنان في نفس المجال!!

وفي دراسة استغرقت عشرين عاماً لـ(٧٠٠٠) شخصية عظيمة خرج الباحث "فرانك سيولواي" من جامعة هارفارد بنتيجة مفادها أن الولد البكر (محافظ ومتسلط) في حين أن الطفل الثاني



(عبقري ومتمرد). وقد ساق سيولواي أمثلة على ذلك بان عباقرة عظام مثل نيوتن وانشتاين وكوبرنيك ولافوزيه وداروين وفرويد أتوا من عائلات كانوا فيها في الترتيب الثاني. وفي المقابل كان معظم المحافظين والرجعيين وقادة الأحزاب من فئة الابن الأكبر.. ويعود السبب في هذا التمايز إلى أن الابن البكر يظل محتفظاً بكل امتيازات الرعاية والاهتمام حتى يأتي الطفل الثاني فيتحول جزء من حنان ورعاية الوالدين للطفل الجديد فتدب فيه الغيرة فينزع لأسلوب القمع والتسلط حتى سن متقدمة.. وفي المقابل فإن الطفل الثاني ينشأ ثوريًا متمرداً على سلطة الابن الاكبر بما يتناسب مع حقيقة أن (الجرأة في الإنجاز، والثورة على العتيق) من أهم شروط الإبداع والعبقرية..

و"ترتيب الولادة" أصبح هذه الأيام عنصراً مهمًا لتقييم المميزات الشخصية والقيادية للمتقدمين لكثير من الوظائف.. فاختيار "القائد" أو "المدير التنفيذي" أمر يحتاج إلى مفاضلة بين شخصيات عديدة قد يكون الفيصل فيها طريقة التحايل (وطبيعة التسلط) التي كان يمارسها المرء بين إخوته فيما مضى..

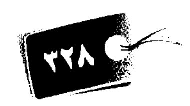
ومن الطريف أن البروفيسور "والترمان" كبير أساتذة علم النفس في جامعة "ايرلاجن" الألمانية قدم نصائح مهمة لفتيات بلاده لاختيار العريس المناسب بناءً على ترتيبه في العائلة. فهو





ينصح الفتاة التي ترغب بزوج طموح وقادر على تحمل المسؤولية بالزواج من الابن الأكبر لأنه صاحب شخصية مسؤولة وله خبرة في قيادة "الآخرين". أما الباحثة عن الزوج الحنون فعليها بشاب له أخوات أصغر منه. أما التي تبحث عن المعاناة فعليها بأصغر ذكور الأسرة لأنه في الغالب الطفل المدلل صغيراً والمهمل كبيراً!؟

أما بالنسبة لعريس نشأ على حنان شقيقاته الكبار فعليه بالزواج من فتاة تعودت الاهتمام بإخوانها الصغار. أما أكبر الأبناء فتناسبه فتاة تعودت على الطاعة لوجودها تحت ظل أشقاء أكبر منها. أما أخطر عروسة فهي بلاشك الطفلة الوحيدة في بيت متحرر.. فهي مدللة ومسرفة، وغير متعودة على "الكبت" أو تلقي الأوامر...



الانطباع الأول



رأي الناس فيك تحدده عوامل كثيرة.. فأول انطباع يؤخذ عنك يحدده شكلك وهندامك وطريقة كلامك وجلوسك. ونحن في العادة حين نقابل شخصاً لأول مرة نعامله بحذر ونكلمه بأسلوب "جس النبض" وبعد فترة كافية نأخذ عنه فكرة أولية تعتبر حجر الأساس في تعاملنا التالي معه.. فعلى سبيل المثال حين تدخل على مدير





أي دائرة أو مؤسسة - وأنت في كامل شياكتك - ستقابل بنوع من الترحيب الحذر (خشية أن تكون شخصاً مهما) وخلال حديثه معك سيبدأ بالتدريج استطلاع حقيقة أمرك، فإن كنت فعلاً شخصية مهمة ونافذة استمر ترحيبه بنفس الحرارة والاندفاع، أما إن كنت من فئة "إن حضر لا يعتبر، وإن غاب لا يفتقد" فستجد الوجه تهجم وعبارات الترحيب حلّ مكانها كلام جاف ومقتضب..

وما حدث هنا أن سيادة المدير قيمك على دفعتين، الأولى: من خلال هندامك الأنيق وكلامك الجيد.

... والثانية: من خلال اطلاعه الفعلي على حقيقة أمرك - ولهذا السبب بالذات اخترعت "المقابلة الشخصية" وحددت الرواتب "بعد اللقاء" مع المسؤولين!

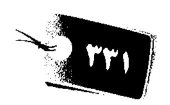
وفي رأيي المتواضع أن لدينا عقولاً متحجرة فيما يتعلق برأينا في الناس، فنحن نحدد (من أول لقاء) إن كان الشخص الجالس أمامنا إنساناً واثقاً أم ضعيف الشخصية، قوي العزيمة أم متخاذلاً.. وللأسف فإن الانطباع الأول يظلّ موجوداً وحاضراً حتى لو أوحت اللقاءات التالية بشيء مختلف. فإذا أخذنا فكرة عن شخص أنه جبان مثلاً، ثم رأينا له مواقف تثبت العكس سنعتبره "إنساناً مدعياً". وإن أخذنا انطباعاً عن إنسان أنه منتظم في عمله ثم رأينا له تصرفاً يثبت العكس نبدأ بالبحث عن عذر له ونقول "مجرد ظروف قاهرة" - وفي حين إن هذا العذر موجه لأنفسنا أكثر

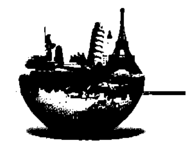


منه موجهاً للشخص المقابل، لأن الاعتراف بحقيقة الوضع الجديد فيه اعتراف ضمني بأننا أسأنا الحكم منذ البداية..!!

وفي دراسة أجرتها إحدى الجامعات الفرنسية حول تأثير هيئة الشخص وملامحه على المحكمة ثبت أن الشاهد الوسيم الأنيق يوحي للمحلفين بالاحترام وبالتالي بالمصداقية. وفي بحث مكمل لذلك الاستقصاء شاهد ٩٦ متطوعاً عشرات التسجيلات لأناس يدلون بشهاداتهم (منهم الكاذب والصادق) ثم طلب منهم إبداء رأيهم فيما سمعوه. وبعد فرز النتائج ثبت أن أولئك المتطوعين مالوا إلى تأييد المهندمين أصحاب الملامح الجذابة بغض النظر عن صحة المعلومات التي أوردوها - وأنا أذكر بهذه المناسبة أن المتهمين من رجال المافيا كانوا يحرصون على حضور جلسات أي محاكمة وهم في كامل أناقتهم للتأثير على المحلفين.. وكثيراً ما أفلحوا في ذلك!!

ومن الواضح أن الرجال والنساء يختلفون أيضاً في طريقة الحكم على ما يسمعون - وهذا ما أهملته الدراسة الفرنسية.. ففي الدراسة التي أعدتها عالمة النفس (لندا كارلي) من كلية (ليزلي) في ماساتشوستش نصحت النساء اللواتي يرغبن في إيصال وجهة نظرهن (للرجال) بصورة مقنعة أن لايكن واثقات من أنفسهن بشكل مبالغ فيه - فالرجل يخاف من المرأة الواثقة المتأكدة من كل شيء.. الحل الأمثل في رأيها هو أن يكنّ حميمات في كلامهن ويبدين شيئاً من التردد وعدم التأكد ولا يعمدن لمقارعة الرجال





الحجة بالحجة.. أما إن كان المتلقي امرأة (فعلى العكس من ذلك) فيجب أن تكون المتحدثة واثقة من نفسها جريئة فيما تقول وإلا اتهمت بالكذب!

والمرأة بغريزتها تعرف تلك الحقيقة؛ فهي إن تحدثت مع امرأة مثلها تحدثت بحزم وثقة حتى وإن كانت كاذبة.. أما إن تحدثت أمام الرجال - أو في مجال مفتوح - فتلجأ إلى نوع من الحميمية والتردد ويكثر في كلامها عبارات غير واثقة مثل "أعتقد أن" أو "قد أكون مخطئة" أو "لعلي كنت" - وكان هذا الأسلوب معروفاً لدى مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة التي كانت صاحبة حزم وشدة ولسان لاذع فيما يتعلق بالعاملين معها. أما أمام الجماهير وكاميرات التلفزيون فتتحول من "امرأة حديدية" إلى صاحبة صوت رخيم يوحي بالأنوثة وقلة الحيلة!!

وفي الحقيقة إن المظاهر السابقة تفسر النتائج التي تشير إلى أن الفتيات المتخرجات من (كليات البنات) أكثر نجاحاً وثقة بالنفس من زميلاتهن اللاتي درسن في كليات مختلطة. ففتيات المدارس المختلطة لا يكن باديات الحزم والثقة لخنوعهن الدائم أمام زملائهن الذكور وتعودهن التراجع أمامهم في معظم المواجهات.. وفي المقابل تتربى فتيات الكليات المنفردة -أمام بنات جنسهن- على إبداء الرأي بثقة وصراحة لايشوبها أي تردد...!!

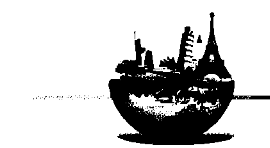
من أجسادهم تعرفهم



كثيراً ما يخيل إليّ أن الشخص المرح إنسان بدين بالضرورة.. نعم قد يكون هناك استثناءات ولكن - بوجه عام - من الملاحظ أن السمان أكثر مرحاً من غيرهم وأن من يوصفون بأنهم "جلد على عظم" أكثر نزقاً وحدة!!

إن كنت قد لاحظت هذا الأمر فأنت لست الوحيد في هذا





المجال؛ فقبل الميلاد بعدة قرون لاحظ الطبيب الإغريقي هيبوقراط أن هناك علاقة وطيدة بين النمط الجسماني للمرء وسلوكياته الشخصية. إلا أن هيبوقراط اقتصر في تقسيم الأنماط البدنية إلى نوعين رئيسيين فقط هما "القصير الممتلئ" و"الطويل النحيف"؟!

وبعد هيبوقراط تحدث في ذات الموضوع علماء كثيرون مثل ابن سينا والرازي، والإيطاليان "فيولا" و"سانت ناكاراتي"، وكان لكل عالم تصنيفه الخاص ولكنهم اشتركوا جميعاً في إيراد النمطين اللذين ذكرهما هيبوقراط.

ومن خلال دراسات هؤلاء العلماء توسعت العلاقة - من البنية الجسدية/ الشخصية - إلى علاقة الأنماط الجسدية بالأمراض التي تصيب فئة أكثر من غيرها؟!

وفي عام ١٩٥٢م خرج العالم البيولوجي كريتشمر بتقسيم لقي رضا الجميع وكان على الشكل التالي:

» الجسم الهزيل: وهو قليل الوزن طويل القامة مستدق الأطراف.

» الجسم العضلي: قوي البنية عريض الأكتاف نامي الصدر.

» الجسم السمين: غليظ الرقبة ثقيل الوزن منتفخ الأوداج.



» الجسم الضعيف: عليل التكوين صغير الحجم قصير القامة.

وبعد "كريتشمر" حاول العالم الأمريكي "شيلدون" دراسة الأنماط البدنية

لـ(١٠٠ طالب جامعي) حسب التصنيف السابق فجاءت نتائجه كما يلي:

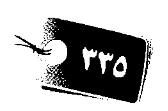
» (٧٪) من الطلاب كانوا من نمط النحيف الهزيل.

» (٩٪) من نمط السمين الممتلئ.

» (١٢٪) من نمط العضلي المتين.

» (٧٢٪) لم يستطع وضعهم في تصنيف معين أو كانوا "خليطاً" بين نمطين أو أكثر!!

ولأن "شيلدون" لم يرض بتصنيف فشل في تحديد ٧٢٪ من الأنماط الجسدية للبشر حاول الخروج بتقسيم أفضل اعتمد فيه على إلغاء. التصنيف الرابع لكريتشمر (الضعيف الهزيل) واكتفى بالتصانيف الثلاثة الأولى وقسمها إلى درجات أكثر دقة فخرج في النهاية بـ(٧٦) نوعاً من الأنماط الجسدية الأكثر شيوعاً بين البشر!!؟





ولكن بما أن جهود "شيلدون" تشعبت إلى درجة لا تحتملها هذه الزاوية

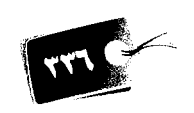
سنعتمد على التصانيف الرئيسية الأولى لـ"كريتشمر" لتوضيح العلاقة بين الأنماط الجسدية - من جهة - والسلوكيات الشخصية والصحية من جهة أخرى:

» فالجسم الهزيل: عصبي المزاج سريع الغضب، انطوائي، قليل الانصياع للأوامر.. وهو من الناحية الصحية يعاني بكثرة من نزلات البرد والتهابات الحلق وقرحة المعدة والاثنى عشر!!

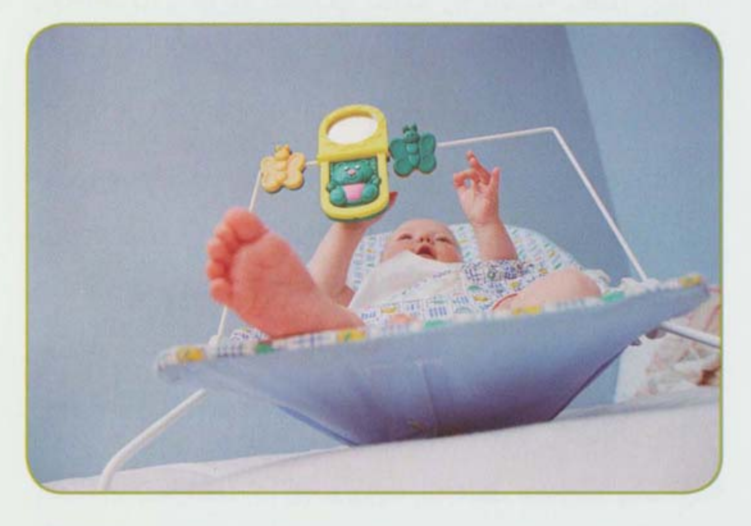
» الجسم العضلي: ويتميز بالثقة بالنفس، وحب السيطرة، والجرأة الزائدة.. وهو من الناحية الصحية يتمتع بمناعة قوية ضد الأمراض!؟

» الجسم المتين: ويتميز بتقلب المزاج، والطيبة الظاهرة، وكثرة التدقيق في الأمور الجانبية، كما أنه اجتماعي يحب المرح.. أما صحياً فهو ينام بعمق ومعرض لأمراض القلب والسكري..

... والآن قبل أن "تقلب" إلى الصفحات التالية.. قف.. وأغمض عينيك.. وتأمل في أي الأنماط تضع نفسك!



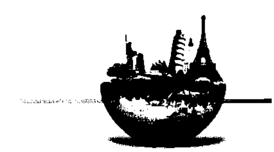




هل هناك علاقة بين شخصية المرء، والفصل الذي ولد فيه ؟

في أكثر من دراسة لوحظ أن أصحاب المواهب الفنية (أو الرياضية أو الإبداعية) تركزت ولاداتهم في فصول معينة أكثر من غيرها!؟





وأنا هنا لا أحاول تأكيد أو نفي تلك العلاقة؛ ولكني أعتقد (في حالة وجودها) أن الأمر يتعلق بالوقت والظروف التي حدث بها الأخصاب، أكثر منه بالشهر أو الفصل الذي (خرج) به المرء للدنيا.

ومن تلك الدراسات ما كشف عنه معهد الأمراض النفسية في لندن من أن الأطفال الذين يولدون في فصل الشتاء هم أكثر عرضة للأمراض العقلية من مواليد الفصول الأخرى!

وكانت الأبحاث الخاصة بالعلاقة بين الأمراض العقلية والفصول السنوية قد بدأت منذ عام ١٩٧٠ حين اتضح أن مواليد شهر مايو هم الأكثر إصابة بالحالات النفسية على الإطلاق، وتنتشر حالة انفصام الشخصية بين مواليد شهر يناير في حين يتميز مواليد فصل الشتاء بصغر الدماغ ونقص المادة "السنجابية" في أدمغتهم!!

وقد يكون لتأثيرات الفصول تفسير معقول وبسيط (وكل ما في الأمر أننا غفلنا عنه) فعلى سبيل المثال حين نقول إن نسبة الانتحار والنوبات القلبية ترتفع يوم الاثنين - في الدول الغربية - وتقل يوم الجمعة؛ فقد يكون مرد ذلك إلى أن يوم الاثنين هو (اليوم الأول) في الدوام حيث الشد النفسي والعصبي وازدياد مستوى الإدرينالين في الدم بعكس يوم الأربعاء حيث النفوس مغتبطة ببداية الإجازة ونهاية المجهود!



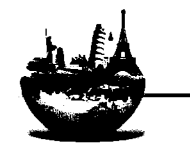
أمّا السبب في انخفاض نسبة الجرائم في فصل الشتاء في الدول الشمالية فمرده لأن الناس يتقوقعون في بيوتهم لوقت أطول بعكس مواسم الأجازات والأعياد - خصوصاً في فترتي ديسمبر وشهري يوليو وأغسطس حيث تصل نسبة الجرائم لحدها الأعلى!؟

ومن المعتقد كذلك أن هناك إيقاعات دورية بيولوجية تؤثر على صحة ومزاج الإنسان.. فقد لوحظ منذ زمن بعيد أن الأزمات النفسية تظهر لدى البعض في أوقات محددة من السنة. كما أن أمراض الشرايين تكثر في نهاية الشتاء، والأنفلونزا في يناير.. في حين أن معظم أزمات الربو تقع في الصباح، وآلام المفاصل عند الفجر، ونسبة النوبات القلبية في أقسام الطوارئ تزداد في العاشرة صباحاً... الخ.

وكون الإنسان مبرمج (في كادر زمني أو إيقاعات دورية معينة) أمر قد تم افتراضه منذ زمن طويل. فأول من ناقش هذا الاحتمال طبيب ألماني يدعى ويلهيلم فليز افترض وجود دورات حيوية ونفسية وعقلية - تشابه بتكرارها التي تمر بها النساء - ولكنها تأتي كل ٢٣ يوماً!!

وفي وقت لاحق اهتم بأبحاث هذا الطبيب عالم نفس أسترالي يدعى هيرمان سوبودا - وهو بالمناسبة أحد تلاميذ فرويد -





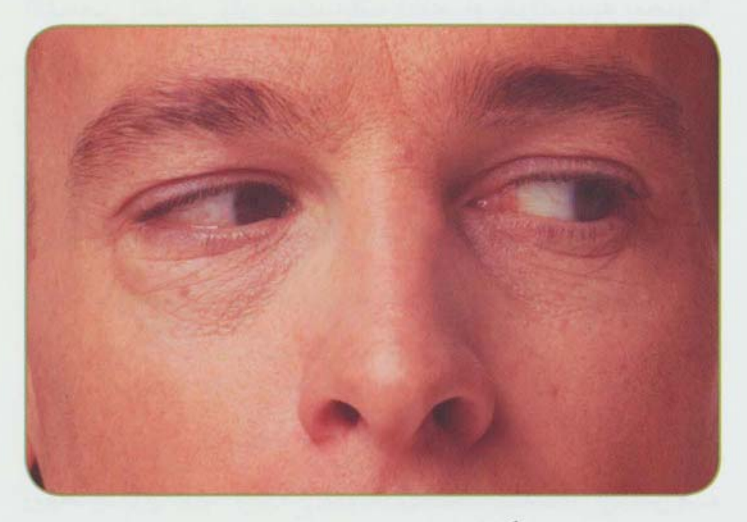
ووجد دلائل مقنعة على تكرر بعض الأمراض والحالات الانفعالية بشكل دوري ومنتظم (بحسب حالة كل فرد على حده).. وبفضل جهود سوبودا وفيلز وضعت اللبنة الأولى لعلم جديد أطلق عليه "الكورنوبيولجي" أو علم دراسة الإيقاعات الحيوية في الإنسان..

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن بعض الشركات التجارية سوقت آلة صغيرة - تشبه الآلة الحاسبة - تدعى (كوسموس) يمكنها تزويدك بصورة مستقبلية لإيقاعاتك الحيوية والنفسية؛ فاعتماداً على تاريخ ميلادك فقط تظهر لك رسوم بيانية لثلاث دورات مهمة هي: الدورة الفيزيولوجية (وتتكرر كل ٢٣ يوماً)، والدورة العاطفية الانفعالية (وتتكرر كل ٢٣ يوماً) والدورة العقلية العصبية (وتتكرر كل ٣٠ يوماً)...

ونصيحتي؛ إن لم تتمكن من الحصول على هذه الآلة؛ أن تضع لنفسك جداول دورية ترصد من خلالها تكرار الإيقاعات الحيوية والمزاجية لديك، فمن يدري.. قد تساعدك على فهم نفسك بشكل أفضل.



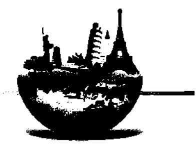
لا ترى الكاذب



هل تمنيت كثيراً لو استطعت تمييز الكاذب من الصادق؟ هل تمنيت يوماً معرفة ما إذا كان ابنك أو صديقك يقول الحقيقة أم لا؟

حسناً.. الأمر ليس بالصعوبة التي تتصورها؛ فالشخص الكاذب تظهر عليه حركات وتصرفات لا واعية يمكن تمييزها بسهولة.. فالكاذب مثلاً لا ينظر إلى عين محدثة بصورة مباشرة..





كما ترمش عينيه أسرع من المعتاد وغالباً ما تكثر في كلامه عبارات الحلفان والتأكيد - فإخوة يوسف قالوا قبل أن يتهمهم أبوهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.. الآية.

أيضاً من يكذب يعمد إلى "حركات" لا تخفى على الشخص المقابل؛ كأن يحك خلف أذنه، أو يفرك يديه بعصبية، أو يتشاغل بأمر ما أو يحاول إنهاء الحديث بأسرع ما يمكن، ومثل هذه الحركات -العصبية- تمرس عليها رجال الجمارك جيداً؛ فهم يعلمون أن من يخفي شيئاً يبدي تصرفات مرتبكة مثل التشاغل بتحضير (الشنط الأخرى) أو عدم النظر إليهم بشكل مباشر، أو هز "السبحة" أو أحد القدمين بعصبية تلقائية...

أضف لذلك هناك مظاهر عضوية غير إرادية تترافق مع الكذب وإخفاء الحقيقة؛ فالكاذب تتسارع نبضات قلبه، ويجف ريقه، وتتعرق كفيه؛ ويتهدج صوته، وتخطف أنفاسه - وقياس هذه المظاهر، ومقارنتها بالأحوال الطبيعية هي أساس عمل "آلة كشف الكذب"..

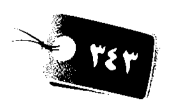
ومن عجيب ما يذكر بهذا الخصوص أن بدو سينا كانت لهم طريقة غريبة في كشف الكذب تعتمد على حقيقة إن "الكاذب يجف ريقه".. فقد كانوا يعمدون إلى تسخين "محمسة القهوة" حتى

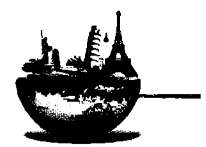
الاحمرار ثم يطلبون من المتهمين لحسها بألسنتهم بسرعة. ورغم قسوة هذا الأسلوب إلا أن الكاذب وحده يصاب بالضرر لأن لسانه يكون قد جف تماماً فلا يعود لديه لعاب يحميه من الحرارة.. وفي الواقع كان الخوف كثيراً ما يجعل المتهم يعترف قبل وصول الدور إليه!!

وبالطبع لا تتوفر لجميع الناس آلة لقياس الكذب أو "محمسة قهوة محماة" ولكن من الملاحظ أن معظم البشر يتولد لديهم (انطباع) أو (حس داخلي) بأن الشخص الذي أمامهم صادق أو كاذب.. وقد تكون هذه الموهبة نتيجة ملاحظات متكررة للتصرفات والمظاهر السابق ذكرها.. فمعظم الناس يدركون بصورة لا واعية حقيقة محدثهم نتيجة لتراكم الخبرات، وتترسخ فيهم هذه الموهبة مع تقدم السن - فالصغير كما هو معروف يمكن خداعه أكثر من الكبير!!

وأنا أذكر بهذه المناسبة أن تلفزيون الـBBC البريطاني عمد إلى تلقي أجوبة المشاهدين حول تقييمهم لمعلومة طرحها أحد مذيعي الأخبار وما إن كانت صادقة أم كاذبة. ولم ينس منظمي التجربة أن يطلبوا من المشاهدين أفادتهم - أيضاً فيما إن كانوا من مستعملي اليد اليمنى أو اليسرى...!!

فالفكرة هنا تعتمد على أن مستخدمي اليد اليسرى يميلون

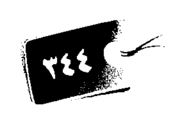




أكثر إلى استعمال "النصف الأيمن من الدماغ" الأمر الذي يعني أنهم يعتمدون على "الإحساس" "والبديهة" في تقييمهم للأمور.. وفي المقابل يعتمد مستخدمي اليد اليمنى على "النصف الأيسر" حيث "المنطق" و"الحساب" و"الموضوعية" في تقييم الأمور.. وكانت النتيجة أنّ مستخدمي اليد اليسرى تفوقوا في تمييز المعلومة الكاذبة أكثر من مستخدمي اليد اليمنى - أصحاب التفكير المنطقي والتقييم الموضوعي!

وفي الحقيقة هذه ليست المرة الأولى التي تقوم فيها الـ BBC بمثل هذه التجربة؛ فقبل سنتين تقريباً عمدت إلى سؤال أحد الشخصيات الشهيرة عن أحب الأفلام إليه. وطُلب منه أن يلقي بإجابتين مختلفتين أمام الجمهور.. ثم طلب مقدم البرنامج من المشاهدين الاتصال عليه لتحديد الإجابة الصادقة من الكاذبة.. فماذا كانت النتيجة؟

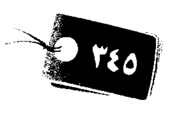
.. في الحقيقة كان الترجيح بسيطاً؛ إذ اكتشف ٥٢٪ من المشاهدين حقيقة ذلك الشخص. ولكن حين أذيعت نفس التجربة بالراديو استطاع ٧٣٪ من المستمعين تمييز الإجابة الكاذبة من الصادقة. وبنشر نفس الإجابتين في الصحف اكتشف ٦٤٪ من القراء صدق ذلك الشخص من كذبه!!



وبسؤال خبير في علم النفس وآخر في كشف الكذب؛ اتضح أن ضعف نسبه مكتشفي الكذب عبر (التلفزيون) يعود إلى أن "الكاذب" شخص مخادع في العادة يتعمد إظهار ملامحه البريئة وهيئته المتمسكنة الأمر الذي ينطلي على نسبه أكبر من الناس فتصدقه!

أما الذين (استمعوا) إليه بالراديو فقد كانوا في منْجَى من "رؤية" الخداع فاستطاعوا الحكم عليه بشكل أفضل (٧٣٪).. أما الذين (قرؤوا) الإجابتين بالصحف فقد استطاعوا تمحيص الأمر بتحكيم منطقي مجرد فتفوقوا على مشاهدي التلفزيون في اكتشاف الكذب - وإن كانوا أقل ممن استمعوا إليه!!

... وبناءً عليه نقول: لاترى الكاذب فيخدعك.. فقط استمع إليه!!





لغة العيون



ها قد وصلنا إلى آخر مقال في الكتاب ومن الجميل أن يتعلق "بالعيون" بالذات!؟

العيون بالذات لأنها ببساطة أهم عنصر فيما يسمى "بلغة الجسد"، وأهم عضو ننقل ونستقبل بواسطته معان كثيرة.. فنحن بوجه عام نتجاهل النظر فيمن نكره، ونطيل النظر فيمن نحب،



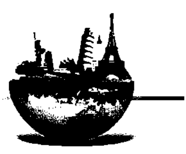
ونكاد لا نرمش حين نقابل من نعجب بهم.. وغني عن القول إنه من خلال مراقبة "العيون التي في طرفها حور" تستطيع معرفة ما إن كانت تحمل تجاهل أي مشاعر خاصة، أم أن وجودك - وآسف لقول هذا - كعدمه!!

أيضاً من الواضح أنه كلما زاد اهتمام الآخرين بحديثنا كلما زادت نسبة "تحديقهم" بنا - وعليه إن رأيت جليسك أصبح ينظر في كل شيء ماعدا وجهك فهذا يعني أنه ملّ مما تقول وأصبح مستعدًّا لقطع الحديث...

ومن خلال النقطة السابقة ننصحك بإبداء اهتمامك بحديث الآخرين من خلال النظر (باتجاه الوجه) وإبداء التجاوب والتفهم بحركات إيمائية مثل "زم الشفتين" أو "تقطيب الحاجبين" أو "هز الرقبة"...ولكن هذا لا يعني أن "تحدق" في عينيّ جليسك بشكل مباشر - فكثير من الناس يتضايقون من هذا التصرف - لا تفعل ذلك إلا حين تتوجه إليه (أنت) بسؤال صريح ومباشر!!

ولعلك تذكر أننا قلنا أن لكل إنسان مجال حيوي يفصله عن الآخرين، وإن المرء يضطر - حين ينحشر معهم - إلى النظر في كل شيء ماعدا "عيونهم".. وبناءً عليه يمكنك استنتاج العلاقة بين أي فردين يجمعها مكان ضيق (كالمصعد أو مقعد الطائرة) بمراقبة نسبة الالتقاء بين نظراتهما...





وهناك نظرات نرسل من خلالها إشارات بالازدراء والاحتقار مثل رؤية الآخرين من فوق "النظارة" أو التحديق بهم بـ"نظرة جانبية" أو حتى عدم النظر باتجاههم حين يتحدثون معنا!!!

أما "التحدي" فيمكن التعبير عنه بإطالة النظر (بعين حارة) بدون أن نرمش أو نرفع نظرنا... وقد نفعل ذلك حتى ينهزم الآخرون ويرخون عيونهم قبلنا!

وكما علمنا في المقال السابق يرمش الكاذب بنسبة أسرع من المعدل الطبيعي.. وبعد فضيحة ووترغيت شعر كل من رأى الرئيس نيكسون على التلفزيون إنه يكذب لأن عينيه كانتا ترمشان بسرعة كبيرة قدرت بـ (٣٥) رفة في الدقيقة كما أوضح أحد الخبراء...

والعيون بالإضافة إلى دورها الفراسي تنبئنا عن كثير من المظاهر الحيوية في الجسم؛ فالوهن والمرض والسهر؛ تظهر آثارها على العيون بسهولة وبتعبير يغني عن الشرح.. وحالياً يوجد فرع مستقل من الطب يعمد إلى كشف علل الجسم الباطنية من خلال التغيرات التي تطرأ على الشبكة وحالة البؤبؤ والقرنية.

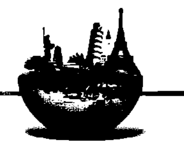
وهناك جهاز يعمل بالليزر يقيس نسبة رمشات العين وذبول الجفن حتى إذا دخل (السائق أو حارس الأمن) في طور النعاس نبهه بجرس مزعج...

وهناك تقنية تسمى "تقنية التتبع" تتيح للعين تشغيل الأجهزة بمجرد التحديق باتجاهها. وهذه التقنية حيوية لمن يعانون من شلل كامل أو لقائدي القاذفات حيث يمكن إصابة الهدف بمجرد "النظر إليه"... وهي في الواقع مفيدة لكل من تمنى يوماً امتلاك يد ثالثة!

بقي في النهاية أن أقص عليك موقف شخصي يوضح دور العيون في حمل رسائلنا للآخرين.. ففي أحد الأيام كنت أنظر من الشباك باتجاه الشارع وتوقف بصري على مجموعة من الشباب "الصِّيع".. ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى سمعت من أحدهم كلمة قذرة (قذرة جداً) لدرجة تداعت في رأسي طرق "غير متحضرة" للرد عليهم.. ولكن بعد تقييم الموقف بسرعة (وأهمه، أنهم كُثر) اتخذت قراراً بالبقاء مكاني صامتاً والتحديق بهم "بعين حارة".. وما هي إلا لحظات حتى بدأت عليهم مظاهر التردد والارتباك وتفرق كل منهم باتجاه!!

..الطريف هنا أنني أصبحت كلما أردت تفريقهم أخلع النظارة (كي لا أتراجع أنا) وأحدق بهم بنفس الطريقة!!







الفهرس

المجموعة الأولى
أسرار دولية

المجموعة الثانية
أحلام غيرت التاريخ

المجموعة الثالثة
ظواهر طبيعية خارقة

المجموعة الرابعة

اقتصاديات خفيفة

المجموعة الخامسة

عجائب الشعوب القديمة

المجموعة السادسة

أنت في المستقبل

المجموعة السابعة

الفراسة



الكتاب القادم

فهد عامر الأحمدي

حول العالم في ٨٨ مقال

يمكنكم التواصل مع المؤلف من خلال



جريدة الرياض
Riyadh Newspaper



فيس بوك
Facebook


تويتر
Twitter



يوتيوب
YouTube

فاكس : ٨٥٩٠٣٦٢ (٠٠٩٦٦٤)
السعودية / المدينة المنورة ٤١٤١٢ ص.ب ٤٦٣٥
fwf966@gmail.com
www.alriyadh.com/file235.html



٧٠ مقالاً مختاراً من زاوية حول العالم نشرت في صحيفة المدينة تتوزع في المجموعات التالية:

١) أسرار دولية

٢) أحلام غيرت التاريخ

٣) ظواهر طبيعية خارقة

٤) اقتصاديات خفيفة

٥) عجائب الشعوب القديمة

٦) أنت في المستقبل

٧) الفراسة







للتوصيل المجاني

تليفون (الرقم الموحد) ٩٢٠٠٢٢٢٢٩ - فاكس: ٢٧٨٥٦٢٨

بريد اليكتروني E-mail:dartwaiq@dartwaiq.com

موقعنا على الإنترنت www.dartwaiq.com



ISBN: 978-9960-42-808-6

9 789960 428086

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٤٢-٨٠٨-٦

السعر: ٤٩ ريال